

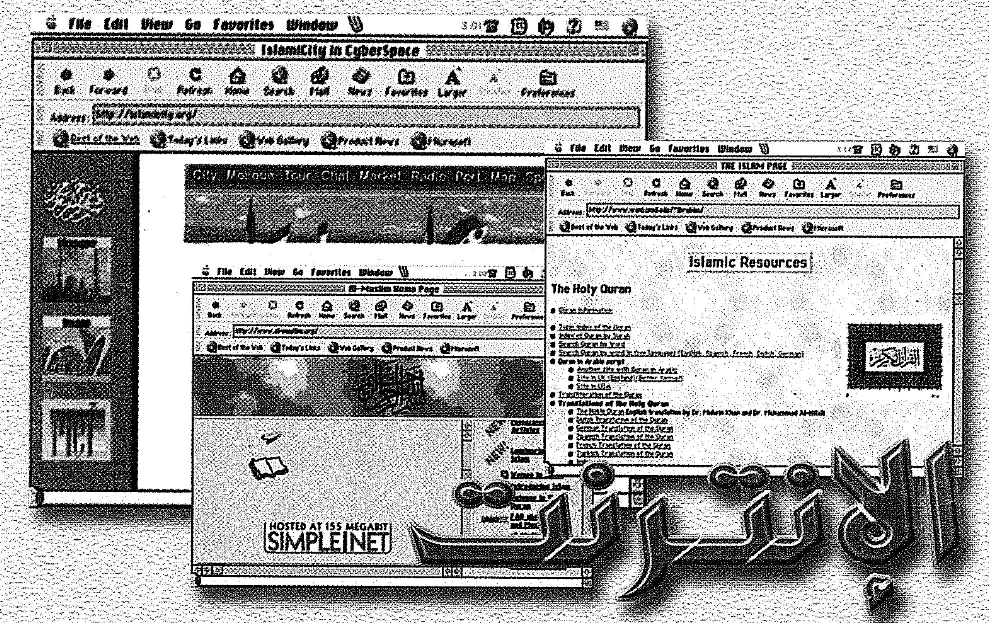
نعمة التحرير وشكر النعم

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

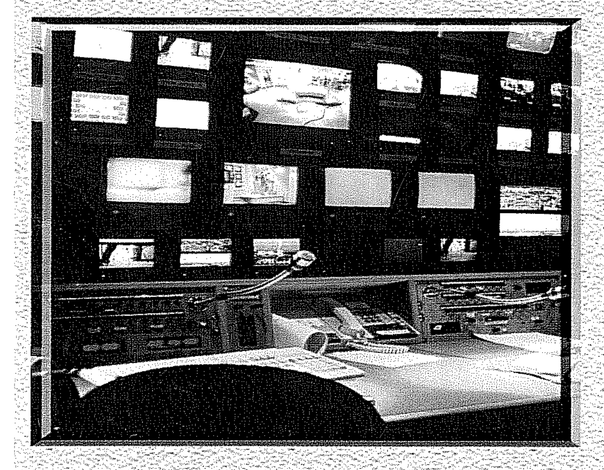
العدد ٣٩٩ - السنة الخامسة والثلاثون - ذو القعدة ١٤١٩ هـ - فبراير / مارس ١٩٩٩ م



الإنترنت (المعرفة والخدمات)... الخطر الداهم

- أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم

- الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم



الميراث في الإسلام هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟

- التأصيل الإسلامي للإعلام
- هوية الإعلان في سياقه الحضاري

هديتك مع العدد براعم الإيمان



على الانترنت On The Internet

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٩. السنة الخامسة والثلاثون
ذو القعدة ١٤١٩ هـ. فبراير / مارس ١٩٩٩ م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

وسائل الإعلام الإسلامي... أمانة ومسؤولية

أعزاءنا القراء:

قضايا ومواضيع شتى تناقشها وتطرحها مجلة الوعي الإسلامي في ثنايا هذا العدد، الذي يتزامن صدوره مع ذكرى اليوم الوطني للكويت ويوم التحرير فيها، والمدقق في هذه القضايا والمواضيع المطروحة يجد أنها تركز على أهداف وغايات مثلى تسعى المجلة لتحقيقها باعتدال بعيداً عن التعصب الفكري، أو المذهبي وفي مقدمها: وحدة الأمة والقضاء على الفرقة والتفكك والانقسام في صفوفها، والتصدي لكل التحديات التي تواجهها في عالم تشابكت فيه المصالح والأهواء حيث لا مكان فيه لضعيف أو متخلف عن ركب الحضارة الإنسانية.

إن هدم الفجوة الحضارية بيننا وبين باقي الأمم المتقدمة، ودعم الجهود المشتركة لبناء حاضر الإسلام ومستقبله على هدي من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد. صلى الله عليه وسلم. أمر يجب أن نسعى إليه جميعاً وهو مسؤولية كل فرد من أبناء هذه الأمة كل حسب موقعه، وعلى وسائل الإعلام الإسلامي أن تسخر كل طاقاتها وإمكاناتها للوصول إلى هذا الهدف في إطار من التعاون والتنسيق لتقديم عطاء الإسلام إلى البشرية بالصورة المشرقة التي تتناسب وجوهر هذا العطاء وأصالته الراسخة.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

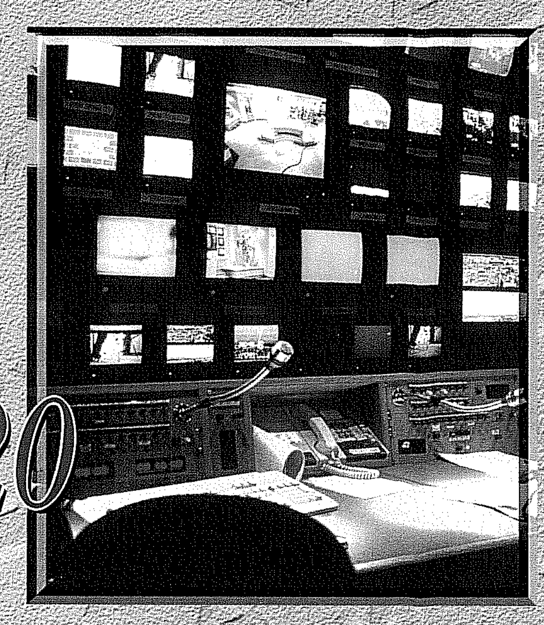
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس
قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة
الأردن: ٥٠٠ فلس ـ مصر: جنيه واحد ـ السودان: ٥ جنيهات
موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير
اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم
ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله
امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



حضارة

هوية الإعلان في سياقه الحضاري

الإعلان عصارة تجربة الغرب الحضارية فهو يجسد المدنية الرأسمالية ممزوجة بفن روح الحضارة التي أوجدتها... ترى ما سر المأساة

قضايا إسلامية

أمتنا الإسلامية على مفترق الطرق

إلى أين تسير أمتنا؟ وماذا ينتظرها في مستقبل أيامها بعد ما تألب عليها الأعداء من كل حدب وصوب؟ ومن الذي فجر الأزمة الطاحنة التي أصابت عقولنا بالحيرة وشلت تفكيرنا، وفجرت فينا مكان من الحزن والأسى؟

دراسات ميدانية

أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم

هل دور القرآن الكريم أو الزوايا مؤسسات عفا عليها الزمن ولم تعد تصلح في عصر الذرة والتكنولوجيا أم أنها مؤسسات قادرة على اللحاق بالركب الحضاري بما أدخل في برامجها ومفاهيمها من علوم تجريبية إضافة إلى العلوم الشرعية

أحكام

الميراث في الإسلام

هل الميراث في الإسلام يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية أم على كليهما معاً، وما أقوال العلماء في هذه القضية المهمة؟



دراسات إسلامية



الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم

ما الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها أسباب للصحوة الإسلامية؟ وما حقيقة هذه الصحوة وماهيتها؟ وهل الصحوة تعبير صارخ عن الأمة الإسلامية التي ظن البعض أنها انتهت؟



في الأعداد المقبلة

- الحج ووحدة الصف والهدف — اللواء الركن محمد جمال الدين
- ميراث آدم عليه السلام — حيدر قفة
- من أسرار عالم النحل — د. حسان شمسي
- السلام في العالم أمن وأمان للفرد والمجتمع — د. أحمد محمود كريمة
- تعاطي المنشطات الجنسية في تشريع الطب الإسلامي — د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان
- بالرحمة تستمر الحياة — د. حسن أبو غدة
- الصهيونية وجدل الصراع العربي الصهيوني — عبدالغفار فاضل نصر

الفهرس



إثبات وفرة الموارد

تطالعنا بعض وكالات الأنباء من بين حين وآخر بأن مواردنا الطبيعية بكل صورها وأشكالها والتي هي شريان الحياة للبشرية على وشك النضوب وأن موجات الجفاف تجتاح دولاً كثيرة في العالم، وأن عدد الدول التي يعيش سكانها تحت خط الفقر في تزايد مستمر، وتصور لنا أعداداً من هؤلاء السكان عرايا في صورة هياكل عظمية وقد افترسهم المرض وأنهكهم الفقر وغلبهم الجوع يفترشون الأرض ويلتحفون السماء مجتمعين حول قصعة من الطعام لا تسمن ولا تغني من جوع، كما تنبئنا بأننا على وشك أزمة غذائية طاحنة وأن القرن المقبل سيشهد حروباً ضارية تبيد الأخضر واليابس من أجل البقاء والبحث عن الغذاء وسبل العيش.

وعلى العكس مما نسمعه ونقرأه وتعلنه هذه الوكالات التي لا تكل ولا تمل من أن تحذرنا ليل نهار بسوء عاقبتنا، تشير آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى وفرة كل مستلزمات الحياة في الكون وكفايتها لإشباع حاجات جميع المخلوقات التي عاشت وتعيش على سطح البسيطة منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) فصلت: ٩ - ١٠، أي أن الله جل شأنه حين خلق الأرض باكر فيها وقدر فيها أقواتها وأودع في بطنها وعلى ظهرها من الخيرات التي تجعلها مهيأة لتخرج لكل من يولد عليها من الأحياء رزقه وقوته الذي يكفيه الحياة اللائقة به، كما قال تعالى: (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون) الأعراف: ١٠.

أشرف شعبان أبو أحمد

أين العرب من هذا التنافس ؟

يتحرك العالم ويتغير في صراع محموم والسؤال الذي يفرض نفسه هو: أين العرب وموقعهم في هذا التسابق؟

إن العولمة هي بداية تنافس قوي وجاد حول الهيمنة!... والأمر وإن كان يبدو اليوم وإلى حين... أن زمام المبادرة فيه تتملكه الولايات المتحدة... فسرعان ما سينقلب في معمعة قانون السوق... وقد بدت معالمه تنكشف على ضحايا نزل عليهم الدمار!، فيما يعرف «بزلزال البورصات الآسيوية» وهؤلاء هم أيضاً كانوا يشكلون حاجزاً يصدُّ تقدم الزحف الشيوعي

وعند نهاية الحرب الباردة، وتفتح الصين ومهادنتها لأميركا «سُلبوا وكُشفوا» وتُركوا لوحدهم أمام واقعهم!... وهذه الدول الصناعية تسيطر على أوراق اللعبة بدهاء!... إذ بينما تدعو دول العالم إلى الانفتاح والانخراط في العولمة تعمل جاهدة على وقاية سوقها الداخلية بالدعم لمؤسساتها الاقتصادية وحماية منتوجاتها... كما أن الولايات المتحدة لو تتغلب على خصمها العنيد اليابان في مجال الألكترونات إلا ببرنامج تمويل وتنظيم للبحث العلمي... محكم التخطيط والهيكلة... وقد يعتقد من يستمع إلى المثبطين للعزائم أن لا طاقة لنا أمام حجم التمويل والاستثمار التي ترصده الدول المتقدمة الولايات المتحدة واليابان... ولا مفر لنا إلا القعود والتسليم بدل المبادرة وتوظيف الطاقات المستعدة لخدمة بلادها بالإمكانات المتاحة وتنميتها لاكتساب المناعة... وتجاوز الخنوع والتخاذل... إذ إننا أمة ذات رسالة حضارية ورصيدنا التاريخي يحملها المسؤولية وواجب الوصول إلى مرتبة الخيرية بتحقيق منهجية الوسطية... لنكون شهداء على الأمم بشهادة ديننا علينا الحنيفية السمحة ...

لذلك ليس لهذه الأمة أن تتقاعس عن واجبها وتعيش عالة على أمم لا تفوقها في شيء غير أنها امتلكت زمام المبادرة حين تخلينا وتقاعسنا عن العمل وشرف المنافسة والامتياز.

فتحي بن حامد - تونس

الإجماع من أصول التشريع

يعتبر الإجماع من أصول التشريع الإسلامي، وهو إن دل على شيء إنما يدل على مدى تفتح ديننا الحنيف وصلاحية تعاليمه لكل زمان ومكان، لأنه لم يكتف بالمصدرين الأساسيين : الكتاب والسنة، بل قام بدعوة المسلمين إلى تحمل مسؤولياتهم في مواجهة ما استجد من القضايا والمشاكل التي لم تطرح أيام نزول الوحي في حياة المصطفى ﷺ.

كما ترك لهم الحرية في اختيار من يخلف الرسول - ﷺ - بعد وفاته، واكتفى بدعوتهم إلى الالتفاف حول من استقر عليه رأيهم كخليفة لهم، كما ترك لهم - كذلك - حرية إصدار الأحكام في النوازل التي تعترض معاملاتهم ويضطرهم إليها تطورهم ومسايرتهم لما يتجدد من وقائع لم تكن في عهد الرسول - ﷺ - شرط أن يجمع على هذه الأحكام أصحاب الرأي والاجتهاد منهم.

والإجماع لا يتأتى إلا إذا توافرت الظروف والمقتضيات التالية :

١ - وجود جماعة من المجتهدين في زمن وقوع الحادث يتأتى اتفاقهم على الحكم فيها.

٢ - أن يحصل الاتفاق من المجتهدين على وجه الخصوص ولا يتجاوزهم إلى غيرهم من العامة من الناس.

٣ - أن يتم الاتفاق بين جميع المجتهدين - دون استثناء - وإلا فلا يحتسب إجماعاً في حال موافقة الأكثرية على حكم ما ومخالفة بعضهم له.

٤ - أن يكون المجتهدون من المسلمين، بغض النظر عن جنسيتهم وبلدهم وطائفتهم وعمرهم.

٥ - أن يكون كل منهم صريح الرأي في النازلة.

٦ - أن يحصل الإجماع بعد وفاة الرسول ﷺ .

والإجماع نوعان: صريح وسكوتي.

فالصريح أن يتفق مجتهدو الأمة على حكم في واقعة وذلك باجتماعهم وإبداء كل واحد منهم رأيه فيها واتفاقهم على الحكم المناسب وأن يكون هذا الرأي صريحاً قولاً أو فعلاً عندما لا يتأتى الإجماع، وتكون تلك الآراء والأحكام موحدة المدلول.

والإجماع السكوتي هو أن يبدي بعض مجتهدي الأمة - في أي عصر - رأيهم في النازلة بفتوى أو قضاء ويسكت البعض الآخر عن المعارضة على ألا توجد حجة تثير شبهة أنهم سكتوا خوفاً أو تملقاً أو عجزاً.

ولا يسمى هذا النوع إجماعاً، وليس له في باب الحجية مكان، وعن حجية الإجماع، فقد ذهب الجمهور إلى أن الإجماع الصريح حجة وأصل من أصول الفقه مستدلين على ذلك بآيات وأحاديث عدة، منها قوله سبحانه وتعالى :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيراً) النساء: ١١٥.

ففي هذه الآية تَوعدُ لمن خالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم وسلك مسلكاً يخالف ما أجمعوا عليه.

ومن الأحاديث المستدل بها في هذا الموضوع قول الرسول ﷺ :

«لا تجتمع أمتي على ضلالة»، وقوله: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».

عبدالواحد إستينوا - المغرب

ردود خاصة

● **الأخ محمود علي محمد عبدالله - مصر :**

يمكنك مراسلة جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت للحصول على الكتاب المذكور والعنوان هو: ص.ب: 5585 الصفاة - 13056 - الكويت.

● **الأخ نذير حمدان - دمشق - سورية :**

العدد رقم ٩١ غير متوافر لدينا في الوقت الحاضر، وجزاكم الله كل خير.

● **الأخ ابن المليح خديجة - المغرب :**

يمكنكم مراسلة صندوق إعانة المرضى في الكويت إلى عنوانه: ص.ب: ٢٤٤٠٩ الصفاة - 13105 - الكويت.

● **الأخ محمد خاطر محروس محمد - مصر:**

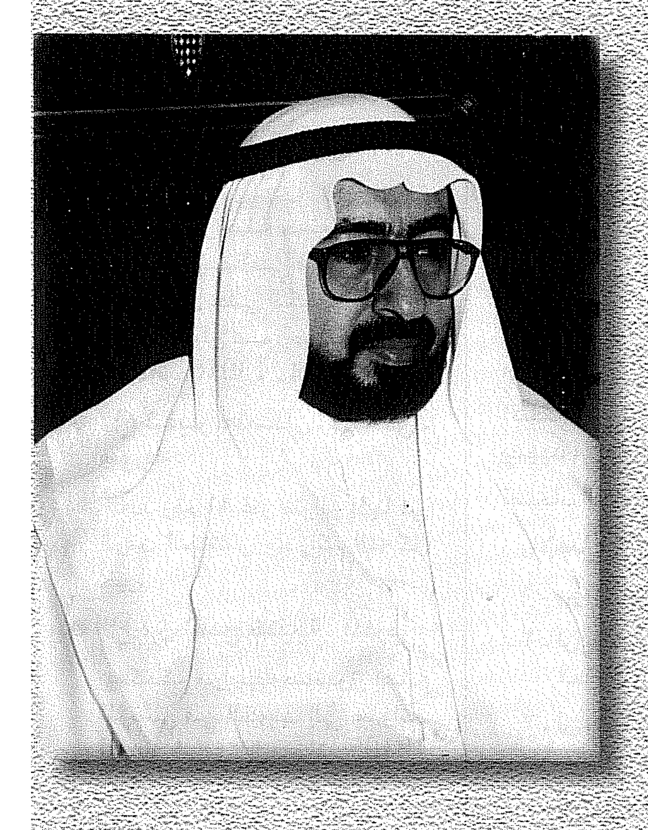
مشاركتكم «يا رمضان» وصلت متأخر، شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

تنويه

تعلن مجلة الوعي الإسلامي لقرائها الكرام، بأن الصورة المنشورة كأرضية في إمساكية شهر رمضان الماضي ١٤١٩هـ، هي من تصميم الفنان وليد الفرهود، ولذا اقتضى التنبيه.

سقط سهوا

في العدد ٣٩٨ من مجلة الوعي الإسلامي سقط سهواً في آخر المقال في الصفحة ٢٧ العبارة التالية: «عمل مؤسسات الخير في الكويت» مع اعتذارنا للإخوة القراء.



بدر القصار ... جهد مشكور

جاء في حديث المصطفى ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» الحديث، ومن الحق علينا أن نقدم الشكر جزيلاً خالصاً لشخص بذل الكثير نحو مجلة الوعي الإسلامي، وهي في عقدها الأول، وقد تعاقب على رئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي عدد من العلماء والأساتذة الأفاضل، إلا أن **الأستاذ بدر القصار** كان له جهده المميز في استقطاب كتاب للمجلة وإخراجها بشكل جديد، ولا سيما بعد أن اختير لها رئيساً للتحرير للمرة الثانية بعد التحرير، وحتى الوقت الحاضر، إذ كان من جهوده الطيبة مع إدارة المجلة، إصدار كشاف الوعي في ثلاثة مجلدات، والقيام بدراسة حول المجلة، كما أحدث القيام بعمل ندوات في المجلة في قضايا اجتماعية في الإطار الشرعي التربوي، تحدث بها نخبة من العلماء المختصين، وكانت بدعم من **الأستاذ عبدالعزيز بدر القناعي** وكيل الوزارة المساعد للقطاع الثقافي.

إنه مما لاشك فيه، أن نذكر الأخ أبا أحمد «**الأستاذ بدر القصار**»، بكل خير على جهوده المميزة، لما لديه من خبرة إعلامية، فقد سبق أن كان رئيساً لمجلة المجتمع الكويتية، كما يجدر أن نشير إلى أنه الكويتي الوحيد على مدى تعاقب رؤساء تحرير المجلة منذ صدورها في شهر المحرم سنة ١٣٨٥هـ الموافق شهر مايو ١٩٦٥م.

والآن، بعد تلك الفترة الخصبة الزاخرة بالأعمال الطيبة في بث الوعي الإسلامي، يغادرنا الأخ أبو أحمد إلى موقع آخر هو أهل له. إن شاء الله. وسيقوم برئاسة تحرير المجلة «الوعي الإسلامي» مستقبلاً **الدكتور صالح أحمد الراشد**.

داعين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والرشد والسداد.

الوعي الإسلامي



نعمة التحرير ... وشكر الله الدائم

من عظيم فضل الله سبحانه وتعالى، ما بيَّنه المصطفى ﷺ. من حبه جلَّ وعلا لعبده الشاكر حتى على أقل الأشياء، حيث يقول ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها» الحديث.

فهنا إذا كان حصول الرضى منه تبارك وتعالى بشيء بسيط هو أكلة أو شربة، فكيف إذا كان الشكر على شيء كبير وعظيم، كنعمة المال والولد والخير الكثير.

ولعل الأكثر من ذلك فضلاً نعمة التحرير، فقد منَّ الله - سبحانه وتعالى - على هذا البلد الحبيب «الكويت» بعد أن ذاق أهلها الضيق والكدر من نظام ظالم أنكر حرمة الأخوة والجوار، وأذاق الشعب صنوف الخوف والألم ظلماً وعدواناً، فكان فضل الله العظيم ونعمته الوارفة، بأن اندحر هذا الكيد، وانعدم المكر، وعادت الأرض الطيبة لأهلها بخير وبركات.

إنه فضل الله العظيم، وإنها استجابته جلَّ وعلا للضراعات الصادقة المخلصة من المعذبين بالباطل، وإنها استجابته - تبارك وتعالى - من وجه آخر هو لأهل هذه الأرض الطيبة من إحسان كبير، وإنفاق في سبيل الله وصدقات هنا وهناك.

لايستطيع أحد أن ينكر خير أهل الكويت ووقوفهم مع القريب والبعيد والقاصي والداني بمد يد العون والمساعدة لكل محتاج داخل وخارج البلاد، بحيث أصبح هذا الشأن سمة بارزة حكومة وشعباً، وهكذا نجد اللجان والمؤسسات الخيرية تنتشر في كل أرجاء الكويت.

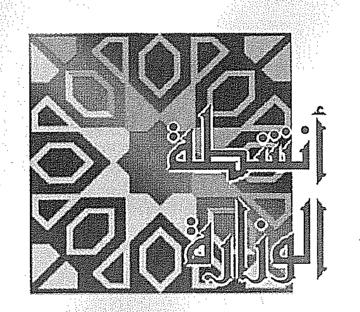
إن شأن الخير والعمل الخيري يؤكده حديث سيدنا المصطفى ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» الحديث.

كما أن فعل الخيرات والقيام بها والدعوة إليها من مختلف الجهات في هذا البلد الكريم، لدليل إيمان صادق وإحساس بحاجات الناس ومشاعرهم، وتطبيق للآيات والأحاديث في هذا المجال.

إن نعمة التحرير نعمة عظيمة تستوجب الشكر والعرفان وحمد الله سبحانه، والثناء عليه بما هو أهله.

فنسأله سبحانه دوام النعمة، والثبات على شكره وحمده بشكل دائم متواصل لدوام فضله ونصره ... اللهم آمين.

الوعي الإسلامي



من أجل راحة الحجاج الكويتيين

وكيل الوزارة زار المملكة العربية السعودية

توجه وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير والوفد المرافق له إلى مدينة جدة في المملكة العربية السعودية في زيارة رسمية استمرت ثلاثة أيام ناقش خلالها القضايا والأمور التي تتعلق بموسم الحج.

وصرح مدير إدارة الحج في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مبارك العجمي، أن الوكيل الزير التقى خلال الزيارة وزير الحج السعودي محمود بن محمد سفر وقدم له الشكر على الخدمات الجليلة التي تقدمها حكومة خادم الحرمين الشريفين لضيوف الرحمن، وقدم شكراً خاصاً لرعايتهم للحجاج الكويتيين وما توفره لهم من أسباب الأمن والراحة خلال موسم الحج.

وأفاد العجمي أنه تم خلال الزيارة مناقشة المسؤولين السعوديين حول زيادة المساحة في منى وعرفات للحملات الكويتية خلال تأديتهم مناسك الحج.

وأضاف أنه تم التطرق إلى موضوع وسائط النقل الكويتية من خلال السماح لها بنقل حجاج كويتيين من مطار جدة إلى مكة المكرمة.

وأشار العجمي بمستوى التطور والتقدم المطرد الذي تشهده جميع المنشآت والمرافق والخدمات التي تتعلق بالأماكن المقدسة أو الذي ترتبط بمناسك الحج، الأمر الذي يسهل على حجاج بيت الله الحرام أداء أعمالهم ومناسكهم بسهولة ويسر.

بدء المرحلة الشتوية لحلقات تحفيظ القرآن

أعلن مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم عبدالله سلطان السنان عن بدء الفترة الشتوية الثانية، وذلك اعتباراً من السبت الموافق ١٣/٢/١٩٩٩م، ودعا السنان الطلبة إلى المبادرة بتسجيل أسمائهم لدى مكاتب المحافظات التابعة للمراقبة، مؤكداً ما تحتويه برامج الفترة الشتوية من فاعليات وأنشطة تعود بالنفع على المشاركين، فضلاً عما تشكله تلك المشاركة من تأكيد أهمية الاعتناء بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً. وأكد السنان رغبة وزارة الأوقاف في تجسيد رسالتها السامية في مختلف المجالات، مشيراً إلى أن الاهتمام بتحفيظ أبنائنا الطلبة القرآن الكريم يعد ترجمة حقيقية لتلك الرسالة، معرباً عن أمله في استجابة أولياء الأمور لدعوة المراجعة لحض الأبناء على المشاركة في تلك الحلقات.

وقال: إن المراقبة انتهت من إعداد خطة العمل للموسم الحالي، مشيراً إلى أن الفائزين في الاختبار الذي سيجري في نهاية الموسم سيحصلون على جوائز تشجيعية، بهدف حضّ الأبناء على مواصلة الالتحاق بحلقات تحفيظ القران التي تشهد إقبالاً متنامياً.

الفلاح: حملات جديدة للحج و٢٠ ألف حاج من الكويت

ترعى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المعرض الأول لخدمات الحج والعمرة الذي تنظمه شركة معرض الكويت الدولي في الفترة ما بين ١٣ و ١٩ فبراير على أرض المعارض الدولية في مشرف ويشارك فيه نحو ٢٦ مؤسسة وشركة وحملة حج من داخل الكويت وخارجها.

وقال وكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج د. عادل الفلاح: إن رعاية الوزارة للمعرض وفكرته من شأنها أن تدفع بقوة نحو تطوير خدمات الحج والعمرة ويجمع المؤسسات المنتجة لتلك الخدمات مع أصحاب حملات الحج ومع وزارة الأوقاف في آن واحد.

وأضاف الفلاح أن المعرض من شأنه أن يجمع أيضاً الراغبين بأداء مناسك الحج ويوضح الرؤية لديهم تجاه الخدمات التي تقدمها الحملات ويعطي الفرصة كذلك لأصحاب الحملات للاطلاع على الخدمات التي تقدمها الشركات وما يمكن توفيره منها.

وأوضح أن من شأن المعرض تحريك وتنشيط العمل في الخدمات المقدمة للحجاج وترويج السلع والمنتجات التي يحتاجون إليها في رحلتهم إلى الأراضي المقدسة.

يذكر أن المعرض يلقي الضوء على جميع الاحتياجات السلعية اللازمة للحاج مثل الإحرامات والحقائب والمظلات والنظارات الواقية والفرشات الاسفنج والشراشف وغيرها من لوازم الحج.

وأكد وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج دعم وزارة الأوقاف لأي معرض أو فكرة تطور عملية الحج وتخدم الحجاج وأصحاب الحملات.

وشكر جميع أصحاب الحملات والمشاركين في المعرض والمعارض المشابهة لما في ذلك من أثر في تقديم المشورة والرأي بما يخدم الجميع ويعمل على أن تكون المناسبة مجدية وتكاملية بين أصحاب الحملات والمؤسسات المعنية بتقديم خدمات الحج والعمرة، وحول استعدادات الوزارة لموسم الحج المقبل، قال الفلاح إنها تجري على قدم وساق، وأشاد بجهود المسؤولين عن الحج في المملكة العربية السعودية، مشيراً إلى التعاون الوثيق بينهم وبين المسؤولين في الكويت.

وتوقع الفلاح أن يتجاوز عدد الحجاج لهذا العام ٢٠ ألف حاج ولا سيما مع وجود حملات جديدة في ظل سوق تنافسية تتعدد فيها المصادر والخدمات والأسعار.

الجمعيـة العموميـة لـ «وقف الوقت» أقرت ١٥ مشروعاً لهذا العام

اعتمدت الجمعية العامة لمشروع «وقف الوقت»، خطة المشروع للعام ١٩٩٩م، عقب اجتماع لها يوم ١٩٩٩/٢/١م، برئاسة الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف ورئيس المشروع عبدالمحسن العثمان، وبحضور عدد من ممثلي جمعيات النفع العام المشاركة في مشروع وقف الوقت. وأكد الأمين العام عبدالمحسن العثمان أن المشروع نجح في تحقيق جزء كبير من أهدافه خلال العام الماضي الذي شهد انطلاقته الرسمية.

وأوضح في تصريح للصحافيين عقب الاجتماع أن الأمانة العامة للأوقاف أعدت سلسلة من المشاريع التنموية الطموحة التي تعزز مكانة هذا المشروع وتترجم أهدافه الرامية إلى تنمية ميل الأفراد والمؤسسات للإقبال على العمل التطوعي، وإرشادهم إلى ميادين العمل التي تناسبهم والسعي إلى فتح مجالات جديدة تسهم في تنمية المجتمع وفق أحدث الأساليب العلمية، وأخيراً الدعوة للوقف على أغراض المشروع تعزيزاً لدوره البناء.

وأعلن العثمان أن خطة مشروع وقف الوقت للعام الحالي تتضمن تنفيذ ١٥ مشروعاً، حيث تم رصد ٥٢٥٠٠ ألف دينار لها، بالإضافة إلى خمسة آلاف دينار قيمة المصاريف الإدارية والعمومية ليصل إجمالي الميزانية التقديرية للمشروع إلى ٥٧٥٠٠ دينار للعام.

مشاريع العام الحالي

وتطرق إلى المشاريع المحددة للعام الحالي، وهي مشروع جائزة التطوع الذي يهدف إلى تشجيع المؤسسات التطوعية المتميزة ودعم مسيرتها، والمساهمة في نشر الممارسات الإدارية السليمة وإبراز مساهمة القطاع التطوعي في تنمية المجتمع، مشيراً إلى أن إدارة المشروع بصدد وضع النظام الأساسي للجائزة خلال شهر أبريل المقبل، بالإضافة إلى اختيار لجنة المحكمين والفائزين.

وقال العثمان إن المشروع الثاني وهو مشروع المنهج المتكامل للتدريب التطوعي، يتضمن عقد ست دورات تدريبية تهدف إلى رفع المستوى المهاري للمتعاملين، وإيجاد ثقافة تطوعية مشتركة للعاملين في المؤسسات التطوعية وتعزيز الحافز المعنوي للمتطوعين.

وأشار إلى أن مشروع التواصل مع المؤسسات الرسمية، هو أحد المشاريع الهادفة إلى شرح فكرة المشروع وفلسفته وكيفية استفادة المؤسسات الرسمية منه من خلال الالتقاء بست مؤسسات رسمية خلال العام الحالي.

وأضاف العثمان أن الجمعية العامة باركت مشروعاً للحلقات النقاشية يهدف إلى فتح المجال للحوارات العلمية والموضوعية للعاملين في المؤسسات التطوعية، ونقل تميز القطاع الثالث في الدول الأخرى إلى القطاع التطوعي الكويتي، وإيجاد لغة مشتركة بين العاملين في هذا القطاع.

مجلة التطوع

أما بالنسبة لمشروع مجلة التطوع، قال العثمان إنه اعتمد كأحد المشاريع ضمن خطة العام الحالي، بحيث تصدر ستة أعداد من المجلة خلال العام ١٩٩٩م، بواقع عدد واحد كل شهرين، كما تم اعتماد تنفيذ حملة إعلامية للمشروع، بهدف استثمار جاذبية الوسائل الإعلانية لجذب اهتمام الشرائح المتوقعة للعمل التطوعي، والترويج لفكرة وقف الوقت والعمل على ترسيخ قيم التطوع في البلاد.

منتدى التطوع

وأعلن العثمان أن الجمعية العامة ستعتمد عقد منتدى التطوع خلال شهر ديسمبر المقبل، موضحاً أن المنتدى يهدف إلى التعريف إقليمياً وعالمياً، بالعمل التطوعي الكويتي، وإبراز التجربة الكويتية التطوعية، وتعزيز قنوات الاتصال بين المؤسسات التطوعية.

وقال: كما أن الجمعية اعتمدت مشروع الطفولة والتطوع، الهادف إلى غرس قيم العمل التطوعي لدى الناشئة، ومشروع تأسيس المركز الوطني لتأهيل المتطوعين والذي سيعنى بتأهيل الراغبين في الانضمام إلى العمل التطوعي، وتقديم الاستشارات العلمية للمؤسسات التطوعية، وإيجاد مناهج تدريبية في مجال العمل التطوعي، وإيجاد آلية للتنسيق بين جمعيات النفع العام في مجال التدريب.

وبين العثمان أن تنفيذ هذا المشروع سيتم في الفترة من أبريل وحتى يسمبر المقبل.

توثيق العمل التطوعي

وأقرت الجمعية العامة لـ «وقف الوقت» تنفيذ دراسة لتوثيق العمل التطوعي الكويتي بهدف إيجاد مرجعية بحثية للعاملين في القطاع التطوعي والراغبين في البحث العلمي، والخروج بتوصيات تكون أساساً لاستراتيجية العمل التطوعي للقرن المقبل، مشيداً بالتعاون مع الدكتور سامي الخترش الذي سيترأس فريقاً وطنياً من جامعة هوبكنز للإشراف على هذه الدراسة.

وقال: لقد اعتمدت الجمعية مشروع ترجمة أدبيات العمل التطوعي، وتنفيذ دراسة إعداد تشريعات تنظيم العمل التطوعي الكويتي، وتأسيس قاعدة معلومات، وتسويق مشروع وقف الوقت.

وكشف العثمان عن رغبة إدارة مشروع «وقف الوقت» بإيجاد مقر إداري متميز للمشروع موضحاً أنه بصدد مخاطبة جهات الاختصاص لتخصيص أرض له من قبل الدولة خلال شهر أبريل المقبل قبل البدء بإعداد التصميم الأولي في سبتمبر والإعداد للحملة التسويقية لتوفير التمويل اللازم لبناء هذا المقر المتوقع أن تبلغ تكلفته عشرة آلاف دينار.

قضايا إسلامية

من افرازات الغزو العراقي للكويت

أمتنا الإسلامية على مفترق الطرق

بقلم : مصطفى محمد طه

إن الذي فجر في نفسي مكامن هذا العنوان الاستفهامي المثير هو أنني قد شهدت تلك اللحظات الدقيقة التي مرَّت بها أمتنا، يضاف إلى ذلك أنه في وسط الأزمات الطاحنة التي تمر بها الأمم، وهي في ارتقائها وانتكاسها الدوري تاريخياً، تبرز على الساحة وتدور في أذهان مفكريها - وذلك باعتبارهم قلبها النابض - أسئلة حاسمة عن مستقبلها ومصيرها وخصوصاً بعد خمود العاصفة وانطفاء ألسنة اللهب اللافح الذي وجد بسببها.

وقد مرَّت أمتنا الإسلامية بهذه المرحلة الدقيقة في واقعها الراهن، بدءاً بغزو العراق للكويت في فجر يوم الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، فأحدث بذلك تمزقاً وشرخاً عميقاً في جسد الأمة الإسلامية، مما ترتب عليه حاجة الأمة الماسّة إلى عقود من الزمان، حتى يتسنى لها القيام بلمّ حبات عقدها الذي انفرط، وكذلك رأب الصدع الذي انتاب بناءها الشامخ الذي تهاوى.

ثم ما كادت تنطفي نار هذه الحرب، حتى تعرضت لأزمة طاحنة تمثلت بحرب البوسنة والهرسك ومحاولة الصرب طمس معالم الهوية هنالك، وكذلك كان الحال في حرب الشيشان.

ولعل أبرز سؤال ظهر جلياً على الساحة ولا يزال يشغل بال مفكري هذه الأمة هو ذلك السؤال الحيوي، أمتنا الإسلامية... إلى أين المسير؟!. ولا سيما بعد أن وقفت على مفترق الطرق.

إن هذا السؤال الحيوي المثار على الساحة الآن هو الذي جعلني اختاره كموضوع للكتابة فيه، وتحليل أبعاده المتباينة، وذلك كي يتسنى لنا تبين معالم الطريق الذي ينتظر هذه الأمة في مستقبل أيامها على ظهر هذا الكوكب الأرضي بعدما تألب عليها الأعداء من كل حدب وصوب في أكثر من صقع من أصقاع الكون، ناهيك عن الحرب الحضارية، التي تعتبر هذه الصراعات تجسيداً حيالها، وقبل الإجابة على هذا التساؤل، لابد من تقديم رؤية تحليلية للأوضاع الراهنة التي أفرزته.

وبادئ ذي بدء يمكن القول : إن الإفرازات النكرة التي أفرزها الغزو العراقي للكويت متعددة ولعل أهمها الإفرازات الاقتصادية التي انعكست وستنعكس على مستقبل أمتنا الإسلامية كلها.

فهل هناك من أحد ينكر أن تلك الحرب العقيمة التي خاضها العراق ضد التحالف الدولي في ثوبه الجديد، كبَّدت الأمة الإسلامية كلها خسائر فادحة ؟ وذلك نتيجة تلك التكاليف الباهظة للحرب التي دارت رحاها على الأرض الإسلامية من أجل رد الحق إلى نصابه، كما هل يمكن لأحد أن ينكر فداحة الخسائر التي تكبَّدها العالم الإسلامي، من جرّاء الحروب في البوسنة والهرسك والشيشان ومن قبل في فلسطين؟.

ولعله غير خاف على أحد مدى حاجة العالم الإسلامي للتعاون والتكامل الاقتصادي، في دنيا التكتلات الاقتصادية العالمية التي أصبحت سمة بارزة لعصرنا.

وأمتنا الإسلامية التي قُدّر لها أن تُنكب على يد أحد أبنائها - المحسوبين عليها للأسف - هي في أمسّ الحاجة لكل دولار أُنفق هباء في هذه الحرب الشعواء فما بالك والحرب الضروس هذه قد كبدت الأمة خسائر فادحة قُدِّرت بالمليارات - ٤٠٠ مليار دولار - أضف إلى ذلك تدمير البنية الأساسية والمنجزات الحضارية لهاتين الدولتين الباغية «العراق» والمبغي عليها «الكويت»، وهنالك تشريد الآلاف من الأيدي العاملة المسلمة التي طردت من العراق وفرت من الكويت، وقطعت أرزاقها نتيجة هذه الفعلة الشنعاء.

فهل الغرب مسؤول عما حدث؟ أم أن النظام العراقي الباغي هو الذي فجَّر هذه الأزمة الطاحنة التي أتت على الأخضر واليابس وأصابت عقولنا بالحيرة، وشلّت تفكيرنا ونزعت من قلوبنا الهدوء وسلبت من نفوسنا راحة البال، وفجّرت فينا مكامن الحزن والأسى على مستقبل هذه الأمة المغلوبة على أمرها.

إزاء هذا تتساءل أمتنا الإسلامية... إلى أين سيصل اقتصادنا؟ فيا تُرى هل تستفيد الأمة من هذا الدرس أم أنها ستتراجع إلى الوراء، وتهمل استكمال أبعاد التكامل الاقتصادي - هناك بعض التكتلات الاقتصادية الإسلامية على درب التكامل الاقتصادي الكامل - الذي أصبح ضرورة ملحة، وليس ترفاً حياتياً؟ وذلك حتى يتاح لها وضعية لائقة بها في عالم اليوم، ويجب أن تقوم فعلاً لا قولاً السوق الإسلامية المشتركة التي أصبحت ضرورة اقتصادية ملحّة، ونأمل أن تكون الأزمة، رغم الأجواء القائمة المتلبدة بالغيوم التي تمخضت عنها مخرجاً من هذا المأزق الاقتصادي الخانق، الذي قُدر لأمتنا الإسلامية أن تمر به.

أما على المستوى الثقافي، فأول جانب سلبي لهذه الأزمة الفاجعة، هو ذلك الحاجز النفسي الذي انتاب العلاقات العربية - العربية على المستويين الرسمي بصفة خاصة والشعبي بصفة عامة.

ثم هناك الانفصام النكد الذي شاب مواقف كثير من المثقفين تجاه ما حدث، يضاف إلى ذلك اختلاط الأوراق لدى بعض المثقفين، ما ساعد على تولّد تصورات متهافتة، وانقلاب مروع للمعايير الثقافية الثابتة التي تعارف عليها مفكرو هذه الأمة. وصاحب ذلك سقوط

الأقنعة المزيفة التي ارتداها بعض السياسيين وشريحة من المثقفين الذين كنا نعتبرهم قبل الأزمة رموزاً فكرية، للحركة الإسلامية المعاصرة.

فأي نكبة حلت بأمتنا أشرس من هذه النكبة الحضارية التي تجسّدت في انقلاب المعايير،، فضلاً عن حال التفسخ الثقافي الذي حل بثقافتنا الإسلامية المعاصرة، من جراء غياب بعض اللمسات الثقافية الحيوية التي كانت تسهم إسهاماً بارزاً في تشكيل الملامح العامة والخاصة للعقل المسلم المعاصر، التي كانت الكويت ترفد بها هذا العقل.

وبعد أن هدأ غبار المعركة، وانقشعت غيوم الأزمة، عادت تلك اللمسات الثقافية التي غابت إلى سابق عهدها قبل الأزمة، وواصلت تأدية رسالتها الحضارية في تنوير العقل المسلم، وإحياء حضارته وترسيخ ثوابته، من أجل إقلاع أمتنا إقلاعاً حضارياً يعيد لها وضعيتها الحضارية المتميزة التي ضاعت بعض قسمات ملامحها في هذا العصر الذي يعتبر عصر التميز الحضاري.

ولربما يتساءل البعض : وما تلك اللمسات الثقافية التي ضاعت؟ وللإجابة يمكن القول: إن هذه اللمسات تتجسد خير تجسيد في ذلك العطاء الثقافي للكويت على مستوى عالمها العربي والإسلامي، ثم هناك المؤسسات الثقافية التي تأثرت بهذا الغزو الجائح سواء على المستوى العربي أو الإسلامي، وإن كان بعضها قد استرد عافيته بعد انتهاء الغزو وعودة الكويت إلى حضن أمتها الإسلامية الحاني عليها وذلك لوضعها المتميز على الساحة الإسلامية.

ولم يقف الانتكاس الثقافي الذي واكب الأزمة عند هذا الحد، بل حدث توقف ـ موقت ـ لذلك الدور الثقافي الرائد الذي كان للكويت قبل الغزو، وهذا الدور الثقافي الفذ حجب عنا سماء الثقافة الكويتية الصافية التي كانت ترسل شمسها الساطعة بأشعتها الذهبية التي كانت تضفي على وعينا الفكري طابعاً من الديناميكية، لحين من الوقت، وحُرمنا كمثقفين مع مطلع كل أسبوع وكل شهر وكل فصل من تلك البصمات الثقافية الفريدة كالمجتمع والخيرية والبلاغ والوعي الإسلامي والعربي وعالم المعرفة وعالم الفكر والمجلة العربية للعلوم الإنسانية ومجلة العلوم الاجتماعية ومجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ومجلة دراسات الخليج، والجزيرة العربية، وحولية كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ ... إلخ، التي سرعان ما عادت للصدور المنتظم ولا تزال.

وبعد الأزمة مباشرة كان سؤالنا الملحّ، تُرى ما مصير الثقافة العربية الإسلامية بعد الأزمة؟ فهل ستعود إلى سابق عهدها؟ وتستدرك ما فات أم إنها فعلاً دخلت في نفق مظلم لا مخرج لها منه، وكنا نأمل وقتها للثقافة العربية الإسلامية أن تقوم فعلاً برأب الصدع الذي انتاب كيانها وتعود إلى نشر صفحاتها المشرقة التي طويت قسراً بفعل العدوان الغاشم من العراق على الكويت.

ولكن الكويت الرائدة، وكما هو العهد دائماً بها استردت وضعيتها المتميزة على الساحة الثقافية، وعاودت فعلاً إصدار نتاجها الثقافي الحيوي تباعاً، لكي تواصل إن شاء الله تعالى إرسال إشعاعها الثقافي إلى كل مكان في أمتها العربية والإسلامية، بل العالم أجمع، وهكذا كانت الكويت وستظل واحة خضراء للأمان النفسي والثقافي.

وبناء على ما سبق نستطيع أن نؤكد أن ثقافتنا الإسلامية أصبحت إبان الأزمة وبعدها على مفترق الطرق، فإما أن ترتقي إلى مستوى المنطلقات التاريخية الدقيقة التي تمر بها الأمة وتحاول محاولات جادة من أجل نزوع الإنسان المسلم نحو الفعالية الحضارية وفهم أبعاد الموقف الراهن الذي تمر به الأمة، وإلا فإن مصيرها الذي ينتظرها هو التقوقع داخل تلك الشرنقة وتحجرها وتمحورها حول ذلك التنظير المرضي الذي صنعه لها بعض الطغاة.

إن الوصول إلى هذه الحال اليائسة لهو الموت الحضاري بعينه لأمتنا ذاتياً ووجودا ولإنسانها الذي نأمل له الوصول إلى ذلك الوضع الأمثل، ألا وهو الارتقاء الحضاري الشامل، ولن يتم له هذا إلا من خلال جرعات ثقافية ذات دلالة حضارية.

أما على المستوى الاجتماعي، فلقد تمخض عن الأزمة إفرازات اجتماعية وخيمة العواقب، فمثلاً كم من الأسر انهارات دعائمها، وهتكت أستارها، وتعرى سياجها الآمن، وأصبحت الآن كيانات ممزقة ولا يعلم إلا الله عز وجل متى سيلتم شملها؟ فكم من الآباء ماتوا، وكم من النساء ترملن وكم من الأبناء ضاعوا بعد التشتت الأسري الذي حل بأسرهم نتيجة القتل والتشريد، وكم من البيوت التي كانت مفتوحة على دخل هاتين الدولتين ـ الكويت والعراق ـ أغلقت ولا يعلم متى ستفتح ثانية ـ كما كانت قبل الغزو ـ إلا الله، وأكبر دليل على ذلك قضية الأسرى، وهذا الأثر السيئ قد شمل جميع بقاع العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك البعد النفسي الذي تولد عن ضياع الأحلام، وكذلك واكب الأزمة ولا يزال إبهام في معالم الأمن في ربوع تلك المنطقة الآمنة من العالم، واستفادت إسرائيل من ذلك أكبر استفادة، ولا يعلم إلا الله وحده متى ستزول تلك البصمات الخانقة التي تركتها الأزمة.

فهل يا تُرى تستطيع أمتنا أن تتجاوز هذه الأبعاد الخطيرة؟ وتستعلي عليها، وتعيد لهيكلها الاجتماعي المسلم الذي أصيب في صميمه، ما أبهم من ملامحه الناصعة قبل الأزمة، ونأمل أن تكون الأزمة بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها الأمة، وذلك من أجل التخلص من الشوائب التي كانت عالقة بجسدها اجتماعياً قبل الأزمة.

أما على المستوى البيئي والصحي، فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن الأزمة كان لها أسوأ الآثار على الأوضاع البيئية في المنطقة، وذلك كنتيجة فعلية لذلك الجرم الفادح واللاإنساني الذي ارتكبه النظام العراقي في حق البيئة البحرية والأحياء المائية، عندما قام بتسريب الزيت من آبار البترول إلى مياه الخليج الهادئة، محدثاً بذلك خللاً فظيعاً في توازن البيئة سيمتد أثره المدمر إلى آفاق أوسع، ولم يكتف العراق الباغي بهذا الجرم الشنيع، بل قام بحرق وتفجير آبار البترول في الكويت، وهو بهذا العمل الشيطاني قد تسبب في حدوث أكبر كارثة بيئية شهدها التاريخ البشري منذ انبثاق فجره البازغ وحتى لحظتنا الراهنة هذه.

تُرى ماذا نسمي كل هذه الأفعال الخرقاء والرعناء؟ والتي ترتب عليها إهدار مئات المليارات من الدولارات، والأمة كل الأمة بلا استثناء في حاجة ماسّة إلى كل دولار منها لكي توظّفه توظيفاً رشيداً في خدمة قضاياها المصيرية، وأول هذه القضايا قضية الصراع الوجودي بيننا كمسلمين وبين الكيان الصهيوني «إسرائيل»، فهل يا تُرى ستستفيد أمتنا من هذا الدرس الدامي، وتعمل جاهدة على

التخلص من ربقة تلك البصمات الخبيثة بيئياً وصحياً، وتستأصل شأفتها من الوجود وتفيق من سباتها العميق، وتنهض نهوضاً حضارياً، يكون للبعد البيئي بمفهومه الصحي دور بارز أم أنها ستعتبر أن ما مر بها كان مجرد فصل في مسرحية، وسرعان ما انتهت ملامحه وملامح الأشخاص الذين أدوا أدوارهم فيه بمجرد إسدال الستار عليه، لكي تبدأ فصول مسرحية أخرى وهلم جرا...

ولكن الواقع التاريخي يقول: إن ما مر بالأمة هو بلا شك نقطة تحول مهمة في مسارها الحياتي، ما يحتم عليها الوقوف أمامه طويلاً، فضلاً عن أن تعيد حساباتها على هدي من كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وإفراز حضارتها مستفيدة في ذلك بالسنن الكونية التي خلق الله عز وجل على نسقها الكون.

وذلك حتى يتسنى لها أن تعود كما كانت، ولا تضيع منها معالم الطريق، وتتفرق بها السبل، أما على المستوى السياسي: فلقد كشفت الأزمة عن ذلك الترهل والتمزق الذي انتاب القيادات السياسية إزاء ذلك الخرق الفادح للجسد العربي والمسلم، وذلك عندما تباينت مواقف هذه القيادات تجاه تلك الفعلة الرعناء من قبل النظام العراقي، وبالتالي سقطت كل الأقنعة المزيفة التي كان يلبسها هؤلاء السياسيون، كما سقطت من قبل أقنعة المثقفين، وعلاوة على ذلك، أصبح الوضع السياسي العربي والمسلم يبعث على الغثيان ويثير في النفس علامات التقزز خصوصاً إبان الأزمة، فكان هناك المؤيد والمعارض.

وكنا نأمل أن تتوحد كل جهود السياسيين من العرب والمسلمين، للوقوف صفاً واحداً في وجه المعتدي الآثم، حسب التصور القرآني لحل المشكلات والعلاقات الساخنة بين الإخوة المؤمنين، ولو حدث ذلك لكان قد حمى الأمة من مغبة الدخول في متاهات الحرب والاستعانة بالغير ولما حدث ما حدث لو لم يغزُ العراق الكويت، لكان وضع المسلمين تحسّن في حرب البوسنة والهرسك وحرب الشيشان، ومن قبل في حرب فلسطين، فيا ترى هل تعي الأمة حقيقة هذا الموقف؟ وتدرك تمام الإدراك أن الوحدة الإسلامية على المستوى السياسي والمستوى الشعبي، هي ركيزة حيوية من ركائز المستقبل الإسلامي الذي نريد له الازدهار والنماء بدلاً من التشرذم والضياع، وذلك حتى يتسنى لنا توجيه كل الإمكانات المتاحة إلى صد العدوان الحقيقي، وهنا التحدي هو الوجود الصهيوني الكريه، والذي تغذيه الصهيونية العالمية والغرب من أجل شل فاعلية المد الإسلامي الحضاري، ولعل الأمة تستوعب حجم هذا الدرس الحيوي، بعد أن هدأ غبار المعركة، وصمتت أصوات المدافع، التي قُدر لها أن تدوي بين الأخوة في العقيدة واللغة والتاريخ والثقافة، والمصير المشترك، بدلاً من أن تدوي وتقتلع الكيان الصهيوني - الجاثم على أرض فلسطين السليبة - من الجذور، وذلك حتى لا يعيث في ديار المسلمين فساداً وظلماً وعدواناً، ولم يكتف بذلك، بل هو يحاول - كما سبقت الإشارة - محاولات شتى لمحو كل بصمة حضارية تمت بصلة إلى الوجود الإسلامي في أرض فلسطين السليبة، ثم بعد ذلك يأتي الدور على البلاد العربية الواحدة تلو الأخرى طبقاً للتصور التوراتي، الذي رسم معالم التوسع اليهودي الشاسع على حساب الآخرين، وما الآخرون هنا إلا المسلمين.

كل ما سبق كان مجرد مؤشرات تحدد لنا معالم وملامح الطريق الذي يجب أن تسلكه أمتنا الإسلامية بعد هذه الأزمة الطاحنة، التي جعلت أمتنا، وكما سبق القول على مفترق الطرق، ومن هنا وجب أن تكون معالم هذا الطريق معبدة ومهيأة وواضحة وذلك حتى لا تذوب الأمة في الآخرين حضارياً، وتتجنب الارتطام الصارخ بصخور الواقع الصلد وتعود أدراجها.

ويمكن لنا أن نستشرف معالم الطريق الذي يجب أن تسير فيه أمتنا سيراً حثيثاً حسب التصور التالي:

١ - يجب على الأمة - فعلاً لا قولاً - أن تبلور ملامح المشروع الحضاري الإسلامي، وهذا من منطلق إبراز الهوية الحضارية الإسلامية في مواجهة الأعداء، وذلك من أجل الاستقلال الحقيقي لمسلمي اليوم والغد.

٢ - تكوين كيان اقتصادي إسلامي يحقق الاكتفاء الذاتي لمسلمي اليوم والغد، حتى لا نكون عالة على الآخرين غذائياً.

٣ - تكوين قاعدة راسخة للتكنولوجيا الإسلامية وذلك لكي يتسنى لنا كمسلمين أن ندخل القرن الحادي والعشرين، ونحن متناغمون مع روحه ونمطه ونسقه الحضاري.

٤ - تكوين قوة ردع إسلامية، وذلك حتى تتجنب الأمة وقوع ما حدث مرة أخرى.

٥ - تكوين كيان ثقافي إسلامي، يكون بإمكانه الحفاظ على الذاتية الإسلامية في مواجهة الآخرين.

٦ - تكوين الوحدة الإسلامية الحقيقية وعلى جميع المستويات حتى يتاح لنا فعلاً الارتقاء إلى مستوى اللحظات التاريخية الحاسمة التي تمر بها أمتنا، ويصبح بالتالي في إمكاننا مواجهة جميع التحديات الحضارية التي تواجه أمتنا الإسلامية في معركة البقاء.

وأخيراً وليس آخراً، نستطيع أن نقول: إن أمتنا الإسلامية، وهي الآن على مفترق الطرق، يتحتم عليها - لكي تجد لها مكاناً تحت الشمس - أن تعيد ترتيب أوراقها وتعود إلى منابعها الأصيلة، وتأخذ منها كل المقومات الصالحة لغرس نبت إسلامي جديد، سيؤتي أكله بإذن ربه، ويجب عليها كذلك أن تدرك تمام الإدراك أن مستقبلها ستحدد ملامحه وآفاقه بناء على الاستشراف الناضج، ومن هنا نستطيع أن نقول فعلاً: أمتنا الإسلامية ... إلى أين؟!، وهذا التساؤل المحير لاينطبق على الإسلام وذلك لأن ليس للإسلام قضية فيما حدث ويحدث، وإنما القضية الحقيقية هي قضية المسلمين على حد تعبير الأستاذ الدكتور رشدي فكار، والذي ينتظر في غرفة الإنعاش هم المسلمين، والإسلام ما زال وسيظل مشرقاً، وذلك لأنه منهج الله (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة:١٣٨.

إزاء هذا، نطرح ونحن في ختام محاولتنا هذه، هذا السؤال الحيوي ألا وهو: هل فعلاً استفادت أمتنا من هذا الدرس؟ وهل سنعيد فعلاً صياغة واقعها على ضوء تصورات جديدة تعيد لها إشراقها وتألقها الحضاري وحيويتها وديمومتها؟ أم أنها ضاعت منها معالم الطريق، ولم تعد قادرة على الاختيار، والتمييز بين ما هو حق وما هو باطل؟ نأمل لأمتنا ألا يكون حالها الراهن معوقاً لها عن استشراف ملامح الغد المشرق الذي سيعيد لها قسمات وجودها الحضاري الذي ضاعت بعض ملامحه نتيجة تلك النكبات التي حلت بها، ولهذا ما زال التساؤل قائماً... أمتنا الإسلامية... إلى أين؟! والله من وراء القصد. ■

حل المنازعات بالطرق السلمية في القرآن والسنة

بقلم: الدكتور ماجد أحمد المومني

أفردت موضوعاً خاصاً عن قواعد وثوابت القانون الدولي وبينت أنها بجذورها مستوحاة من القرآن والسنة، وتعرضت لعدد من القوانين الدولية المتعارف عليها في العُرف الدولي ومنها مبادئ عن الحرية والمساواة والعدل.

بما تفخر به الديموقراطية الحديثة وبينت في موضوع خاص أنها مبادئ لا ترقى إلى مبادئ الشورى الإسلامية، ثم تعرضت لحقوق الإنسان وبينت أنها في مضامينها وقواعدها وتطبيقاتها منهج نظر وعمل وسلوك الفضائل في القرآن والسنة، وما كانت يوماً في الشريعة الإسلامية فصلاً بين المبادئ والتطبيق أو بين النظر والعمل.

ثم توالت الأبحاث بما فتح الله على بصيرتي من فهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأدافع عن الإسلام في وقت تقوم به الحملة الظالمة على الإسلام والمسلمين والنعوت الباطالة كالإرهاب، والقتل والدمار وحب الحرب... وبينت بما فتح الله عليَّ في دراسة الحقائق التالية:

١ ـ الإرهاب بأشكاله وألوانه ابتداء من الإرهاب الفكري، وانتهاء بالإرهاب التكنولوجي، قد جاء في البروتوكول السابع، من بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسي، طبعة دار التراث بمصر صفحة ١١٥ ما يلي:

«... إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي... الحرية والمساواة والإخاء، ولن نبدّل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبّرة ببساطة عن فكرة وسوف نقول حق الحرية... وواجب المساواة وفكرة الإخاء، وبها سنملك الثور من قرنيه، لا وهو أن لنا طموحاً لا يحدُّ، وشرهاً لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تُحسُّ».

٢ ـ الحقيقة الثانية أن مبادئ حقوق الإنسان والتي أقحمها مفكرو اليهود في الثورة الفرنسية ابتداء وانتهاء بمبادئ حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، تفصل المبادئ عن التطبيق، وتجعل منها أوهاماً يتعلق بها الضعفاء من الأمميين ويقصدون بهم العرب خاصة والمسلمين عامة.

فقد جاء في البروتوكول الثالث، المصدر السابق نفسه ما يلي:

«... لقد حرصنا على أن نُقْحِم حقوقاً للهيئات خيالية محضة فإن كل ما يسمى بحقوق البشر أو حقوق الإنسان لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً».

٣ ـ الحقيقة الثالثة: هي أن النظام الرأسمالي لايوصل إلى الحكم بسلطاته الثلاث... التشريعية والتنفيذية والقضائية، والسلطة الخفية الرابعة وسائل الإعلام بأساليبها المختلفة والمتنوعة... أقول إن هذا النظام لايوصل إلى هذه السلطات إلا الرويبضة... وهم كما وصفهم رسول الله ـ ﷺ ـ عامة الناس من الجهلة والذين يحكمون الأمة، فلا يستطيع حاكم أو نائب في البرلمان أو قاض أن يصل إلى كرسي الحكم إلا بأموال دهاقنة الربا والفواحش والنزيه الشريف العالم يشكو من فراغ معدته وطواء بطون أولاده ولا يملك حتى رسوم الترشيح ولا يعطي موطئ قدم شريف ليصل إلى منصب ينصفُ الأمة ويزيل الغمة.

فقد ورد هذا التخطيط الخبيث في البروتوكول الثاني لبروتوكولات حكماء صهيون الخبيثة المصدر السابق نفسه، وجاء به ما يلي:

«... سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ولهم ميول العبيد، ولكن لن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم...».

٤ ـ الحقيقة الرابعة: هي ألا وجود للأخلاق والعهود والمواثيق الدولية في قاموس الصهاينة واليهود عامة تماماً كما وصفهم الله في قوله تعالى:

(... أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون...) البقرة: ١٠٠، وقد ورد ذلك في البروتوكول الأول ـ من بروتوكولات حكماء صهيون الإجرامية: «... إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالإخلاص ليس سياسياً بارعاً، وهو لذلك غير راسخ على عرشه، لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء فإن الشمائل العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في عالم السياسية...».

الإسلام دين السلام:

الإسلام في اللغة الإذعان والطاعة لله تعالى ورسوله... وهو

سلام ورحمة للعالمين مصداقاً لقوله تعالى: (... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...) الأنبياء:١٠٧.

وفي الشريعة... الإسلام دين الله للعالمين كافة مصداقاً لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام...) آل عمران:١٩، (... ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين...) آل عمران:٨٥.

والسلام من أسماء الله الحسنى، والمسلمون أحفاد سيدنا إبراهيم... وإبراهيم هو أول المسلمين... والعرب هم أحفاد إبراهيم وهم به أولى من اليهود والنصارى، بل إن الله صراحة أعلمنا أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكنه كان حنيفاً مسلماً، مصداقاً لقوله تعالى: (... ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨.

وقد حذرنا الله من اليهود بخاصة والمشركين عامه... ألا نؤمن لهم بعهد ولا ميثاق وأن نحذرهم... فاليهود لا عهد لهم ولا ميثاق ولا يؤمنون بالسلام، وأمة الإسلام دُعاة سلام وأمن واطمئنان، والإرهاب ملّتهم وسلوكهم وطغيانهم، مصداقاً لقوله تعالى: (... لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

واليهود أشد الناس عداوة للمسلمين مصداقاً لقوله تعالى: (... لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...) المائدة:٨٢.

وقوله تعالى: (... الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون...) البقرة:٢٧.

(... لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم...) آل عمران: ٧٣.

(... لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) آل عمران:٢٨.

الإسلام دين التراحم بين الناس:

فمن مظاهر التراحم بين الناس والتي هي مبادئ إسلامية سامية وردت في القرآن والسنة ما يلي:

١ ـ الإسلام دين التوحيد:

فبعد أن كانت عبادة الأوثان والأصنام والأزلام متعددة... أصبح توحيد الله الواحد الأحد، الفرد الصمد... المتنزه عن كل نقص... الكامل الكمال المطلق الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر... وكل ذلك في قوله تعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد). الإخلاص: ١ ـ ٤.

٢ ـ الإسلام دين وحدة الخلق:

لا اختلاف في الأصل واللون أو الجنس أو الحسب أو النسب أو العرق والتفاضل فيه للتقوى فقط، والتقوى مخافة الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، والإيمان بأركان الإيمان الستة تصديقاً بالقلب، وإقراراً باللسان... وعملاً بالجوارح مع عمل وأداء لأركان الإسلام الخمسة بأوقاتها وأحكامها ومقاديرها وأركانها... بسلوك إجرائي أدائي... منتظم، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (... يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء...) النساء:١، فوحدة الخلق أسقطت نظرية شعب الله المختار وجعلت المفاضلة بين الأفراد والشعوب هي في التقوى فقط، مصداقاً لقوله تعالى: (... إن أكرمكم عند الله أتقاكم...) الحجرات:١٣.

١٣ ـ المؤمنون إخوة:

الأخوة في الإسلام... إخوة الإيمان والعقيدة والسلوك، إخوة التعاون والأمر بالمعروف، إخوة نصرة الحق وإنصاف المظلومين... إخوة تتكافأ بها دماء جميع المسلمين ويسعى بذمتهم وخدمتهم كل واحد فيهم، مصداقاً لقوله تعالى:

(إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠.

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون: ٥٢.

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢.

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣.

وفي الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم والترمذي.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

«الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم والترمذي. «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» متفق عليه. و « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه

«المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه مسلم والبخاري.

٤ ـ المؤمنون بعضهم أولياء بعض:

قال تعالى:

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله وأولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة:٧١.

الولاية في هذا المقام تعني التعاضد والمشاركة والمسؤولية في كل ما يهم المسلمين أفراداً وجماعات وهذا لا يكون إلا بإطاعة الله والرسول التي وضحتها الآية الكريمة التالية في قوله تعالى:

(.. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء: ٦٥، وربما الآية الكريمة التالية تكمل معنى هذه الآية في قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال:٢.

وهذا البند أعم وأشمل من البنود السابقة وشروطه الامتثال الكامل للسنّة النبوية الشريفة من قول أو عمل مع مخافة الله في السر والعلانية في كل الأحوال والأفعال.

حل المنازعات بالطرق السلمية:

وهذا هو بيت القصيد في هذا الموضوع.. فمسألة الخلافات بين الأفراد أو الجماعات أو الأمم أوتكتل في الدول مع ما يقابله من تكتل مضاد موجود منذ عهد آدم وحتى الآن.

ولكن القوانين الوضعية مهما بلغت من الدقة والكمال، فإنها لا ترقى إلى التشريعات الإلهية في هذا الموضوع وتنظيماً للبحث بصدق وثبات وموضوعية... أطرح هذه الخلافات بأشكالها التالية:

١ ـ الخلافات بين المسلمين أفراداً أو جماعات مع الحلول الإسلامية بتشريعاتها الإلهية في القرآن والسنة.

٢ ـ الخلافات بين المسلمين وغيرهم مع الحلول وفقاً للقرآن والسنة وهذا البند ينقسم إلى:

ـ الخلاف مع غير المسلمين على مسائل دون احتلال لأراضي المسلمين أو جزء منها.

ـ الخلاف مع غير المسلمين الذين يحتلون أراضي إسلامية.

٣ ـ معاملة المسلمين لغيرهم من الملل والمذاهب داخل ديار المسلمين أو ممن هم خارج ديار المسلمين جواراً كانوا أو متباعدين.

وسأحاول طرح هذه البنود ودعمها بما تيسر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مع إفساح المجال للباحثين للاستزادة والإفادة في هذا الموضوع.،

● أولاً : الخلافات بين المسلمين

ويمكن أن يكون هذا الاختلاف في الرأي أو المذهب أو الاجتهاد والقول الفصل للقرآن الكريم ومن ثمّ السنة النبوية الشريفة، مصداقاً لقوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام: ١٥٣.

فكل شيء مفصل بالقرآن الكريم ابتداء من الحدود للزنى والسرقة والقذف والقتل العمد والقتل الخطأ إلى ما شابه ذلك، والجروح قصاص جميعها واضحة في القرآن الكريم، فإن اختلط على المسلمين شيء فالرجوع إلى السنة النبوية الشريفة قولاً أو عملاً أو إقراراً لتطبيق أمر الله في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء: ٦٥.

فإن اختلط الأمر على المسلمين، فلم يجدوا نصّاً صريحاً في القرآن أو السنة النبوية فالتحكيم لعلماء المسلمين ممن تنطبق عليهم شروط الإفتاء وأهمها العلم مع التقوى... إن العلم من دون تقوى قد يوقع في الزلل والخطأ في أساليب إبليس وجنوده... ولابد من التمثيل حتى يسهل الفهم.

إن مسألة خلق القرآن التي أثارت الاختلاف بين المسلمين في عهد المأمون نتيجة لاطلاع بعض الفرق الإسلامية على الفلسفات القديمة من إغريقية وزرادشتية جعلت بعض الزنادقة يقولون بخلق القرآن بحجة أن العقل البشري يدرك ذلك.

ولأن تخصصي دكتوراه في الفلسفة أقول لهم إن العقل لايدرك إلا ما كان في دائرتي الزمان والمكان، فلا يمكنني أن أتصور الأزل... الأبد... حرارة جهنم وكيف يحتملها أصحاب النار... كما ولا يمكنني بالمقابل تصور النعيم المقيم في الجنة، ولا أنهار العسل واللبن والقطوف الدانية، فهي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت ببال بشر، حتى ولو وجد الاختلاف في هذه المسائل فالفتوى لعلماء المسلمين الأتقياء الذين يخافون الله، مصداقاً لقوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال:٢.

فلا يجوز الإفتاء لعالم من دون تقوى لأنه قد يستخدم ذكاءه وعلمه في خدمة إبليس كما لايجوز لتقي دون علم الإفتاء بحجة الإلهام والكشف وهي أمور لا تستند إلى العقل، وفي هذه المسائل... الاستنساخ البشري... تحديد النسل... تنظيم الأسرة... إقامة السلام مع اليهود المطرودين من رحمة الله، والذين يحتلون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين... وما شابه ذلك من مسائل... الفتوى بها لأهل العلم والتقوى معاً.

أما إن وصل الخلاف بين المسلمين أفراداً أو جماعات إلى حد الاقتتال فالحلول موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصاً وروحاً في قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات:١٠.

الخلاف ظاهرة طبيعية حتى بين الإخوة... ولكن بقية المسلمين... عليهم واجب الإصلاح بينهما وهذا الواجب أمانة في أعناقهم فلا

يبخل عنه قادر ولا يتفرج عليه متخاذل مصداقاً لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، فإن احتدم الخلاف ولم يمنع من وقوعه الاحتكام إلى حبل الله ورسوله فلابد من مقاتلة الفئة الباغية بأمر من الله ورسوله مصداقاً لقوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات:٩.

ومن تدبر هذه الآيات القرآنية يجد أن حل المنازعات بالطرق السلمية ابتداء بالإصلاح وإنتهاء بمقاتلة الفئة الباغية لابد أيضاً من أن نختمها بعد القتال بإصلاح عادل... فالله يحب المقسطين... الإصلاح السلام هو الأساس ابتداء وآخرا... أي شريعة وأي قانون يرقى إلى مثل هذا الوضوح!.

● **ثانياً: الخلافات بين المسلمين وغيرهم:**

أ - الخلاف على مسائل دون احتلال أراض... مثل صلح الحديبية والمعاهدات مع اليهود والتي نقضوها مع الرسول ابتداء من تحالفهم مع أعداء المسلمين إلى خيانتهم في غزوة الإحزاب وانتهاء باحتلال فلسطين والضفة والقطاع وجنوب لبنان... والجولان، فالصلح معهم قبل الخيانة والاحتلال جائز، وغير جائز مع الخيانة والاحتلال.

أما الحكم الشرعي في المسائل دون احتلال أراض للمسلمين فالأحكام موجودة نصاً في القرآن الكريم بقوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) المتحنة:٨.

ب - أما إن كان الخلاف مع الغير مع وجود الاحتلال - كما هو واقع الآن - على أرض فلسطين والضفة والقطاع والجولان وجنوب لبنان.. فالجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى تتحرر الأرض وننقذ الأهل... تخرج المرأة دون إذن زوجها، وإعلان الجهاد على أفراد الأمة الإسلامية شيباً وشباناً... ذكوراً وإناثاً فريضة...

وما يسمونه إرهاباً هو غير الدفاع عن النفس وإنقاذ الأرض وحماية العرض، وإسعاف الأهل مصداقاً لقوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون). التوبة:٤١.

(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) التوبة:٥.

(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة:١٢.

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) التوبة: ١٤.

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة:٢٩.

بل إن الله قد نص صراحة على قتال اليهود لكفرهم وطغيانهم وقتلهم الأنبياء وإشاعتهم الفساد... ومنع المسلمين من موالاتهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون... بمعنى لا يجوز لمسلم أن يسالمهم ماداموا يحتلون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومهبط الإسراء والمعراج والأرض المباركة في فلسطين والجولان وجنوب لبنان والضفة والقطاع مصداقاً لقوله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) المتحنة: ٨ - ٩.

ثالثاً: معاملة المسلمين لغيرهم من الملل والمذاهب داخل ديار الإسلام... لهم ما لنا وعليهم ما علينا... شرط أن يدفعوا الجزية مقابل حمايتهم وأمانهم على أرواحهم وممتلكاتهم... مع إعفائهم من الزكاة المفروضة على المسلمين.

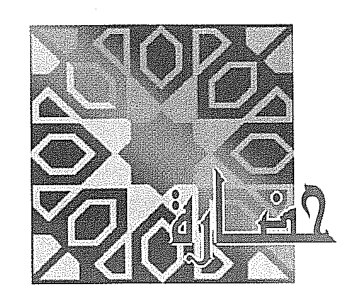
أما معاملة المسلمين لغيرهم خارج ديار المسلمين فتقوم على الاحترام المتبادل وعدم الاعتداء والالتزام بالعهود والمواثيق.

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) المؤمنون : ٨

هذه شريعة الإسلام ... عقيدة ومنهج حياة وما الحملة الظالمة على الإسلام إلا لتغطية جرائم الاحتلال والمذابح التي ارتكبوها في دير ياسين الفلسطينية وبحر البقر المصرية وعناقيد الغضب في قانا اللبنانية... ومذابح صبرا وشاتيلا وما ارتكبوه من هدم للبيوت على رؤوس أصحابها... ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات والقرى المحصنة مصداقاً لقوله تعالى : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألاإنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) البقرة: ١٠ - ١٦. ■

المراجع:

● أصول الدين الإسلامي - أ.د. قحطان الدوري - جامعة آل البيت.
● فلسفة الحضارة الإسلامية - أ.د. عفت الشرقاوي - جامعة الإسكندرية.
● بروتوكولات حكماء صهيون الإجرامية - ترجمة أ. محمد خليفة التونسي.
● المبادئ العامة في القانون - أ.د. عبدالمنعم الصدر - معهد الدراسات الإسلامية.
● التنظيم الدولي أ.د إبراهيم أحمد شلبي - جامعة الإسكندرية.



هوية الإعلان في سياقه الحضاري

منذ سنوات عدة قرأنا في إحدى الصحف القاهرية، أن أحد الأشخاص قام بتحطيم جهاز التلفاز إثر إصابته بنوبة عصبية، من فرط تأثير بعض الفقرات الإعلانية عليه.

والحقيقة أن هذا الشخص لم يرد أن يصيب الجهاز بأدنى أذى، فهو سلوته، إنما أراد أن يحطم تلك المنظومة الدعائية، الاستهلاكية، اللاأخلاقية، والتي انبعثت من داخل هذا الصندوق ذي الواجهة الزجاجية، وقد جعل العالم من حوله يُباع ويُشترى، كما جعل منه رب أسرة عاجزاً أمام متطلبات لا تنتهي، وبغير ذات قيمة حقيقية من أجل العيش بكرامة.

بقلم: محمود العطار



ولا عجب أن تكون نواة الإعلام الحديث قد ظهرت من أجل خدمة الدبلوماسية والتجارة وأسواق المال، على هيئة وكالات للأنباء مع بداية القرن التاسع عشر، وهي الحقبة التي شهدت الثورة الصناعية في الغرب توازياً مع التغير الضخم في بنية الفكر الغربي، فظهرت على كوكب الأرض حضارة جديدة، تحمل سمات وخصائص نابعة من ذاتها، متخذة لصيرورتها ما يناسبها من قيم ومبادئ حفاظاً على استمرارها.

ولئن كانت الثورة الصناعية قد انتجت ضمن ما أنتجت وسائل الاتصال الجماهيري، فأهمية هذه الوسائل فضلاً عن خطورتها، أنها تستطيع أن تشكل وتصنع رأياً عاماً يكون في خدمة أهداف الحضارة المستخدمة، وتكمن الخطورة في سمات وخصائص وقيم ومبادئ تلك الحضارة التي وإن كانت تصلح لأهلها أو منطقتها، فليس بالضرورة أن يصلح بعضها أو كلها لباقي خلق الله، ولكن الواقع يفرض على سكان الأرض أن يتعرفوا عليها في أضعف الأحوال، إن لم يتشربوها، بفضل ما يمتلكه الغرب من أدوات وتقنيات فعالة وعابرة ومبهرة.

ومأساة الغرب أنه جعل المنفعة المطلقة في الحياة هي الغاية المثلى بصرف النظر عن أي اعتبارات إنسانية، وكان من نتيجة ذلك ظهور الجشع البشري في صورة رأسمالية بلا حدود، تطورت إلى إمبريالية شرسة تسمح للدول الصناعية أن تمتص دماء إخوانها من البشر، وتحولهم إلى عالم ثالث كما يطلق عليهم الإعلام الغربي!

والمأساة الأخرى في بنية الحضارة الغربية أنها اشترت العقل بالإيمان، معتقدة أنه الحقيقة المطلقة التي مكنتها من تلك الثورة والقفزة التاريخية، وهذا هو الغرور المفضي إلى خواء الروح.

في قلب هذا الخضم الحضاري يظهر الإعلام كخصيصة من خصائص العصر ومقوم من مقومات الحضارة، وفي قلب الإعلام يأتي الإعلان «التجاري» كأخص الخصائص وأدق المكونات، فإذا كان جوهر «المدنية» الغربية قائماً على عبادة المال وتأليه العقل، فالنتيجة تكون السعي وراء المال بأي وسيلة، والانسلاخ عن القيم الروحية والعقدية، والنفور من الثوابت الأخلاقية والإنسانية، بعد الالتجاء للعقل كمعيار وحيد ومطلق يستهدي به المجتمع في مسيرة حياته.

وهنا يتضح دور الإعلان المحوري في الحضارة الغربية الحديثة، باعتباره الركيزة التي ترتكن إليها الآلة الصناعية من

أجل التسويق والبيع والربح، فتتغذى الآلة وتنمو، وتدور الدورة دورتها. ولا يألوا القائمون على المؤسسات الرأسمالية جهداً لإيصال المنتج إلى المستهلك بأي وسيلة كانت، حتى رأينا بعض الإعلانات تساوي بين المنتَج وبين الحياة ذاتها، ولا أظن أن تلك الفتنة قد بعدت عن إثم الشرك كثيراً، ولأن الإعلان يقوم على الإبهام والاستهواء فلابد للصورة أن تبهر وللكلمة أن تسحر، حقاً أو باطلاً، لأن هدف جمع المال أسمى من أي شيء، والعقل وافقنا على ما نقترفه من أعمال أو «جرائم» من أجل تقدم حضارتنا وتضخمها وازدهارها.

بذلك نستطيع أن نتلمس طريقاً لاكتشاف أسباب التردي الأخلاقي فيما نرى ونسمع ونقرأ من إعلان مكتوب ومنطوق باللغة العربية، لسان حضارتنا وثقافتنا وديننا وقرآننا، ومع التطور التقني أصبحت الصورة كذلك لغة، وعليه فالأجدر بها أن تنبع من ثقافتنا وتعبر عن حضارتنا وتتفق وعقيدتنا.

والإسلام ضمن تيار تاريخي جعل الله للكون فيه من سنن بها تقوم الحياة وتأخذ الدنيا زخرفها، وتتشكل صورة كوكب الأرض بقدر طاقة الإنسان على التصور والعمل بما يعتقد.

والظرف التاريخي الذي يحياه المسلمون جُعلت كلمة الغرب هي العليا، لأن الله سبحانه (لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأهل الإسلام لا يغيرون ما بأنفسهم من تبعية، تتمثل تلك التبعية في مجال طرحنا لموضوع الإعلان بما ننقله من مفاهيم وقيم، هي في الأصل غريبة بعيدة عن جذورنا وهويتنا.

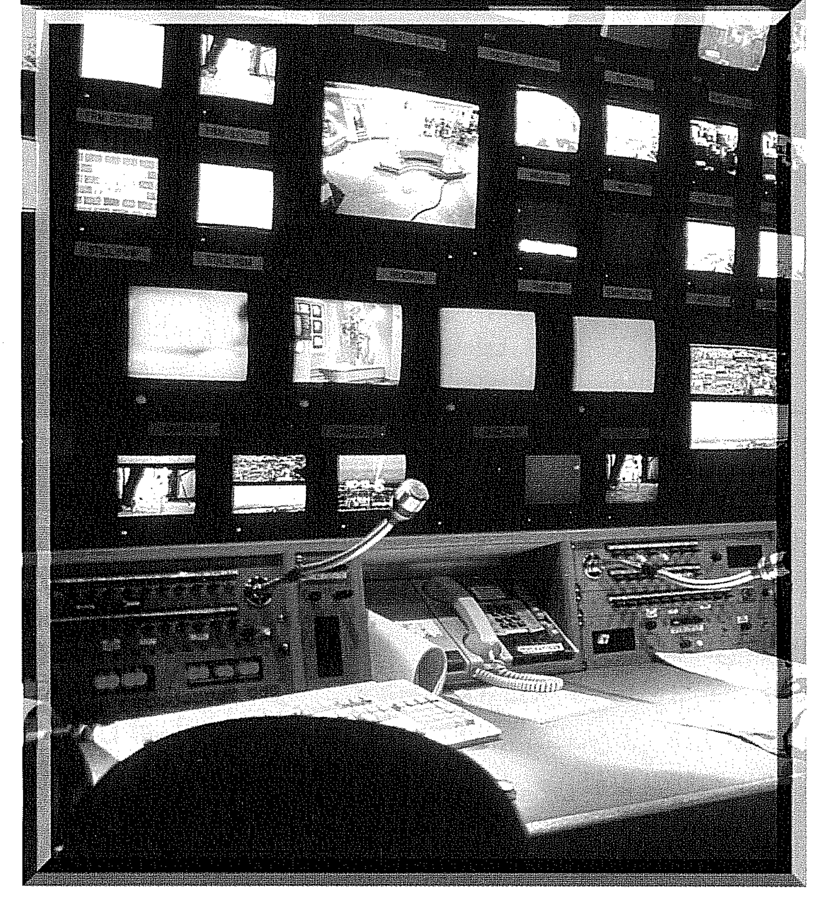
والإعلان عصارة تجربة الغرب الحضارية، فهو يجسد المدنية الرأسمالية ممزوجة بفن روح الحضارة التي أوجدتها، والفجوة تأتي من الفرق بين النهضة وانعكاساتها.

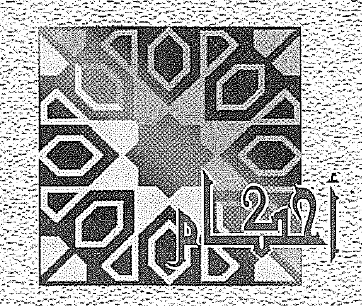
فإذا كان الغرب شيد نهضته الحضارية مع بداية أفول شمس الحضارة الإسلامية وعلى أنقاضها، فالشكل المدني المعاصر الذي نراه اليوم في الغرب هو حاصل التجربة، وانعكاس لنتائجها. بينما الحال ليس كذلك في ديار المسلمين، إذ إنهم نقلوا الشكل بما يطرحه من معان وقيم دون المرور بالتجربة نفسها، والتي كان من المؤكد أن تُخاضَ بمفاهيم روح مختلفة، بسبب اختلاف المرجعيات لدى كل أمة.

ففي ظل مرجعية التوحيد قطعاً سنعثر بقليل من الكيد على ألفاظ غير أعجمية لأدوات أنشأتها حضارة الغرب وعقيدته، وأضفت عليها من روحها ورؤاها بدءاً من الاكتشاف وحتى الأسماء مثل «التليفون - التلفاز - الساندويتش - الكمبيوتر - الجاكيت... إلخ»

وعندئذ تضيق الفجوة ويكون العثور على البدائل متاحاً في القاموس العربي، فالإبداع الإنساني لابد وأن تجمعه وحدة عضوية، تبدأ من المقدمات وتنتهي مع النتائج. والأب الذي ينجب والأم التي تلد أولى بتسمية الولد وأحق بتنشئته على منوالهما، فإذا انتقلنا بالذهن نفسه إلى ظاهرة الإعلان، وهو الابن الشرعي للغرب، سنكتشف أنه مشبع بمعان ومفاهيم وقيم نبتت من تربة ذات مرجعية علمية عقلية نفعية مطلقة، تتعارض وتصطدم بمرجعيتنا الإسلامية.

وإذا أردنا أن نصلح من حال الإعلان، أو بالأحرى الإعلام، بما يتفق وعقيدتنا، فلننهض أولاً كما أمرنا الله، ولنصبغ حياتنا بصبغة الإسلام، ونصوغ حضارتنا برباط التوحيد، متوجهين إلى الباري، خالق السنن بالميزان، وفي أحسن تقويم خلق الإنسان، نفخ فيه من روحه، ووهبه نعمة العقل، وعلّمه الحكمة والبيان ليكون خليفته في الأرض، صانعاً ومنشئاً ومبدعاً وعابداً، ومستغنياً عن زينة الدنيا، زاهداً في زخرفها. وحينئذ لن نجد صعوبة كبيرة في الوصول إلى إعلان مستخرج من معجمنا الحضاري، وإلى ذلك الحين فلنتق الله في أنفسنا وفي الحياة من حولنا. ■





الميراث في الإسلام

هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟

بقلم: د. رفيق يونس المصري

قال رسول الله - ﷺ -: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر»(١). هذا الحديث النبوي الشريف يبين أن الورثة صنفان:

أصحاب فروض «فرائض»، عَصَبات، ولفظ العصبات، وإن لم يرد في هذا الحديث، إلا أن العصبات عند علماء الميراث هم الذين يأخذون الباقي من التركة، بعد أصحاب الفروض، وهم عند هؤلاء ثلاثة أصناف: عصبة بالنفس، وعصبة بالغير، وعصبة مع الغير، وليس هنا مجال شرح هذه الأصناف.(٢)

وقد نقل العلماء معنيين للفظ: «أولى» الوارد في هذا الحديث: معنى اعتمدوه، وهو: أقرب، ومعنى رفضوه، وهو: أحق. فهناك نزعات قديمة، وأخرى معاصرة، تميل إلى تفسير أولى بمعنى أحق.

ومنهم من يريد هذا المعنى، ويحوم حوله، دون تصريح بلفظه، حتى لا يقع في صدام صريح مع العلماء، بل مع إجماع هؤلاء العلماء.

ومنهم من يعتمد على رأيه، دون البحث عن أقوال العلماء أولاً، فهؤلاء هم الذين قيل فيهم: «أعياهم البحث عن الآثار، فقالوا بآرائهم»، وهؤلاء هم الذين ينتمون إلى مدرسة الرأي «المذموم»، وليس من السهل على من يكتفي بالحفظ والترداد، ومجرد سرد الآثار والنصوص، أن يجاريهم في المناقشة والتحليل، وهؤلاء يقدمون آراءهم، أو ما يزعمونه من «المصالح»، على النصوص الشرعية، وربما استتروا ولم يصرحوا بذلك، وهم «طوفيون»، أي من أتباع الطوفي، ظاهراً أو باطناً.

إننا نستعرض أقوال العلماء في لفظ: «أولى»، لنرى أخيراً أن الأقربية هي أساس الميراث، وأن الأحقية ليست هي الأساس، وأن القول بها يفتح باباً للهوى والتلاعب في الفتاوى والأقضية الإرثية.

قد يبدو لأول وهلة أن الأقربية والأحقية، الواردتين في عنوان مقالنا هذا، هما بمعنى واحد، سنبين في هذا المقال أن الأحقية لا تزيل الإبهام عن لفظ الأولية الوارد في الحديث، أما الأقربية «قرابة النسب» فإنها لا جرم تزيله.

أولى أقرب وليس أحق

قال ابن حجر: أولى «افعل تفضيل، من الولي، بسكون اللام، وهو القرب، أي لمن يكون أقرب في النسب إلى الموروث، وليس المراد هنا الأحق، وقد حكى عياض أن في رواية ابن الحذاء، عن ابن ماهان، في مسلم: «فهو لأدنى» بدال ونون، وهي بمعنى الأقرب. «وهما (أولى، أدنى) متقاربان في الرسم».

قال الخطابي: المعنى: أقرب رجل من العصبة، وقال ابن بطال: المراد بأولى رجل أن الرجال من العصبية، بعد أهل الفروض، إذا كان فيهم من هو أقرب إلى الميت، استحق دون من هو أبعد، فإن استووا اشتركوا...» اهـ كلام ابن حجر(٣) وقال النووي: «لأنه لو حمل هنا على أحق لخلا من الفائدة، لأنا لا ندري من هو الأحق»(٤). وقال الخطابي: «معنى أولى ههنا: أقرب، والوَلْيُ: القرب، يريد أقرب العصبية إلى الميت، كالأخ والعم، فإن الأخ أقرب من العم، وكالعم وابن العم، فالعم أقرب من ابن العم، وعلى هذا المعنى: لو كان قوله بمعنى أحق لبقي الكلام مبهماً، لا يستفاد منه بيان الحكم إذْ كان لا يُدرى من الأحق ممن ليس بأحق، فعلم أن معناه: أقرب النسب، على ما فسرناه، والله أعلم»(٥).

ما يستفاد من كلام هؤلاء العلماء:

١ ـ إجماعهم «أولى»: أقرب، من الولي، وهو القرب، أي هو أول من يلي، ومنه قوله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة:١٢٣، وقوله تعالى أيضاً: (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون) النساء:٣٣، الموالي ههنا: العصبة، أو الورثة، على قولين(٦).

٢ ـ وعيهم بالمعنى الآخر، وهو «أحق»، وإجماعهم على رفضه، لأن الأحقية ستخضع عندئذ لأهوائنا، فكل من نراه أحق بميراث العصبات جعلناه داخلاً في هذا اللفظ، الذي صار بهذا المعنى فضفاضاً غير محدد.

المستند الشرعي لإرث العصبة:

لفظ «أولى»، في الحديث المتقدم، ورد في سياق إرث العصبة، ويحسب البعض أن المستند الشرعي في ميراث العصبة هو قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر»، وقد تقدم ذكره.

والحقيقة أن هناك مستنداً شرعياً آخر من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) النساء:١١، أي: ولأبيه الباقي: الثلثان، فإرث الأب هنا إرث تعصيب «بالنفس».

٢ ـ وقال تعالى: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) النساء:١١، أي ولأبيه الباقي: خمسة أسداس، فإرث الأب هنا إرث تعصيب «بالنفس».

٣ ـ وقال تعالى: (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) النساء:١١، أي: وللولد الباقي: أربعة أسداس: الثلثان، فإرث الولد هنا إرث تعصب «بالنفس»، إن كان هناك ابن أو أبناء فقط، وإرث تعصيب «بالغير»، إن كان هناك بنات مع الأبناء، يؤيد هذا قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١١، فإرث الأولاد هنا إرث تعصيب «بالغير».

٤ ـ وقال تعالى: (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) النساء:١٧٦، أي الأخ «لأبوين، لأب»، فإرث الأخ هنا إرث تعصيب «بالنفس»، إذا لم يكن معه أخت، وإرث تعصيب «بالغير»، إذا كان معه أخت، يؤيد هذا قوله تعالى: (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١٧٦، فإرث الإخوة والأخوات «لأبوين، لأب» هنا إرث تعصيب «بالغير».

٥ ـ وقال تعالى: (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) النساء:١٢، أي: إن كان للزوجات ولد فللزوج الربع، وللولد الباقي: ثلاثة أرباع، إذا لم يكن هناك أب ولا أم، فإرث الولد هنا إرث تعصيب.

وكذلك في قوله تعالى: (فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) النساء:١٢، أي: إن كان للزوج ولد فللزوجة الثمن، وللولد الباقي: سبعة أثمان، إذا لم يكن هناك أب ولا أم، فإرث الولد هنا إرث تعصب أيضاً.

ما يستفاد من المستند القرآني لإرث العصبة

١ ـ إن الأب، والابن، والأخ «لأبوين، لأب» هم عصبة «بالنفس».

٢ ـ إن ترتيبهم في العُصوبة: الابن، فالأب، فالأخ، ذلك لأن الابن لا يكون إلا عاصباً، أما الأب فهو تارة عاصبٌ، وتارة صاحب فرض، ويكون صاحب فرض عندما يكون هناك ابن، فإذاً عصوبة الابن مقدمة على الأب، كما دلت على ذلك الآية ١١ من سورة النساء، عُدْ إليها وتأملها.

والابن والأب مقدمان في العصوبة على الأخ، لقوله تعالى: (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) النساء:١٧٦، وهو أي الأخ يرث أخته إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد، لم يرث الأخ، فالولد يحجب الأخ ولا يحجب الأب، بل الأب يرث مع الولد بالفرض، كما أن الأب يُدْلي إلى المورث مباشرة بلا وساطة، بخلاف الأخ، فإنه يدلي إليه بوساطة، والذي يدلي مباشرة مقدم على من يدلي بوساطة.

٣ ـ إن هذا الترتيب في العُصوبة مبني على القرب، فالابن أقربهم، ثم يليه الأب، ثم يليه الأخ، فصار الإرث بالعصوبة مبنياً على القرب، ولذلك اتفق العلماء على أن معنى: «أولى في الحديث هو أقرب، فضلاً عما ذكر في بعض الروايات بلفظ: «أدنى»، ومعناه لا يحتمل إلا أقرب.

٤ ـ وعلى هذا أن تفسير الفقهاء تفسير قوي مستند إلى نصوص القرآن، وليس كما يزعم بعضهم بأنه تفسير اجتهادي، أي يقبل النقض بسهولة.

٥ ـ بل إن نظام الميراث كله مؤسس على أساس القرابة، فلا يسمح لأحد بمحاولة هز هذا الأساس.

القرابة أساس الميراث:

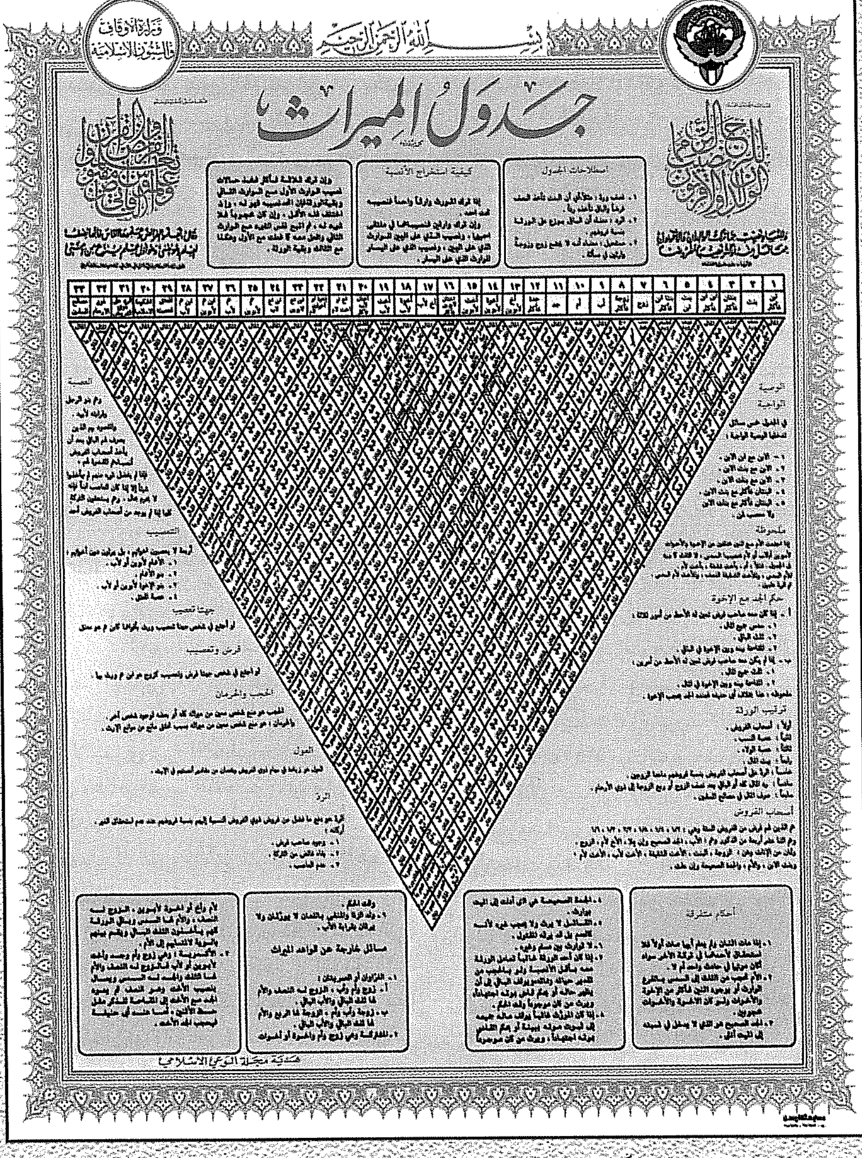
يقوم الميراث على أساسين أساسين: القرابة، والتبعة، ويقصد بالتبعة مسؤولية الإنفاق العائلي، فالذكور يرثون عموماً أكثر من الإناث، لأن أعباءهم المالية أكبر، حسب نظام النفقات في الإسلام، فالذكر هو الذي يدفع المهر، وهو الذي ينفق على زوجته وأولاده، كذلك الأولاد هم أوفر حظاً من الآباء، لأن الأولاد يستقبلون الحياة وتكاليفها، والآباء يستدبرونها، هذا عن أساس التبعة.

أما أساس القرابة فإننا نجده قائماً في جميع أصناف الورثة: أصحاب الفروض، والعصبات، وذوي الأرحام، فذوو الأرحام قرابتهم بعيدة، وهم يأتون في آخر قائمة المرشحين للإرث، وهناك مذاهب لا تورثهم «المالكية، والشافعية، والظاهرية»، وأخرى تورثهم «الحنفية، والحنابلة»، إذا لم يوجد أصحاب فروض وعصبات.

أما العصبات فأساس القرابة فيهم واضح جداً، لقوله ـ ﷺ ـ في الحديث السابق ذكره، ولمناسبة إرث العصبات: «أولى رجل ذكر»، فلفظ «أولى» يعني أن القريب يحجب البعيد «حجب حرمان»، فالابن أقرب من ابن الابن، والأب أقرب من الأخ، والأخ أقرب من العم، وهكذا، وبرهانه في موضع آخر.

أما أصحاب الفروض، فالقريب منهم يحجب البعيد، فالبنات يحجبن بنات الابن، وإذا كان هناك بنتان أخذتا الثلثين بالتساوي، وإذا كان

هناك بنت وبنت ابن أخذت البنت النصف، وأخذت بنت الابن السدس، تكملة الثلثين، وهما فرض البنتين، أي القريب هنا يرث أكثر من البعيد، وقد يرث أصحاب الفروض معاً، فلا يحجب أحد منهم غيره، لقوة الجميع في القرابة، ولكن قد يتفاوتون في مقدار الإرث تبعاً لتفاوت قوتهم في القرابة، فهناك ستة من الورثة لايحجب بعضهم بعضاً، ويحجبهم غيرهم: الولدان «الابن والبنت»، الوالدن «الأب، والأم»، الزوجان «الزوج، والزوجة»، وهؤلاء الستة يدلون إلى الميت مباشرة، أي بلا وساطة، وهم محيطون بالمتوفى، ويشكلون أسرته. وبهذا نرى أن القرابة أساس في مبدأ الإرث، وأساس الإرث، فهي أساس مهم من أسس الميراث.



خاتمة:

إن القرابة أساس الميراث:

١ - فإذا لم يكن قريباً لم يرث، اللهم إلا إذا انعدم القريب، فإن بيت المال يكون هو الوارث «بيت المال وراث من لا وارث له».

٢ - والقريب قد يحجب البعيد، كالابن يحجب الأخ.

٣ - والقريب يرث أكثر من البعيد، كالبنت وبنت الابن: للبنت النصف، ولبنت الابن السدس، تكملة الثلثين، حصة البنتين.

٤ - فإذا تساووا في القرب تساووا في الحصص، كالأبناء، أو الإخوة، أو الزوجات.

٥ - وقد أجمع العلماء على أن لفظ: «أولى»، الوارد في الحديث، يعني: أقرب. وإجماعهم هذا مستند إلى القرآن الكريم، كما بينا.

٦ - إن «أولى» لا تعني: أحق، لأن هذا المعنى يجعل اللفظ باقياً على إبهامه، ويفتح الباب أمام كل معنى يريده الناظر، ولا يتسع المقام لبيان الآثار الخطيرة المترتبة على هذا المعنى «أحق».

٧ - القول إن أولى معناه أحق يخالف إجماع العلماء، ويهدم أساس ميراث العصبة خصوصاً، والميراث الإسلامي عموماً. وأخيراً فإن على المسلم أن يستفتي قلبه، وأن لا يركن إلى شهرة العالم، فكثيراً ما يستمد العالم شهرته من رخصته، لا من علمه، وكثيراً ما تحفره شهرته، أو تستغل، للمزيد من الاجتراء على النصوص، وقلما يسأل مترخص عن دليل، ويكأنهم يرون الرخصة هي الدليل! أنا مع الرخصة بالتأكيد، ولكني لست مع رخصة لايسندها دليل، فتحليل الحرام في الإسلام كتحريم الحلال، سواء بسواء، فعلى العلماء أن ييسروا ما يسر الله ورسوله، وعلى المسلمين ألا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضى الله ورسوله، ويسلموا تسليماً، والله أعلم بالصواب. ■

الهوامش:

١ - صحيح البخاري ١٨٧/٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ٥٢/١١.

٢ - انظر كتابي: «علم الفرائض والمواريث: مدخل تحليلي»، ص٣٧ فما بعدها، وكتابي: «مبادئ علم الميراث: عرض جديد مؤيد بالبراهين والأدلة والمصادر»، ص١٥، و٣٩ فما بعدها.

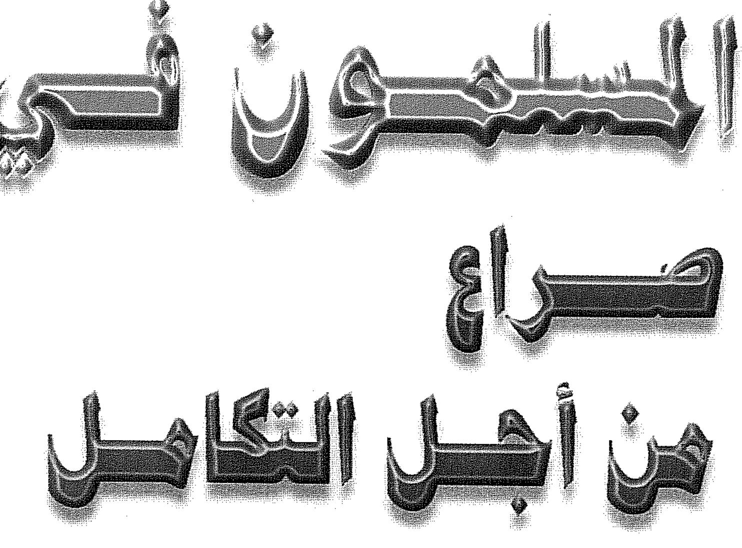
٣ - فتح الباري ١١/١٢.

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ٥٣/١١.

٥ - معالم السنن ٩٧/٤، ومثل هذا المعنى في: إرشاد الساري ٤٢٧/٩، وعمدة القاري ٢٣٧/٢٣، وتحفة الأحوذي ٢٧٥/٦، والفتح الرباني ١٩٤/١٥، وشرح السنة ٣٢٦/٨، وعون المعبود ١٠٤/٨، وسبل السلام ٩٥٣/٣ - ٩٥٤، ونيل الأوطار ٦٣/٦، وفتح العلام ٧٧/٢.

٦ - أحكام القرآن للجصاص ١٨٣/٢ - ١٨٤، وتفسير الطبري ٢٦٩/٨، والرازي ٨٤/١٠، والقرطبي ١٦٥/٥.

مذكرات ألماني مسلم



المسلمون في ألمانيا
صراع من أجل التكامل

بعد أن أشهرت إسلامي وصلتني رسائل تهديد بالقتل تصفني بالمسلم القذر

بقلم المهتدي : عبدالهادي هوفمان

ترجمة : منصور أبو العينين

متى بدأت هجرة المسلمين إلى ألمانيا ؟

عاش المسلمون في ألمانيا منذ قرون عدة مضت في شكل مجموعات صغيرة، كانت بدايتهم في العام ١٧٣١م، عندما قام الملك فريدريك ويلهام، ملك بروسيا الذي اعتنق الإسلام في ذلك الوقت بإلحاق عشرين جندياً مسلماً تركياً بجيشه.

لكن العمالة المسلمة الوافدة عرفت ألمانيا بشكل فعلي عندما بدأت هذه الدولة الأوروبية الغربية تستورد العمالة الأجنبية - والتي كان معظمها من المسلمين - في الستينات من هذا القرن، وبالتحديد العام ١٩٦١م، وكان ذلك بسبب نقص في العمالة الوطنية، قابله تطور ونهضة اقتصادية ألمانية، حيث كانت الوظائف المطلوبة في ذلك الوقت ٥٠٠ ألف وظيفة، في حين كان المتوافر من العمالة الوطنية لا يزيد عن ١٨٠ ألفا فقط.

بعد ذلك، وعلى اثر استكمال حاجة البلاد من العمالة الأجنبية، اضطرت الحكومة الألمانية إلى تنظيم عملية استيراد تلك العمالة، فوقعت اتفاقات عدة مع عدد من الدول مثل: إيطاليا واليونان وأسبانيا وتركيا والمغرب والبرتغال وتونس ويوغسلافيا.

وكان من المتوقع أن إقامة هذه العمالة في ألمانيا سيكون موقتاً، وأنهم قد وفدوا إليها لتحقيق وفر مالي يساعدهم عند عودتهم إلى أوطانهم، ولم يكن يخطر ببال أي إنسان في ذلك الوقت أن تلك الهجرة الموقتة كانت بمثابة البداية لاستقرار الجاليات الإسلامية في ألمانيا.

وقد بدأت - مع استقرارها - مشوار المتاعب عندما جلبت العمالة الوافدة – من تركيا والمغرب وتونس معها – إلى ألمانيا أساليب وعادات دينية وغذائية غريبة على المجتمع الألماني.

لم يكن الوجود الإسلامي في ألمانيا يسبب أي مشكلة حتى نهاية الستينات، وكان «الإرهاب الفلسطيني» وحده، دون غيره، هو الذي خطف الأضواء ولفت الأنظار، في حين أن عبارة «الإرهاب الإسلامي» لم تكن قد دخلت قاموس المفردات الألماني حتى ذلك الحين، ولهذا السبب لم يتعرض المسلمون الوافدون لأي مضايقات في ذلك الوقت.

وفي نوفمبر العام ١٩٧٣م، ومع بداية ارتفاع أسعار النفط المستورد، بدأت الصورة الاقتصادية في ألمانيا تتغير، وبدأت مخاوف الحكومة تتزايد من ركود اقتصادي يلوح في الأفق، فأصدرت تعليماتها بوقف استيراد العمالة الأجنبية من خارج الدول الأوروبية، حيث كان قد وصل عدد العمال الأتراك وحدهم في ألمانيا في ذلك الوقت إلى ٩٠٠ ألف عامل.

اعتنقت الإسلام عن اقتناع كامل لثلاثة أسباب ولم أبلغ أحدا بذلك إلا القليل من أصدقائي المقربين

إقفال باب التعيينات وفتح باب الالتحاق بعائل

بعد أن زدات العمالة الوافدة عن حاجة البلاد، قررت الحكومة الألمانية، ليس وقف تدفق هذه العمالة فقط، بل إعادة ما استقر منها في الدولة إلى أوطانها، غير أن النجاح لم يحالفها في تحقيق هذا التوجه، ولاسيما ما يتعلق بالمبدأ الثاني «الخاص بموضوع التسفير» وذلك بسبب معارضة رجال الأعمال وأصحاب المصانع في الاستغناء عن عمالتهم المدربة، علاوة على رفض العمال أنفسهم مغادرة ألمانيا لعدم ادخارهم الأموال التي تؤمِّن لهم الاستقلال أو الاستقرار الاقتصادي الذي ينشدونه في بلادهم حال عودتهم إليها.

في هذه الأثناء، بدأ العمال الوافدون يمارسون حقوقهم - التي سبق منحهم إياها بموجب اتفاقات دولية - ويقومون بجلب عائلاتهم لمرافقتهم في ألمانيا، موطنهم الجديد، وقد وصل تدفق أفراد تلك العائلات للإقامة أعلى كثافة في الفترة من العام ١٩٧٣م حتى العام ١٩٨٠م، حيث بلغ عددهم خلال العام ١٩٨٠م وحده ٢١٢ ألف شخص... في أكتوبر العام ١٩٨٢م، نجحت حكومة حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي في الوصول إلى الحكم، وفي محاولة منها لحل مشكلة تدفق الهجرة إلى ألمانيا، أصدرت قانوناً جعل من حق كل من يرغب من هؤلاء الأفراد في مغادرة ألمانيا والعودة نهائياً إلى وطنه الحصول على مكافأة مالية.

وبالرغم من انخفاض معدل الهجرة إلى ألمانيا على أثر المحاولات السابقة، فإن مجموع الوافدين الجدد قد بلغ عامي ١٩٨٣م و ١٩٨٤م ٤٢ ألف شخص، كما وصل عدد أفراد الجالية التركية وحدها في البلاد إلى مليون ونصف المليون شخص، وقد بلغ عددهم في السنوات الأخيرة ١,٩ مليون تركي.

أعداد المهاجرين المسلمين في ألمانيا

بالرغم من عدم توافر إحصاء دقيق لعدد المسلمين في ألمانيا، فإن عددهم يقدر حالياً بنحو ٢,٢ مليون مسلم، معظمهم من الأتراك، يليها المغرب، ثم يوغسلافيا، وأقلهم عدداً الذين وفدوا إلى ألمانيا بشكل رسمي للدراسة، علاوة على اللاجئين السياسيين المسلمين من العرب وغير العرب هذا بالإضافة إلى أعداد من اللاجئين المسلمين الجزائريين من أتباع جبهة الإنقاذ الإسلامية المحظورة الذين وفدوا أخيراً إلى ألمانيا طلباً للجوء السياسي، إضافة إلى ذلك، هناك الألمان الذين اعتنقوا الإسلام باختيارهم الحر، وهؤلاء أيضاً أعدادهم غير معروفة على وجه التحديد، حيث تتراوح أعدادهم بين

عندما نشرت كتابي « ألماني يعتنق الإسلام » هددني الحزب المسيحي بالفصل من العمل

مئة ألف ومئتي ألف مسلم، دخل معظمهم إلى حقل الإسلام عن طريق الزواج من مسلمين أو مسلمات.

تجربة الكاتب الشخصية

يقول الكاتب :

اعتنقت الإسلام بعد خدمة ١٦ عاماً كعضو في حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي، حيث تقلدت عدداً من المناصب بقيادة «هيلموت كول»، وقد كان دافعي للإقدام على هذه الخطوة ثلاثة أسباب:

- أنني أدركت أن الإسلام لا يعترف بمفهوم «الخطيئة الأزلية» التي جعلتني أتخلى عن ديانتي المسيحية البروتستانتية.
- أنني اقتنعت تماماً بديانة التوحيد «الإسلام» رافضاً بذلك مفهوم ديانة الثالوث والمسيح كابن لله.
- بدخولي إلى رحابة دار الإسلام أحببت في هذا الدين عدم اعترافه بالنظام المؤسسي الكنسي.

في بداية الأمر، لم أبلغ أحداً بعقيدتي الجديدة، باستثناء والديّ، ورئيسي المباشر في العمل، وسكرتيري الخاص، وقليل من أصدقائي المقربين، وبالرغم من ذلك، فقد وصلت خطابات سرية، مجهولة التوقيع، إلى بعض الصحف اليومية في العاصمة الألمانية بون بعد ثلاثة أيام من انتخابي العام ١٩٩٠م كمتحدث رسمي للحزب الديموقراطي المسيحي، تؤكد أن المتحدث الجديد باسم الحزب قد اعتنق الإسلام، وأنه قد قصد إخفاء ذلك على هيئة أعضاء الحزب متعمداً، وأنه وجب لذلك إبعاده عن هذا المنصب، وفصله من الحزب نهائياً، غير أن تلك الصحف - لحسن الحظ - رفضت نشر هذه الرسائل المجهولة.

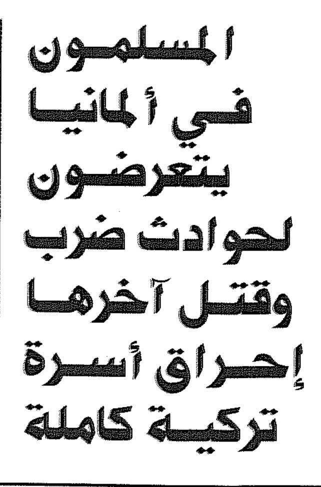
في العام ١٩٩٢م، وبالتعاون مع هيئة الإغاثة الدولية الإسلامية في جدة بالسعودية، قمت بتنظيم عدد من الرحلات للصحافيين إلى زغرب لشرح ما كان يدور هناك في يوغسلافيا السابقة ضد المسلمين، وفي صيف العام ذاته، أعلنت إسلامي على الملأ للمرة الأولى، حيث أعقبت ذلك بالظهور على شاشة أهم محطة تلفازية لمدة ٢٠ دقيقة في برنامج مدته ساعة واحدة متحدثاً عن الإسلام وعن التغيرات التي طرأت على حياتي لذلك، ومنذ ذلك الحين لم تنقطع الرسائل المجهولة التي تصلني والتي تصفني بصفات «المسلم القذر النتن»، و«الأجنبي كريه الرائحة»، مما يعكس صورة الإسلام في أذهان العامة، ومازلت أتلقى الرسائل التي تعتبرني مارقاً مرتداً، وأنني لذلك استحق القتل.

نائبة برلمانية تقول بعد إسلام السفير مراد هوفمان : «يجب ألا يمثل بلادها في الخارج مسلم متخلف من العصور الوسطى»

وقد تحدث البعض عن الذهاب إلى بيتي لإشباعي ضرباً، لكني لم أهتم ولم آبه بذلك، لأن هذا التهديد يُعدُّ شيئاً عادياً في ألمانيا.

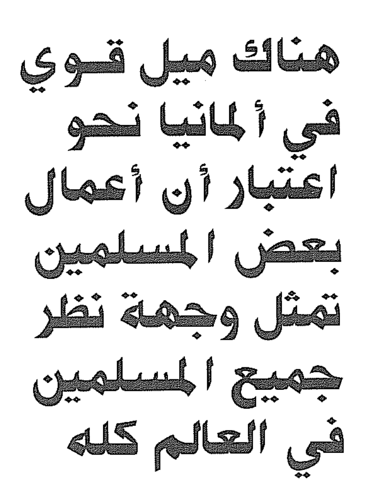
في بداية إعلان إسلامي، لم يعترض الحزب المسيحي الذي كنت أنتمي إليه، وذلك في محاولة منه للتدليل والبرهنة على مبادئه التحررية الليبرالية، ولكن عندما تبدلت إدارة الحزب، ساء الموقف وتغير، وعندما نشرت كتابي «ألماني يعتنق الإسلام» في مدينة بون في ربيع ١٩٩٥م، هددني الحزب وأنذرني بأن نشري أي شيء مماثل من دون تصريح مرة ثانية، سيفقدني وظيفتي على الفور، بعد ذلك طلبت إذناً لإلقاء محاضرتين عن الإسلام، لكنهم رفضوا، هنا قررت ترك العمل السياسي، والالتحاق بمؤسسة للعلاقات العامة والاستشارات بالقطاع الخاص.

لم أكن أنا - بطبيعة الحال - الألماني المسلم الوحيد الذي يعاني من هذه المشاكل، بل هناك غيري على سبيل المثال: مراد هوفمان السفير الألماني السابق في كل من الجزائر والمغرب الذي هاجمته وسائل الإعلام الألمانية بعنف عندما قرر نشر كتابه الثاني عن الشريعة الإسلامية في أثناء عمله بالمغرب، كما طلبت نائبة بالبرلمان الاتحادي من وزير الخارجية عزل هوفمان من منصبه، لأن ألمانيا لا يجب أن يمثلها - في رأي النائبة - «مسلم متخلف من العصور الوسطى»، المؤسف أنها اكتشفت فيما بعد أن الكتاب لم يكن قد نشر بعد، حيث





اعترفت بأنها لم تكن قد رأت هذا الكتاب أو قرأته عندما أصدرت بيانها في البرلمان، وكان من الواضح أن رد فعل النائبة لم يكن على محتوى كتاب هوفمان، وإنما على مجرد أن ألمانياً يشترك - فكرياً - مع «الأجانب الحقيرين».



مسألة حياة أو موت

بالرغم من كل ذلك، فإن ما يتعرض له الألمان المسلمون «من أصول ألمانية» لا يمكن مقارنته بما يتعرض له المهاجرون المسلمون الجدد في ألمانيا، فقد تعرض هؤلاء المهاجرون المسلمون في مدن عدة للضرب والقتل، لأنهم جاؤوا يطلبون اللجوء السياسي، أو لأنهم يؤدون صلواتهم بشكل غير مألوف لدى الألمان المسيحيين.

لقد تم إحراق معظم أفراد عائلة تركية مسلمة حتى الموت، ما يذكرنا بأن المجتمع الألماني الذي اشتهر بالعنف في الماضي مازال يعيش الآن في ألمانيا، إن هذا العنف يمكن تفسيره من خلال إحساس الألمان بأن هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام ورفضوا تقاليدهم وتراثهم الديني الموروث إنما هم خونة بشكل أو بآخر، كذلك - وهو الأهم - فإن وجود مسلمين ضمن الألمان من أصول عرقية ألمانية يلغي حجة المعارضين للإسلام القائلة: إن الإسلام غريب في ألمانيا، إن الاختلاف في اللغة وفي عادات الطعام بين كل من الألمان العرقيين وبين المهاجرين المسلمين، يمثل حاجزاً نفسياً بينهما، الأمر الذي يحدو بالألمان إلى الاعتقاد بأن الإسلام أجنبي وغريب في بلادهم، ولكن الألمان المسلمين يعرفون حقوقهم كمواطنين، ويعرفون كيف يطالبون بهذه الحقوق، ومن المتوقع أن يكونوا أكثر تصميماً على النضال من أجل حقهم للدخول في ميدان العمل السياسي، وهو بالتحديد حلبة الصراع الجديدة التي بدءوا الدخول فيها.

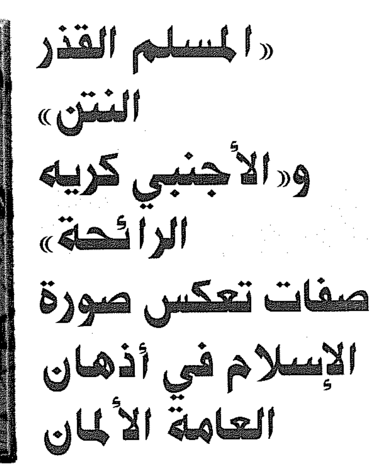
تنظيم الصفوف

بعد وصول عائلات المقيمين إلى ألمانيا، أصبح من الواضح أن الاستقرار بات هو القصد، ومن هنا فقد أصبحت حاجتهم شديدة وملحّة إلى مساكن ومدارس لأطفالهم وقوانين تنظم طرق الذبح وتحضير اللحوم طبقاً للشريعة الإسلامية، علاوة على مساجد ومدافن لموتاهم، وبالرغم من أن أعداد المسلمين في ألمانيا قد بلغت ٢,٢ مليون نسمة، فإنه من السهل على الرأي العام والمسؤولين السياسيين أن يتجاهلوا طلباتهم لأن نسبتهم لا تزيد على ثلث عدد الأجانب البالغ عددهم نحو ستة ملايين أجنبي، علاوة على أنهم - كأجانب - لا يتمتعون بحق التصويت بالانتخابات العامة، ومع أن المسلمين ناجحون اقتصادياً كأصحاب أعمال أو عاملين، وبالرغم من أن أبناءهم يتخرجون في الجامعات بدرجات ممتازة، فإنهم يبقون منعزلين أكثر من غيرهم من الأجانب المسيحيين، فاختلاف ديانتهم تظل عنصراً كافياً لاستبعادهم والنظر إليهم نظرة مختلفة، أضف إلى ذلك، أنه بالرغم من تحيز وتحامل الألمان المسيحيين الواضح، فإن المسلمين هناك يفتقرون إلى التكتل ورص الصفوف والاتحاد، وهذا يعكس التنوع والاختلاف بين شعوب العالم الإسلامي بصفة عامة.

فإذا أردت اليوم على سبيل المثال أن تذهب إلى مسجد العاصمة الألمانية السابقة بون (٣٠٠ ألف نسمة) لكي تؤدي صلاتك، فإن عليك أن تختار بين الذهاب إلى «قاعة صلاة» المغاربة، أو مسجد الأتراك الذي كان من قبل ورشة أحد النجارين، أو مسجد الأفغان الذي كان سوقاً مركزياً، أو مسجد مغربيٍّ آخر كان ورشة إصلاح سيارات سابقاً، أو مسجد البوسنيين الجديد الذي كان مكتباً، وبعد أن تم إنشاء أكاديمية الملك فهد التي موّلت السعودية تكاليف إنشائها، فإنك تستطيع أن تؤدي صلاتك في مسجد هذه الأكاديمية.

وهكذا فإن تنظيم هذه الجاليات وتوحيدها بات صعباً طالما أن كل جالية منها تميل إلى التقوقع والالتفاف حول بعضها بعضاً، وهذا الوضع ليس قاصراً على مدينة بون وحدها، بل هو كذلك في جميع المدن الألمانية، حيث تجد أن كل جالية لها نواديها الخاصة، وأسلوب حياتها طبقاً لثقافات بلادها التي وفدت منها، بالرغم من أن هذا السلوك لا يعدُّ إسلامياً، غير أنه قد لوحظ تعاون تلك الجاليات حول القضايا السياسية فقط، كما حدث عندما بدؤوا إقامة اسبوع سنوي باسم «اسبوع الإسلام» في إحدى المدن الألمانية منذ ثلاث سنوات مضت حيث ألقيت فيه بعض المحاضرات المهمة والندوات الثقافية المختلفة في المساجد.

مؤشرات إيجابية وأخرى سلبية



يختلف حال المسلمين الألمان عن حال أقرانهم في إنكلترا وفرنسا، فهم على سبيل المثال لا يميلون لتكوين أحزاب إسلامية أو برلمانات كما هو الحال مع مسلمي بريطانيا، حيث نرى الجيل الثالث من المسلمين هناك يشارك في الأحزاب السياسية القائمة في بريطانيا، ولعل سبب موقف مسلمي ألمانيا يرجع إلى ما يدور بينهم من جدل حول ما إذا كانت الشريعة الإسلامية تبيح للمسلمين الانخراط في منظمات وهيئات غير المسلمين، وإن كانت الأغلبية منهم الآن يرون، فيما يبدو، ضرورة العمل والمشاركة السياسية مع غيرهم في المجتمع الألماني، ربما بسبب





في العام ١٧٣١م قام الملك فريدريك ويلهام، ملك بروسيا الذي اعتنق الإسلام في ذلك الوقت بإلحاق عشرين جندياً مسلماً تركياً بجيشه

انتشار البطالة في ألمانيا حالياً، إن التوجهات الجديدة للمسلمين الألمان هي المؤشر الإيجابي، لكن ماذا عن المؤشرات السلبية؟

إن عزلة المسلمين في ألمانيا لها أسباب أخرى ليس للمسلمين يد فيها، ذلك أن هناك أسباباً تعوق اندماج الإسلام في المجتمع الألماني:

أول هذه الأسباب: أن القوى السياسية الأساسية في ألمانيا الآن تتمثل في حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي الذي وصل إلى سدة الحكم في البلاد منذ العام ١٩٨٢م، والذي يستمد برنامجه من جذور الأيديولوجية المسيحية، وبالرغم من الأيديولوجية العلمانية السائدة في البلاد إلا أن الحضور المسيحي أمر واضح لا يمكن إنكاره، ومن الإنصاف - في هذا المجال - القول: إن الكنيسة كانت أول من بادر بتشجيع الحوار الثقافي مع المسلمين، حيث قامت الطائفتان الدينيتان الرئيستان «المسلمون والمسيحيون» بتعيين ممثلين لكل منهما للتحضير لحوارات مهمة بينهما.

السبب الثاني لمعوقات اندماج المسلمين في المجتمع الألماني هو تأثر عقول الشعب الألماني بكتب التاريخ التي تعكس ١٤٠٠ عام من الكتابات المسيحية التي تعبّر عن الجهل بحقيقة الإسلام.

كما أنها في كثير من الأحيان تمثل تحيزاً ضد الإسلام وتحاملاً عليه، ولعل هذا ما دفع الكثير من الكتّاب والأكاديميين المسلمين إلى التصدي لهذه الظاهرة، منهم الأستاذ - الإيراني المولد - عبدالجواد فلاتوري من الأكاديمية الإسلامية في مدينة كولون «التي انتقلت إلى مدينة هامبورج العام ١٩٩٦م» والذي قضى سنوات عدة يحلل ويشرح المبادئ الإسلامية في كتب المقررات الدراسية الألمانية، حتى استطاع شيئاً فشيئاً تغيير بعض المفاهيم الخاطئة الآن بفضل جهود كريمة من آخرين أمثال الأستاذ سيجريد هانك.

يقدر عدد المسلمين في ألمانيا ٢,٢ مليون معظمهم من الأتراك يليها المغرب ثم يوغسلافيا وأقلهم الذين وفدوا للدراسة

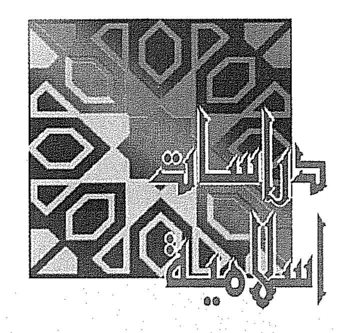
أما السبب الثالث والأخير لمعوقات اندماج المسلمين الألمان في المجتمع الألماني فهو: أن المسلمين الألمان يواجهون التحدي نفسه الذي يواجه جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم، وهو أن المسلمين كافة مسؤولون في نظر وسائل الإعلام المختلفة عن أي شيء غير مرغوب فيه يقوم به مسلم باسم الإسلام في أي مكان في العالم، وهذا بطبيعة الحال مفهوم خاطئ، فلا يمكن أن تكون أمة بكاملها مسؤولة عن سلوك أو تصرفات قلة من الناس تنتمي إليها.

ولذلك فإن هناك ميلاً قوياً في ألمانيا نحو اعتبار أن أعمال بعض المسلمين تمثل وجهة نظر جميع المسلمين في العالم كله، ولذا فقد أصبح من الصعب جداً إقناع الشعب الألماني بأن الإسلام دين سلام، ولاسيما بعد حرب الخليج، وللأسف الشديد، فإن هذا الموضوع هو أقسى ما يواجه المواطنين الغربيين الذين يعتنقون الإسلام، وأكثر ما لم يتوقعوه.

لقد نشأنا وتربينا على روح الانفتاح والتنوير، نمارس ما نعتقده حريتنا الدينية، ثم إذا بنا نجد أنفسنا فجأة في موقف يرفضنا فيه أصدقاؤنا القدامى، قائلين لنا: إننا - باعتناقنا للإسلام - قد أدرنا ظهورنا لمبادئ الثقافة والعقل والانفتاح والتنوير.

إنهم يعتقدون أننا نحن المسلمين الجدد قد انضممنا إلى تراث يتحامل على المرأة ويفرق بينها وبين أخيها الرجل، ويرفض القيم الديموقراطية، والغريب أن الكثيرين من الذين يرددون تلك الأقاويل يرفضون أي حوار في هذا الشأن، وعندما نقول لهم انظروا إلى تماثل القيم النبيلة وتشابه المبادئ والمثل العليا في كلتا الديانتين يقولون إن تلك دعاية فارغة.

إن أكثر ما يؤلمنا نحن المسلمين في ألمانيا هو هذا التعصب، وعندما مارست حريتي الدينية كنت أتوقع أن أقابل بالتسامح، فإذا بي أجد الحقد والعداوة والبغضاء من الجميع، حتى من هؤلاء الذين يعدون أنفسهم الأكثر استنارة وانفتاحاً. إن إنهاء هذا التحيز والتحامل وسوء الفهم هو أول متطلبات انتشار الإسلام في ألمانيا، والواقع أن المسلمين من أصول ألمانية يتعاونون بشكل مخلص في هذا الصدد. ■



الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم

بقلم : غازي التوبة



ليس من شك أن التحليل العميق والدقيق لمختلف أوضاعنا التاريخية والاجتماعية والسياسية والحركية يساعدنا على التوجه السليم، ويساعدنا على تحقيق الأهداف المرجوة والمرسومة في مخطط العمل الإسلامي.

وفي اعتقادي أن الصحوة الإسلامية التي نعيش بين ظهرانيها لم تأخذ حقها في الدراسة والتفسير، وإنما مر الحديث عليها مروراً سريعاً، وربما تناولها أعداء الإسلام بالتعليق أكثر من تناول أبناء الإسلام لها، لذلك سأحاول أن أبين في هذه الدراسة ماهية الصحوة، وأسبابها، وكيفية الاستفادة منها.

لقد شكل سقوط الخلافة العثمانية وإلغاؤها العام ١٩٢٦م حدثاً كبيراً في تاريخ المسلمين، إذ حلت قيادة جديدة محل القيادة العثمانية التي استمرت أربعمئة عام تقود العالم الإسلامي، فماذا كان توجه القيادة الجديدة؟ وما الذي فعلته؟

لقد كانت القيادات التي قادت المنطقة العربية بعد سقوط الخلافة العثمانية قومية التوجه، تعد القومية العربية هي المرجعية التي يجب أن ترجع إليها وتستلهمها في بناء تفكير الناس، ومشاعرهم، وحياتهم، وشؤونهم التربوية والاقتصادية والسياسية والتشريعية والاجتماعية إلخ... فما أبرز الأعمال التي قامت بها القيادة القومية لتحقيق ذلك الهدف؟ أبرزها هي:

١ . إحلال القومية العربية محل العقيدة الدينية :

كان ساطع الحصري من أوائل المفكرين الذين ساهموا في تحقيق الدعوة إلى إحلال القومية العربية محل العقيدة الدينية كأساس لبناء

المجتمع العربي، ومما زاد في خطورة دعوته أنه احتل مركزاً تربوياً مرموقاً في العراق بعد قيام الحكم القومي فيها العام ١٩٢٠م، مما أتاح له صياغة البرامج التعليمية والتربوية فيها، ثم انتقل إلى سوريا العام ١٩٤١م، وقام بالدور نفسه الذي قام به في العراق، ومن نافلة القول التذكير أن الحصري علماني التوجه ولا يرى الدين عاملاً من عوامل القومية العربية.

٢ - إحلال الرابطة القومية محل الرابطة الدينية:

دعا الفكر القومي إلى أن تكون الرابطة القومية هي التي تربط بين أبناء المنطقة وليست الرابطة الدينية، بمعنى أن يكون ولاء الفرد لانتمائه القومي العربي، يعظم القومية العربية، ويوالي من يواليها، ويعادي من يعاديها، ويضحي في سبيلها، وتكون منزلته ارتفاعاً وانخفاضاً مرتبطة بمقدار ما يقدم لها من تضحيات.

٣ - نقل التشريعات الغربية:

نقلت القيادات القومية التشريعات الغربية وقوانينها في كل مجالات الحياة التجارية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلخ... ولم تستثن من ذلك إلا قوانين محدودة تتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق.

٤ - نقل النموذج الرأسمالي ثم الاشتراكي:

نقلت القيادات القومية النموذج الرأسمالي الربوي بكل شروره وآثامه، وربطت اقتصاد بلادها بالسوق مما زاد في سوء الأوضاع الاقتصادية، ثم نقلت النموذج الاشتراكي في مرحلة تالية مما زاد في اضطراب الأوضاع الاقتصادية، ولم تراع التشريعات الاقتصادية تعاليم الإسلام التي تحرم الربا، ولم تستفد من قيم التعاون والرحمة والصدقة التي تدعو إليها.

٥ - نقل الفنون والآداب الغربية:

انتشرت الآداب والفنون الغربية من مسرح وسينما وتمثيل ورسم ونحت في المنطقة عن طريق الترجمة والمدارس الأجنبية والاحتكاك بالغرب، وأدى تقليد الفنون الغربية إلى امتلاء الساحة الاجتماعية بالعري والفجور، وتدني الأذواق، وتفسخ الأخلاق، وتحكم الأهواء إلخ... وأدى تقليد الآداب الغربية إلى التنكر لكل تاريخنا الأدبي العريق، والانبهار بالأدب الغربي ونشوء مدارس مقلدة له مثل: مدرسة الديوان ومدرسة أبولو، وكانت ثمرة التقليد أيضاً النظر إلى تاريخنا الأدبي من خلال مقارنته بالتاريخ الأدبي الأوروبي، فكما أن الأدب الأوروبي مر بمراحل هي: الكلاسيكية ثم الرومانسية ثم الرمزية ثم الواقعية ثم السريالية إلخ... فيجب أن يمر أدبنا العربي بتلك المراحل.

ماذا كانت نتيجة عمل القيادات القومية؟

كانت نتيجة ذلك تغريب طائفة محدودة من المجتمع في عددها وحجمها وتأثيرها، لكن برزت إلى جانب ذلك في السبعينات والثمانينات دعوة قوية تنادي بالعودة إلى الإسلام وإلى تحكيمه، مناقضة لعمل القيادات القومية التغريبي، وتمثلت هذه الدعوة في مظاهر عدة منها: ارتداء المرأة المسلمة الحجاب، وإعمار الشباب للمساجد، وانتشار الكتاب الإسلامي، وظهور جمعيات خيرية إسلامية، والتصويت للنواب الإسلاميين في بعض البلدان، والاعتزاز بالقيم الإسلامية، والحنين إلى الماضي الإسلامي، وكان المفاجئ أن هذه المظاهر لم تحدث في بلد واحد وإنما حدثت في بلدان متعددة ذات ظروف تاريخية مختلفة تمتد من أقصى المشرق إلى المغرب، منها: تركيا، بلاد الشام، مصر، الجزائر، تونس، فلسطين، الخليج إلخ... وقد حدثت في بلدان كانت أبعد ما تكون عن الانبعاث الإسلامي لابتعادها الطويل عن المحيط الإسلامي كالجزائر التي حكمها الاستعمار الفرنسي ما يقرب من ١٣٠ عاماً، واستهدف محو الإسلام منها وجعلها قطعة من فرنسا، وكتونس التي خضعت لتغريب مبرمج لمدة قرن تقريباً، وكتركيا التي حاربت فيها الكمالية كل مظاهر الإسلام دون استثناء، ومع كل هذه المحاولات العنيفة لاقتلاع الإسلام نادت جماهير غفيرة من المسلمين في كل تلك الأماكن بالعودة إلى الإسلام، وسعت إلى تمكينه، وإلى إعادة تحكيمه في مختلف شؤون الحياة، فماذا كان تفسير هذه الظاهرة؟ وما أسبابها؟ أعاد بعض الدارسين هذه الظاهرة إلى أسباب عدة، منها:

١ - نكسة حزيران ١٩٦٧م:

ذكر بعض الدارسين أن الصحوة الإسلامية جاءت نتيجة هزيمة العرب في مواجهة اليهود سنة ١٩٦٧م، وعللوا ذلك بأن الشعوب تلجأ إلى القيم الغيبية لمواجهة الانتكاسات وللتهرب من الواقع المرير، ومن الذين روجوا لهذا التحليل حسين أحمد أمين في عدد من مقالاته، لكن هذا التعليل غير صحيح لأن هناك بلاداً قد ظهرت فيها صحوة إسلامية ولا علاقة لها نهائياً بالنكسة مثل تركيا وتونس، ولكننا يمكن أن نقبل القول إن نكسة حزيران العام ١٩٦٧م كان لها دور في توقيت ظهور الصحوة وذلك لاضطرار الحكام إلى تخفيف قبضتهم عن الشعوب الإسلامية بسبب هزيمتهم أمام اليهود، واضطرارهم إلى السماح

بهامش من الحرية مما جعل الشعوب تستفيد من هذا الهامش وتعبر عن الحقيقة الكامنة في داخلها ووجدانها وواقعها الحياتي.

٢ - حاجة بعض الحكام لمواجهة التيارات اليسارية:

علل بعض الدارسين اليساريين وجود الصحوة الإسلامية بأنها ثمرة إطلاق الحكام ليد الاسلاميين في العمل السياسي من أجل مواجهة الحركات اليسارية، وأشاروا بهذا الصدد إلى إطلاق أنور السادات يد الحركة الطلابية في مصر لمواجهة الشيوعيين واليساريين من أتباع جمال عبد الناصر في الجامعات المصرية بعد العام ١٩٧٠م، وأشاروا كذلك إلى سماح بورقيبة للإسلاميين بالعمل في تونس من أجل الحد من نفوذ التيار الشيوعي هناك.

إن هذا الكلام الذي يقوله اليساريون قابل للنقاش، ولا يسلم به على إطلاقه، ولكن لنفترض جدلاً صحة ما يقوله اليساريون، فهذا يعني أن الحكام أرادوا الاستفادة من ظاهرة موجودة، ولم يوجدوا هذه الظاهرة، وهذا ما نريد أن نصل إليه وهو أن الصحوة الإسلامية حقيقة منبثقة عن واقع حياة المجتمع المسلم، ومرتبطة به، وذات جذور وأصول بعيدة وليست من صنع الحكام.

٣ - الظروف الاقتصادية السيئة:

أشار كثير من الدارسين وبالذات الغربيين إلى أن الصحوة الإسلامية ثمرة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بعض بلدان العالم الإسلامي، وأن القيادات الإسلامية تستغل الظروف الاقتصادية السيئة للزج بالشباب في «أتون الأصولية»، ومما ينفي زعم أولئك الدارسين أن الصحوة الإسلامية لم يقتصر انتشارها على البلدان التي تعاني أزمات اقتصادية، بل امتد انتشارها إلى البلدان المستقرة والمزدهرة اقتصاديا مثل الخليج العربي بعامة والكويت بخاصة، وربما كان العامل الاقتصادي سبباً في تسريع انتشارها لكنه لم يكن عاملاً أساسياً في إيجادها بحال من الأحوال.

٤ - الثورة الإيرانية:

عزا بعض الدارسين انبثاق الصحوة الإسلامية إلى قيام الثورة الإيرانية في طهران العام ١٩٧٩م، وتأثيرها الاعلامي في محيطها الاسلامي، لكن نسي أولئك الدارسون أن الثورة الايرانية شيعية المذهب، لذلك فمن الصعب أن يكون لها تأثير في محيط سني المذهب وبخاصة إذا علمنا أن الصحوة الإسلامية قامت في بلاد سنية المذهب، وإذا كان لابد لنا من الاقرار بالتأثر والتأثير فهو لايتعدى إذكاء الأمل، والاستبشار بتحقيق الأماني، والدفع الى حلبة التنافس، وحلقة التسابق.

والآن بعد أن فندنا الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها أسباب الصحوة الإسلامية، فما حقيقة الصحوة الإسلامية؟ وما هي ماهيتها؟

الصحوة تعبير عن الأمة التي بناها الرسول ﷺ خلال إقامته في المدينة، هذه الأمة التي وصفها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس، فقد قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)، وقد استمرت هذه الأمة الإسلامية حقيقة فاعلة مؤثرة تبني وتشيد أكثر من ألف عام، وذلك لأنها تملك كل مقومات الأمة الحقيقية، فهي أمة ذات أرض واحدة تمتد من الصين شرقاً إلى الأطلسي غرباً، يستطيع المسلم أن يتجول فيها ويعيش في أي جزء منها، وهي أمة ذات لغة واحدة هي اللغة العربية تقرأ بها القرآن الكريم وتؤدي بها صلاتها، وهي أمة ذات ثقافة واحدة تدور حول القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهي أمة ذات عادات وتقاليد واحدة تنبثق من أخلاق الإسلام وتوجيهات رسوله ﷺ، وهي أمة ذات تاريخ واحد يقوم على مجاهدة المشركين وموالاة الصالحين، وهي أمة ذات آمال واحدة تتطلع إلى تمكين الاسلام ورفع رايته الخ... وقد أنشأت هذه الأمة حضارة متميزة تركت آثاراً في مختلف مجالات العمران الزراعية والتجارية والاقتصادية الخ...

ومما امتازت به أمتنا وجود قيادتين لها على مدار التاريخ:

الأولى: قيادة الأمراء تقود الجيوش، وتدافع عن الأمة في وجه الغزاة المعتدين، وتوسع رقعة الأرض الإسلامية مما يتيح للدعوة الاسلامية أن تنتشر، ويفتح المجال أمام شعوب جديدة لتدخل في رحمة الإسلام وضيائه، وقد تجلت قيادة الأمراء في عدد من الدول منها:

دولة السلجوقيين، دولة الزنكيين، دولة الأيوبيين، دولة المرابطين، دولة الموحدين، دولة المماليك إلخ...

الثانية: قيادة العلماء: تقود جموع المسلمين، وتعلمهم أمور دينهم، وتنشر الفقه بينهم، وتزكي أخلاقهم، وتوجههم إلى المعروف وتنهاهم عن المنكر، وقد تجلت هذه القيادة في عدد كبير من العلماء يعجز القلم عن حصرهم، منهم: مالك بن أنس، الشافعي، أحمد بن حنبل، عبدالله بن المبارك، سفيان الثوري، الحسن البصري، ابن تيمية، الشاطبي الخ...

لذلك عندما سقطت الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك بعد الحرب العالمية الأولى، خسرت الأمة

قيادتها السياسية. لكن بقيت قيادة العلماء تقود الأمة. لذلك كان أثر القيادات القومية محدودا في كيان الأمة، وعندما ارتفع جانب من التضييق الذي كانت تمارسه القيادات القومية على أبناء الأمة، ظهرت الأمة على حقيقتها مرة ثانية وكانت الصحوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

باختصار، يمكن أن نقول إن الصحوة الإسلامية هي تعبير صارخ عن الأمة الإسلامية والتي ظن بعضهم أنها انتهت بعض سقوط قيادتها السياسية. لكنها لم تنته ولن تنتهي لأنها عادت إلى البروز في ساحة الواقع بقيادتها الثانية وهي قيادة العلماء الذين رووها بدمائهم ومدادهم على مدى القرن الماضي، والذين نعجز عن حصرهم وعدهم، لكن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: مصطفى صبري، حسن البنا، عبدالعزيز البدري، عزالدين القسام، أبو الأعلى المودودي، عبدالحميد بن باديس إلخ...

والآن ما الذي نستفيده من هذا التفسير؟

هناك عدة حقائق تفرض نفسها نتيجة هذا التفسير، هي:

١ - إن الحركة الإسلامية ليست هي الطارئة في المنطقة، وليست هي الشذوذ والاستثناء كما يحاول أن يصورها دعاة القومية ومعهم دعاة التحديث والتغريب، لكن الحركة الإسلامية هي الأصل في المنطقة لأنها تعبر عن الأمة الإسلامية التي هي حقيقة راسخة وقائمة بكل المقاييس الموضوعية التي تعرف الأمة والتي كانت الصحوة الإسلامية إحدى تجلياتها.

٢ - إن الهدف الأساسي لأعداء الأمة الإسلامية أمران:

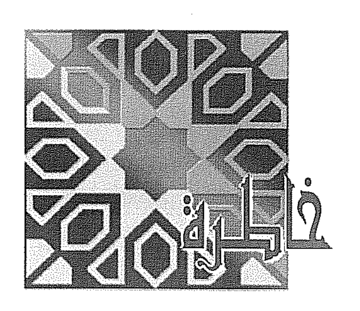
الأول: توليد أمة مكان الأمة الإسلامية، وهذا ما استهدفه الفكر القومي العربي خلال القرن الماضي، لكنه فشل في ذلك، فمن هنا كانت أزمته وأزمة المنطقة معه.

الثاني: تفتيت كيان الأمة



الإسلامية، وهذا ما يراهن عليه كل أعداء الأمة لذلك يجب على الحركة الإسلامية أن تُفشل مخططاتهم بأن تدعم كل ما يؤدي إلى تماسك الأمة.

٣ - يجب على العلماء الذين قدر الله أن يقودوا الأمة في هذه الفترة أن يكونوا حريصين على تدعيم ثوابت الأمة، وألا يفرطوا بأي حقائق تقوم عليها الأمة، لأنهم يقفون على أرض راسخة قوية أقوى مما يتصورون من جهة، ولأن هناك دوائر وأجهزة تسهر بصورة لم يشهدها التاريخ السابق تتلقف أي تفريط لتبني عليه من أجل الاستفادة منه في تفكيك الأمة من جهة ثانية. ■



عظات ودروس من الفطرة

بقلم: محمد السيد

تتبدل الأشياء وتتماهى الصور.

تتفتح الأزاهير، ثم تغمض جفنيها على يبس، تنتقل الطيور من برد إلى دفء، ويمتلئ الينبوع ويثمل، ثم يعود شحيحاً بطيء الحركة، يهمس في آذان الصخر كلمات العجز.

تتكامل الرجولة ثم تندثر، وتغيب خلف غياهب السنين، فترتطم بحقيقة التحول في كل الخلائق، إذ لا يبقى حال على حاله، ولا يبقى مكان على ما كان.

وتكون الغنيمة في الدرس والعبرة، قلباً يشتعل بالحضور الواعي، يرتفع مُوجّهً بفعل التأثر المتقد بجمر الموعظة، الذي لايخبو له أُوار، ولا يتعكر ماء النصيحة المتفلت من بين يديه أبداً، حاملاً لافتة باهرة تقول: «الدين النصيحة».

فتتفتح عندئذ كل الورود الندية، على شواطئ النفس المطمئنة، لترنو بعينين مخضلتين بدمعتين نادمتين، ونظرتين ضارعتين راجيتين، وتستنفر كل الأحساسيس الماجدة، لتغطي كل التضاريس التي توعرت جراء لحظة غفلة، ولتستريح الآهة على كتف ينبوع الحنين إلى الفطرة... فيتزاوج عندئذ قمر وليل، صحراء وجبهة عالية تبتغي حديقة غناء، تعبق فيها رياحين التوبة والعودة، التي هيجتها الأجوبة العامرة بصدى: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الزمر:٥٣.

إن من أنكروا كل هذه العظات، لابد أنهم فعلوها في غياب وفي يأس، كونهم جاؤوا: في عصر يورث الوجع المر، يفتح الأبواب مشرعة للمريبين، ويغلق كل المنافذ في وجه ذوي الصَّلّب الإيماني المتين، ويقتل كلمات الأنبياء، ويصلبها على بوابات المدن، واضعاً على شواهد قبورها: قتلت لأنها فلتات إرهاب!

ويجيء الدعي منفرداً عن السرب، منكراً كل المواعظ، تاركاً غبار الجمع خلف فرسه، عائذاً بالجلاد، مستقوياً به على الضحية، ابنة جلدته وصنو جذوره، فاشتعل الصبر شيباً، وأرسل المدعي «فاكساً» إلى كل مطارات الهزيمة: أن أفيضوا إليَّ بني العرب، فقد وضعت يدي على كنز من سلام!!

ولكن ها هي الدروس والمواعظ ترد فتقول:

لا شيء كالانفراد عن المجموع مهلكة للفرد!

ولا شيء كالهزيمة الداخلية مدعاة إلى الخنوع!

ولا شيء كإهمال المجموع للفرد، وعدم الاهتمام بمصيره وحاله مؤد إلى انفراط العقد، وتضعضع الصفوف وانهيارها!

خطرت هذه الكلمات بالبال، لحظة كنت أشاهد برنامجاً «تلفازياً» عن الطيور، إذ على الفور قفز إلى ذهني وضع أمتنا الحالي، وترددت في كياني هذه المعاني التي أوردتها مسبقاً.

والقصة التلفازية سنرويها لكم، لتحكموا هل صاحبنا الصواب عندما قفزت إلى الذهن تلك المعاني على خلفية المشهد، أم أن الأمر كان وهماً؟!

مجموعة كبيرة من الطيور أظن أنها «كراكي» ترعى في بحيرة كبيرة، كان واحداً منها منفرداً عن القطيع بعيداً، لعله ينفرد بصيد ثمين لا يشاركه فيه من القطيع طير صديق أو قريب.

كان القطيع الضخم بمجموعه لاهياً عن هذا المنفرد، منشغلاً عنه بشؤون الرزق ومتطلبات اللحظة، فلم يخطر ببال القطيع ولا ببال المنفرد، أن هذا الوضع لا يمكن أن يكون صحيحاً في لحظة الخوف والخطر.

وفجأة أحسَّ القطيع المجتمع بأجنحة ضخمة، يملأ حفيفها الأسماع بالرعب.

إنه نسر ضخم، أجنحته تصفق في الهواء بخيلاء، وعيناه ذات النظرات الحادة تحومان حول المكان، كان المجموع المتراص في متناول مخالبه، إلا أن الكثافة وتراص الأجسام جعلت من الصعب عليه أن ينقض ويقنص، لم يعط القطيع للمنفرد جهداً، ولم يهتم بمصيره وحركته.

وللحظات بدا للنسر أن جولته قد تكون خاسرة.. إلا أن حدقتاه أبصرتا ذلك المنفرد، الذي لم يحس بالخطر بعد، وعندها وجه دفته نحو ذلك الأناني...!

وعندما لاحت للكراكي صفقات الجناحين الضخمين، لم يبرِ حراكاً، بل حاول الانبطاح، لعل هذه الحركة ترقق قلب المنقض، فيغض الطرف عن التهامه...!

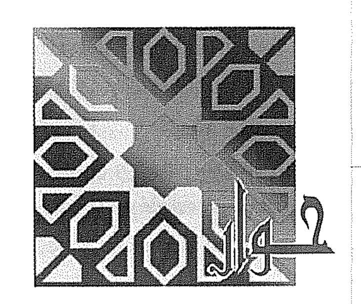
لكن ذلك لم يكن ممكناً، بل إن الحركة ذاتها زادت من شهية الوحش، الذي حط برجل مشرعة المخالب فوق الجسم الكبير «للكراكي»، ووقف لحظات رافع الرأس، فوق الجثة التي قتلها الخوف قبل المخالب، ثم حمل الوحش الفريسة وانطلق...

بينما كان القطيع قد ارتفع مبتعداً فرحاً بالنجاة!

إنها إشارات فطرية تقول: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»، وما أكثر المبتعدين المنفردين في هذه الأمة.

تضيف إن هذه الهزيمة الداخلية عون للعدو على النفس... وما أكثر الهزائم الداخلية في أمتنا اليوم!!

وفي النهاية لابد أن نؤكد أن المجموع يجب ألا يترك أفراده يبتعدون بحجة المصلحة الفردية، وإلا انفرط الاجتماع كله وسهل تناول الحزمة عوداً عوداً وهو ما يحصل في ساحاتنا..!! ■



أشاد رئيس مجلس إدارة المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا - الشيخ الطالب أخيار آل الشيخ ماء العينين - بالتجربة الوقفية في دولة الكويت

وقال آل الشيخ ماء العينين في مقابلة مع مجلة «الوعي الإسلامي» إن زيارته تندرج في إطار التعاون وتوثيق الصلاة مشيراً إلى أنه يحمل دراسات ومشاريع مهمة سيدرسها مع المسؤولين في الأمانة العامة للأوقاف. وهذا نص المقابلة:

رئيس المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا

التجربة الوقفية الكويتية أصبحت رائدة ومحط أنظار العالم الإسلامي للاستفادة منها

● ما أبرز أهداف الزيارة التي تقومون بها للكويت حالياً ؟

- جئنا بدعوة كريمة من الأمانة العامة للوقف في دولة الكويت الشقيقة، وذلك بهدف التواصل لتبادل الخبرات والاستفادة من تجربة الكويت الرائدة في مجال الوقف والتي أصبحت بجدارة محطة أنظار مؤسسات الأوقاف في العالم الإسلامي.

● ما مجالات التعاون المشترك التي تزمعون عرضها على الأمانة العامة للأوقاف ؟

- تفتح مؤسستنا «المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا» المجال أمام الأمانة العامة للأوقاف في الكويت في كل الميادين ونعتبر أن من المهم التعاون في مجال الاستثمار في العقارات كبناء المساكن الأهلية والمحال التجارية وبخاصة أن مدينة نواكشوط «العاصمة» التي يزيد سكانها على نحو ٩٠٠ ألف نسمة جعلت الاستثمار في المجال العقاري مضمون الريع والفائدة. وقد قمنا بإعداد عدد من الدراسات التي تبين بوضوح الجدوى الاقتصادية الواضحة التي تشجع على الاستثمار في هذا المجال.

● هل هناك اتفاقات ستوقع ؟

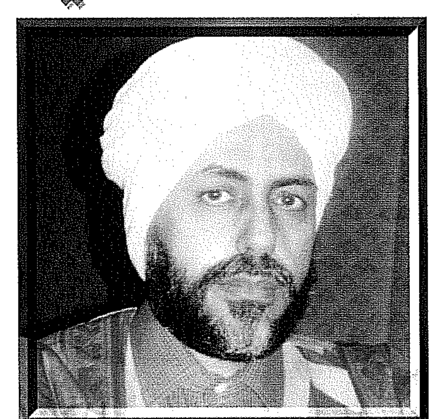
- نحن نطمح إلى أن نحقق ذلك من خلال المباحثات الجارية وأملنا كبير بأن تتوج هذه المباحثات واللقاءات بتوقيع بروتوكولات في مجالي المشاركة والدعم، وأريد هنا أن أشير إلى أن المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا هي مؤسسة ناشئة، حيث أنشئت في العام ١٩٩٧م ومنذ إنشائها وهي تهتم بقيادة نشاط وقفي متطور، كما تهتم بجميع الأنشطة الخيرية في البلاد، كمساعدة الأيتام والمعاقين والمحرومين كما تعمل على دعم المحاظر والمساجد مادياً ومعنوياً.

● على ذكر المحاظر ما تعني هذه التسمية ؟

- «المحاظر» تعني المدارس التقليدية «مجالس العلم والتعلّم»، وهي مختلفة المستويات، لكنها بشكل عام عبارة عن جامعات متنقلة تدرّس فيها جميع العلوم والفنون الإسلامية، ويرجع لها الفضل بعد الله في حفظ الإسلام وعقائده، حيث وقفت سداً منيعاً في وجه الغزو الثقافي الغربي ولا تزال هذه المحاظر قائمة حتى هذه الساعة تؤدي رسالتها الإسلامية، ويشرف عليها علماء أجلاء، ونظراً إلى أن المحظرة لا تعتمد على مداخيل ثابتة، فإن مؤسستنا تعني برعايتها ومساعدتها كي تتمكن من البقاء والاستمرار في أداء رسالتها العلميّة النبيلة

● بما أن في موريتانيا ثروة حيوانية هائلة، فهل تولت مؤسستكم جباية الزكاة من أصحاب المزارع الحيوانية؟

- تنوي المؤسسة إنشاء وحدة لهذا الغرض في العاصمة نواكشوط وستنشئ لها فروعاً في بعض الولايات الرعوية لجباية زكاة الأنعام، ونتوقع أن تكون عائداتها كبيرة بالنسبة للفقراء والمساكين، ونظراً إلى أن المؤسسة ليس لديها في الوقت الراهن ما يمكّنها من القيام بهذا المشروع، فقد قدمنا دراسة إلى الجهات الخيرية للإسهام في هذا المشروع، حيث إن المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا في وضعها الحالي لا تملك من الوسائل ما يمكّنها من القيام بهذه المهمة الكبرى التي لا شك في أنها ستعود بالنفع الوفير على المسلمين، وخصوصاً إذا علمنا أنه لدينا في موريتانيا مليون رأس من الإبل و٢ مليون رأس من الأبقار و ١٠ ملايين رأس من الغنم، وقد أعددنا دراسة مفصلة في هذا الميدان.



● الشيخ الطالب أخيار آل الشيخ ماء العينين

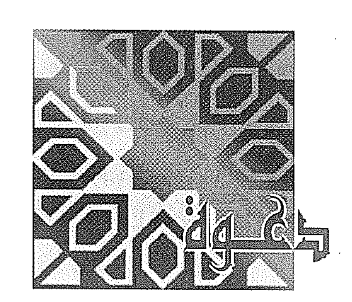
أجرى الحوار: محمد سالم الصوفي

● هل تقومون بأدوار اجتماعية وثقافية محددة؟

- المؤسسة لها دور كبير في هذا الشأن، حيث كلفت من طرف الدولة بأنشطة عدة في المجال الاجتماعي في مقدمها السهر على تهذيب ورعاية اليتامى، ومساعدة الفئات الفقيرة والمعاقين ومساعدة الهيئات الإسلامية، والمرافق الدينية، التي من شأنها حماية ونشر الدين الإسلامي، وكذلك رعاية أماكن العبادة وصيانتها وتجهيزها، وكذلك المحاظر والمقابر والإشراف على كل النشاطات المتعلقة بها.

● هل هناك نشاط كبير للهيئات والجمعيات الخيرية في موريتانيا ؟

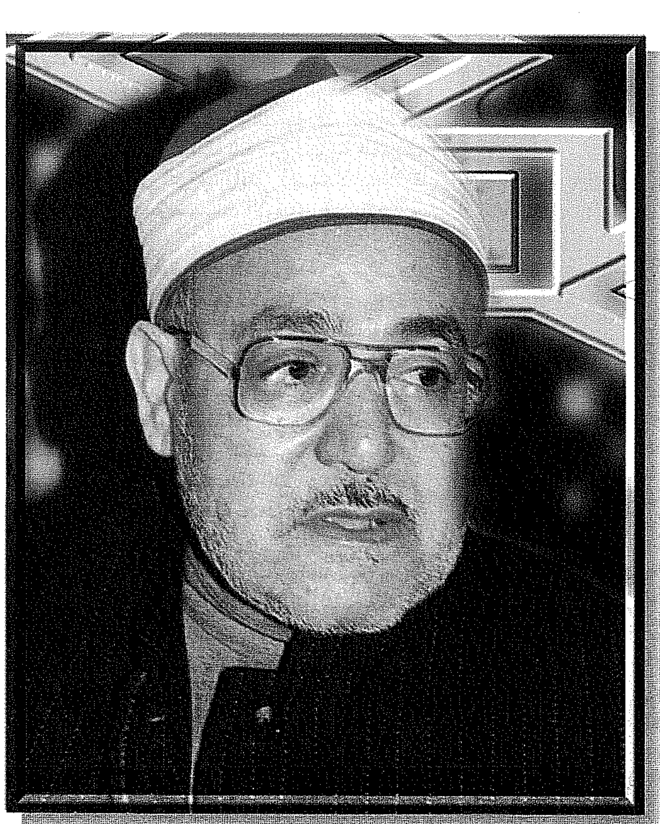
- تعتبر المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا هي الجهة المعنية بتوجيه وتنظيم كل المساعدات الموجهة إلى الجهات المستحقة، وفي هذا الإطار، فإننا نتعاون مع المؤسسات الخيرية في الخارج لاستقبال دعمها وإسهاماتها في المشاريع الخيرية، وفي الوقت نفسه نتعاون مع المؤسسات الخيرية والجمعيات الأهلية على المستوى المحلي بغية تنفيذ برامج خيرية منظّمة ومنضبطة، تضمن النفع وتتحاشى العشوائية والارتجال. ■



إن الدعوة إلى الله وصراطه المستقيم ومنهجه الحق... طريق أناطه الله الحكيم العليم بالممتازين من البشر والموهوبين من الخلق، ولا يقوى على تحمل تبعاته وتكاليفه ومقتضياته إلا عظماء النفوس ورجحاء العقول وأقوياء الهمم والعزائم... ومن ثمَّ فقد جعل الله الدعوة إلى سبيله مهمة الأنبياء والمرسلين وورثتهم الشرعيين والفطريين من أهل العلم والخير والفكر والرشاد ونحوهم من أصفياء الخلق... وبما أن وظيفة ورسالة الدعوة على هذا المبلغ من الخطورة والأهمية فقد كان من الحتم الذي لا مندوحة عنه مطلقاً أن يتصف الداعية إلى منهج الله تعالى بجملة خلال وشمائل تؤهله للقيام بدوره بنجاح والسير برسالته الشريفة نحو الأمام وجعل دعوته ملاذاً للمتعطشين للحق والباحثين عن الرشد ومواريث الأنبياء ورسالات السماء.

وهذا المقال يحاول تقديم مرئيات وتصورات الشيخ الغزالي لمواصفات الداعية الموفق ومسوغات إلزامية الداعية بالاتصاف والتحقق بالمنظومة النفسية والسلوكية والعقلية المستوعبة لهذه المواصفات.

أهم مواصفات الداعية الناجح عند الشيخ الغزالي



بقلم : إبراهيم نويري

أولاً : مبررات هذه المواصفات في رأي الغزالي

يرى الشيخ الغزالي أن الدعوة إلى الله تعني - وهذا من أجل الغايات التي ترومها هذه الدعوة - صياغة النفوس الفذة والقلوب التقية والعقول الكبيرة المتدبرة والأرواح الشفافة، والسير بالجماهير والأمم في آفاق الارتقاء والتغيير والاستنهاض، إذ من المؤكد الثابت أن «الأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، فأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق، وكم من شعوب رسفت دهراً في قيود الهوان حتى قيض الله لها القائد الذي نفخ فيها من روحه ريح الحرية، فتحولت بعد ركود إلى إعصار يجتاح الطغاة ويدك معاقلهم»(١).

ولا شك أن هذه الدوافع النبيلة تلزم الداعية منذ البدء أن يكون ذا نفس ممتلئة باليقين والحماس والفضل، وذا عقل ممتلئ بالرشد والوعي والاستبصار، أما إذا كان الداعية ضعيف الصلة بما يدعو إليه، أو صاحب كيان مهزوز ومزاج مضطرب، فإن ذلك بلا ريب يؤثر سلباً على دعوته، ويجعل منه عرضة للاستهزاء والتهكم وإلصاق النعوت المختلفة بشخصه ومنهجه، وتوجهه ودعوته...

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن الداعية لا يمكنه أن يواجه الواقع المحيط به والنوازل المتناقضة إلا إذا استجاب بحوافز ذاتية فيه وضمن عالمه الخاص إلى المقتضيات الموضوعية التي تحتمها طبيعة رسالته، ومن ذلك وفي المقدمة الارتباط المطرد بمظان التعبئة الروحية والفكرية المستمرة في حياته وبرنامج حركته بدعوته، فإن الإناء لكي «يرشح على ما حوله يجب أن يفيض، وأن يُنزل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه»(٢).

ومن جهة أخرى فإن المواصفات اللازمة لشخص الداعية - برأي الشيخ الغزالي - ليست مرتبطة فحسب بدواعي وأبعاد حركة

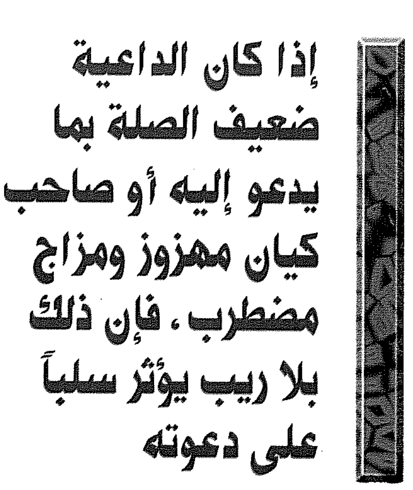
الداعية بدعوته أو بضرورات يتطلبها سعيه ببواعث حب الهداية بين الناس، وإنما هي أيضاً ذات صلة وثيقة بمحددات الوظيفة التي يُعرف بها ويعرف الناس الكثير من تفاصيلها من خلاله، أي أنه بشرف هذا الارتباط يصبح متمثلاً لحقائق النبع الخالد، ثم إن هذا الشعور المخامر للأنفاس المنساب بين الجوانح يجعل الداعية مع إلفه وتساوقه، وانسجامه العفوي مع مهمته يحس بأنه ملك دعوته لا ملك نفسه أو رغائبه الذاتية.

ومعنى ذلك كله أن هذه المواصفات من الثوابت في حياة الداعية، بل هي من اللوازم والقسمات التي لا تنفك أبداً ولا تنفصم عن شخصيته وسلوكه وعالمه الخاص، سواء وهو يتزوّد من النبع الخالد ويعيش في رحاب الله، أو وهو يتحرك بدعوته بين الناس ويقدم القدوة والنموذج والمثال، ويرغب الآخرين في الخير الذي أدرك قيمته ولمس أثره في نفسه من خلال تجربته الذاتية وعالمه الخاص.

ثانياً : أهم مواصفات الداعية كما يراها الغزالي

عرفنا مما سبق أن الداعية لا يستطيع أن يستمر في طريقه مبلّغاً ومرشداً إلا إذا نجح في الارتقاء إلى مستوى دعوته، ولا يمكنه أن يبلغ مستواها إلا إذا تمثل جملة من المواصفات والتي تعتبر القاعدة المكينة التي يستند إليها، والشيخ الغزالي يرى أن أهم هذه المواصفات تتمثل فيما يأتي:

١ ـ الصلة بالله تعالى: إن معرفة الله تعالى وفق مراده ومبتغاه، أمر واجب على الدعاة، وليس المقصود من هذه المعرفة تلك المعرفة العامة المطلوبة من كل مسلم، وإنما هي معرفة خاصة أكثر عمقاً، وأكثر تأثيراً في الأنفس والقلوب... إنها معرفة تبني الضمائر والأرواح والأفئدة والسرائر على نحو عجيب تجعل صاحبها كياناً يدرّ على من حوله نفعاً وخيراً وفائدة وبركة.



والصلة بالله تعالى بمنظور الشيخ الغزالي هي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة، والمرتكز الركين الذي ينطلق منه الدعاة في الحركة بدعوتهم، ويرى الشيخ في هذا المقام أن هذه الصلة تعني بالأساس الأول معرفة حسنة به سبحانه وتعالى، إذ كيف يمكن أن ندعو الناس إلى سبيل لانعرف صاحبها، ومنهج نجهل سيده، أو أن صلتنا به واهية... إن الذين يدعون إلى مرشح من المرشحين في انتخابات عامة، أو إلى مبدأ من المبادئ في ساحات الصراع الفكري، لابد أن تكون أواصرهم بهذا الشخص أو بذاك المبدأ قائمة أو متينة، فكيف إذا كان من ندعو إليه هو الله سبحانه وتعالى ومنهجه الحق وصراطه المستقيم؟!

ويؤكد الشيخ الغزالي أن معرفة الله المعرفة الصحيحة هي أساس الدعوة، وهذا يعني بالضرورة أن الداعية الذي ضعف علمه بالله تعالى لا يمكنه بعد ذلك تحمل تكاليف الدعوة إليه، واستشهد الشيخ بقوله تعالى (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً)(٣)، ويذهب الشيخ إلى أن هذه الصلة النبيلة بسبب الوجود وقيّوم الكون والحياة هي روح ينفث الحياة، وينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدفء، ولما كان الناس يتفاوتون في مدى استيعابهم وفقههم لهذه المعاني، فإن الدعاة هم أكثر الناس ـ أو ينبغي أن يكونوا أكثر الجميع ـ حظاً ونصيباً منها.(٤)

وقد عرّف الله تعالى نفسه إلى خلقه في آيات بيّنات كثيرة استفاض بها الكتاب الكريم، وفي كلمات نفيسة زخر بها تراث النبوة ونضحت بها تجارب المرسلين وصفوة العابدين.... ومن غير شك فإن حياة القلب والضمير تنتعش بقدر الأخذ أو النأي والازورار عن تلك الصلة الكريمة، فما هو في حقيقة الأمر إلا موت وطمس للبصيرة، لذلك يأبى الإسلام بشدة وحسم أي تسوية أو موازنة بين المنْحيَيْن في قوله تعالى: (وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات)(٥)، وثمة أمر آخر يرد بهذا الخصوص وهو بالغ الأهمية يؤكده الشيخ الغزالي، وهو أن المعرفة بالله ليست كلها نتاج الجهد الفردي أو الذاتي وإنما هي (كما تكون عن جهد الإنسان في الفكر والذكر والتأمل والتنزيه، تكون فيما يكشفه الحق عن عظمة الذات وجمالها لبصائر المتعلقين به وعلى قدر هذا الانكشاف يكون الإعظام والحب والتفاني)(٦)

وبلا أدنى ريب، فإن هذا التكريم الإلهي الجليل لا يحظى به إلا من قصد خالصاً نيته وجوراحه التقرب من الله تعالى والعيش في رحابه الكريمة، وانبجست من أعماقه رغبة صحيحة في تحصيل المعرفة الكاملة والشافية بأمجاد الألوهية الباهرة، وهذه القاعدة قمينة بجعل الصلة بالله تعالى المطلوبة للدعاة قائمة على نحو آخر غير تلك التي لأغلب الناس منها نصيب... يقول الشيخ الغزالي مؤكداً هذا المعنى «إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله، لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أوضح، أي أنهم إن هبطوا من مجال الضوء المشرق... فإلى قريب منه... إلى منطقة الظل كما يُقال، أما إذا سقطوا في عتمة فإن ذلك أمر لا تتحمله وظيفتهم... وعرفانهم بالله يلزمهم شاطئ الأمان وإذا كان كثير من الناس يغرق في لجج هذه الدنيا أو تطويه في سبحها الشاق عواطف الرغبة والرهبة..»(٧).

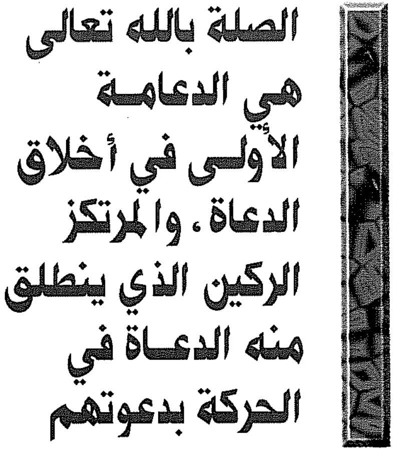
ويذهب الشيخ الغزالي ـ وهذا له دلالته من واقع تجربته الخاصة كداعية ـ إلى أن من أجلّ معاني الصلة بالله الاستمرار في عقد مقارنات دائمة بين القيم والمثل التي يدعو القرآن الخلق والعالم

إليها، وبين الواقع الذي ثوى الناس فيه بفعل مناهج ودعوات وضلالات تضفي على نفسها بريقاً خادعاً مزيفاً، وتنسب نفسها زوراً إلى أعظم وأجلّ القيم الإنسانية(٨)، ولاشك أن هذه المقارنات المختلفة تسهم في دفع الناس لمعرفة الحق وتعينهم على الاهتداء إلى سبيل الرشاد، كما يرى الشيخ الغزالي كذلك أن من أقوى أسباب دعم الصلة بالله: التأمل في الكون وفيما خلق الله وأبدع، والداعية إذا جهل هذه الحقيقة الكبرى فهو قدح في مؤهلاته وخلل جسيم في منهجه، فإن القرآن الكريم كما طلب من المسلم - إلى جانب الرحلة في التاريخ الإنساني والتبصر بسنن الصعود والسقوط للمجتمع البشري - أن تكون له رحلة أخرى في الكون، ورؤية سنن الله في المجتمعات والأنفس، لأن العدول عن النظرة في الكون، ومعرفة سنن الله في الآفاق وحسن التعامل معها، موقعٌ في الرؤية النصفية التي لا تؤهل صاحبها للشهود الحضاري»(٩)، وصفوة القول هنا: إنه ينبغي على الداعية أن يجعل من صلته بالله ذخره وزاده الأول، ومن الاعتزاز بهذا النسب الكريم شارة شرف وعزّ ووقار دائم، فالحب الإلهي بالنسبة للداعية هو الطاقة الدافعة، ومنبع السعادة الغامرة والرخاء الذي لا ينقطع له مدد.

٢ - إصلاح النفس: يعتقد الشيخ الغزالي بأن تزكية النفس وإصلاحها أمر مطلوب لكل مسلم، ولكن الداعيةُ أولى بذلك من غيره، فإن نوازع هذه النفس ومآبها ليس لها نهاية، وكثيراً ما تنزع النفس البشرية بصاحبها باتجاه الشر واقتراف ما نهى الله عنه، ومن ثمَّ فإن الحاجة إلى تتبع النفس بالإصلاح والتزكية المستمرة وحملها بشتى الأساليب والمنازع على التزام الجادة ضرورة لا مندوحة عنها ولا سيما بالنسبة للداعية، ويرى الشيخ الغزالي أنه بقدر رغبة الداعية في ترشيد حياة الناس والتصدي لحل مشكلاتهم وتقريبهم من منهج الله، بقدر ما تزيد مسؤولية رعايته لنفسه وتزكيتها، والداعية في وظيفته النبيلة مع الناس إنما يفعل ذلك على ضوء من علاجه وإصلاحه لنفسه هو، فإذا أراد على سبيل المثال معالجة العامة فيما يتعلق برذيلة البخل، فإنه ينبغي عليه أن يعالج أولاً شح نفسه، وأن يتعرف إلى المراتب التي تدرج فيها الوسائل والأدوات التي استعان بها في تجربته الخاصة وهو يستأصل من نفسه هذا المنزع الذي لا يناسب الروح المؤمنة الشفافة، فإذا عرف الداعية عن دراية وخبرة ما صنعه بنفسه، فإنه لا محالة سيعرف المداخل الصحيحة لمعالجة نفوس وأرواح الآخرين والتمكن من مداواة العلل الكامنة فيها.(١٠)

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن التماطل في هذا الجانب والتقصير في متطلباته يسوق حتماً إلى انفصام خطير في شخصية الداعية، وهذا الانفصام له من الآثار والنتائج السلبية ما يكفي لتزهيد الناس في الدعوة والصبر على الاستقامة، لذلك فإن الغزالي يعتقد من منطلق الخبير بهذا الميدان أن «من أعجب النقائص في دين الله ودنيا الناس أن هناك نفراً ممن يتسمون بالدعاة ويحسبون أن ما يقولون لغيرهم من علم إنما هو أمر يخصّ المخاطبين فحسب، وقد يعني الناس أجمعين إلا إياهم!! إنهم نقلة فحسب، إنهم «أشرطة مسجلة» أو «أسطوانات معبأة» تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها وهي تهرف بما لا تعرف، ثم تودع أماكنها لتُدار مرة أخرى إذا احتيج إليها، إن هذا الجماد الذي أنطقه الذكاء الإنساني هو صورة للجماد الذي أنطقه الاحتراف... إن الدعاة الذين يحيون على ذلك النحو المتناقض هم آفة الإيمان، وسقام الحياة، وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا ويمرغها في الوحل»(١١).

والحل العتيد لهذا الفصام - برأي الشيخ الغزالي - كي يتوقى الداعية بلوغ هذه الصورة القاتمة، أن يكون إصلاح النفس في مسار الداعية برنامجاً قاراً طوال أيام عمره، فإن الكثير من الطباع الكامنة والمستترة في النفس البشرية، تستدعي اليقظة الدائمة والوعي المتواصل... وبدهي أن هذه العناصر من اليقظة الوعي وغيرهما ينبغي أن تشمل من كيان الداعية نفسه وعقله وسلوكه، فمخالطة الناس لوقت طويل وفي ظروف وحالات متباينة ومتناقضة ليس بالأمر الهين ولا السهل، فإن تلك المخالطة والمعايشة إذا استطالت قد يتسرب منها لكيان الداعية بعض النقائص أو حتى الاهتزازات والعلل، فضلاً عن تسرب روح الملل والضعف والبرود أو عدم الفعالية، ومن ثمّ، فإن تعهد الداعية روحه وعقله وسلوكه بالرعاية الدائمة والإصلاح المستمر أمر في غاية الأهمية، بل شرط من شروط مواصلة الطريق وتحمل تكاليف وأعباء هذه الرسالة.



٣ - دقة الفهم للدين والفقه بالواقع: لا يعتبر الشيخ الغزالي الشخص الداعية صادقاً في دعواه إن لم يكن جاداً في بذل الجهد المطلوب والمثابرة الواجبة لفهم حقيقة الدين وجوهره واستيعاب نصوصه ومقاصده على الوجه المرتجى، ويرتبط بذلك أيضاً فهم المحيط والواقع وفقه أحوال المدعوين وأنماط المتغيرات والمستجدات في حياتهم وواقعهم، فإن المداخل الصحيحة للتغيير والتأثير لاتدرك إلا بدراسة مشكلات الناس والإسهام المخلص في حل بعض جوانبها، وإظهار الداعية همة مشاركة المدعوين همومهم وأعباء ما يعانون من ظروف الحياة وأثقالها، وذلك بقصد صادق وعزيمة قوية، كي لا يشعر هؤلاء المدعوون بتكلف أوبقلة صدق في سلوك الداعية.

ومن غير شك أن هذه الوظيفة الرسالية تتطلب مؤهلات عدة بعضها من صميم التركيب النفسي والذهني للداعية، وبعضها الآخر يكتسب بالمران والرغبة الصادقة في حب الهداية للناس وانتفاعهم بصراط الله المستقيم، ووفق هذه الرؤية، فإن الداعية النابه الحصيف - كما يرى الشيخ الغزالي - رجل يشخص الأدواء والعلل ثم يضع لها الدواء المناسب من المظان المعصومة «وبذلك

يجيء نصحه طباً للمريض، ورحمة تذهب عناءه ونوراً يهديه السبيل، والقدرة على هذا الأسلوب لا يلقاها إلا من استجمع ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسنة تكون رصيداً عنده لأي داء وافد أو مرض عارض، وإحاطة تامة بطبيعة البيئة، وأحوالها الجلية والخفية وظروفها القريبة والبعيدة... فإن الداعية الحكيم هو الذي يبلغ رسالته بتلك الطريقة، فيسوق من الحق الإلهي ما يقوّم العوج الإنساني بلباقة وفقه، ويرسل من العظات ما يكون دواء حاسماً لما يحسّه الناس في أنفسهم من حيرة واضطراب»(١٢).

ونرى الشيخ الغزالي يستخلص هذه الرؤية ـ فضلاً عن تجربته الخاصة ـ من سيرة سيدنا داود عليه السلام الذي جعل العبادة سبيلاً للعمل والإنتاج والإبداع، حتى لانت له صناعة الحديد، وعدّ الله ذلك من أنعمه وآلائه عليه، وقرن هذا الإلهام الفني الرائع بنعمة التوفيق إلى العبادة الخاصة... تلك العبادة التي أطلقت لسان داود بآيات التسبيح نغماً حلواً تردد صداه الجبال، وتشارك في ترجيعه الطير (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدّرْ في السرد واعملوا صالحاً)(١٣)، في هذا الجو الطهور من الإخلاص لله وشكر آلائه كانت المطارق تدوي والمسابك تصوغ والأفران تصهر... أما اليوم فأمارات الصلاح المكذوب والتقوى المصطنعة أن ترى رجالاً يمشون رويداً ويكثرون لغواً ويأكلون سحتاً، ويعيشون في جو من الهمهمة والشعوذة لا عمل فيه ولا كفاح ولا تكسب!! وربما وقر في نفوس هؤلاء البطالين أن أعمال الحدادة والنجارة والبناء ورعاية الغنم وأمثالها، ليس مما يليق بالنبلاء وأشراف الناس أن يتكسبوا به، ولا غرو فمن أين لهؤلاء منطق النبوة العالية والرجولة الصحيحة وهم عاطلون قاعدون؟»(١٤).

الداعية لا يستطيع أن يستمر في طريقه مبلّغاً ومرشداً إلا إذا نجح في الارتقاء إلى مستوى دعوته

إن فهم الشيخ الغزالي يتجه إلى كون استيعاب الواقع وتكوين صورة صحيحة عن ظروف الناس وواقع الحياة هو الموقف الأدنى إلى الفطرة في التعامل وإلى مسالك الأنبياء والرسل إزاء البيئات والأحوال والوقائع التي عايشوها وسط الأقوام الذين بعثوا فيهم... ومن هذا المنطلق ذاته، فإن الغزالي يلحّ على الداعية أن يستشف ويتمثل هذا المسلك من واقع الاقتداء بتلك الكوكبة المصطفاة من عباد الله حتى يستطيع تحقيق نجاحات ومكاسب لدعوته... فمما لا شك فيه أن الداعية الناجح هو من يجمع في عبقريته بين معالجة أسقام الأرواح والنفوس والأفكار، وبين توجيه الناس إلى إعمار الأرض وصناعة الحياة الكريمة الصالحة، وفق مقتضيات وأبعاد رسالة الاستخلاف عن الله في أرضه وملكوته... ووفق هذا النسق البديع كما تمثله سيدنا داود وإخوانه الأنبياء ورسخه بقوة وحيوية أمير الأنبياء وخاتمهم محمد ـ ﷺ ـ في سيرته ومنهجه، واستوحى ذلك منه الرهط الأول من جيل الصحابة والتابعين والفاتحين، وفق ذلك وحده يتأسس المنهج الصحيح الواقعي لهذه الدعوة.

٤ ـ الإخلاص للفكرة والمبدأ: إن الإخلاص الكامل للمبدأ هو سر نجاح وتألق الدعوات والاتجاهات، لأن الكلمة الحية هي تلك التي اقتاتت قلب إنسان وانبعثت من صلة هذا القلب بالنبع الخالد، فتبناها الآخرون لنبضهابالحياة، والحركة والفعل، والإسلام يرقب بعناية هائلة ما يخالط أعمال الناس من مقاصد وما يشوبها من انفعالات ومنازع، وذلك لأن «صلاح النية وإخلاص الفؤاد لربِّ العالمين يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة، ولأن خبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها، بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسائر»(١٥).

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن الداعية بحكم وظيفته وطبيعة الرسالة التي يقوم عليها، مطلوب منه أكثر من غيره التجرد لله في مناشطه جميعاً، فإن اشتباكه المتواصل مع أحوال الناس ورضاهم وسخطهم وقوتهم وضعفهم يفرض عليه أن يكون أكثر حرصاً على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه ورعاية حقوقه، حتى لا يضل الغاية ولايحيد عن النهج في زحام الحياة... فإن التدين الذي تكتنفه الأهواء والمنازع المنحرفة ضرب من العوج النفسي والالتواء الخلقي والسلوكي يثير التقزز ويستدعي اللوعة، ويجعل صاحبه مظنة كل النقائص المحبطة للفضائل العليا، ففي هذا المجال لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله تعالى وحده، ولابد أن يكون الداعية على بصيرة كاملة لا خلل فيها إزاء هذا الأمر(١٦).

كما يشدد الشيخ الغزالي على هذه الصفة وعلى ضرورتها الآكدة في حياة الداعية وهو ينجز أهداف وغايات الرسالة المنتسب إليها، ويرى الشيخ أن الداعية المرائي يقترف جريمة مزدوجة، فضلاً عن أنه في جبين الدين سبة متنقلة وآفة جائحة، وأن تقهقر الأديان في حلبة الحياة راجع بنسبة معتبرة إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، ويستشهد الغزالي على ذلك بقصة إمام مسجد في إحدى القرى بالريف المصري، فقد كان من عادة هذا الإمام أن يصلي المغرب بآيتين من أواخر السور، فإذا حضر العمدة الصلاة، كان هذا الإمام يتحرى أن يصلي بسورتين كاملتين يجوّد قراءتهما في الركعتين الجهريتين!!(١٧).

إن دفع الرياء والتخلص من شوائبه في نفس الداعية والتجرد لله في شتى الأعمال هو ـ كما يلاحظ الشيخ الغزالي ـ مسلك دونه مجاهدات متواصلة وعزائم راسخة، وقد كان الرعيل الأول لهذه الأمة على هذا النحو من الأدب مع الله... فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر ـ رضي الله عنه ـ خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله ـ ﷺ ـ يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال معاذ: حديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ يقول فيه: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى

أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل مظلمة»(١٨)، وشيء آخر لابد من ذكره وهو أن الداعية بقدر ما يُخلص عمله وجهده لله بقدر ما يحقق لدعوته من نجاح وتألق وكسب، فضلاً عن السعادة التي يستشعرها بين جوانحه بإخلاصه لله وحبه ودعوته لعقيدته، وتطلعه المستديم لتحصيل الرضوان الأعلى في الدنيا والآخرة، إن نعمة الإخلاص في مجال التعامل مع الله ودينه الحق لا يصح مطلقاً أن تضاهى بنعمة أخرى، لذلك يجب على الداعية أن يرعى ربه أولاً، وأن يمحّص أعماله ويغلغل فكره في بواعثها الحقيقية، فإن هذه المراجعة بالغة الأهمية سواء على مستواه الخاص أو على مستوى تفعيل دعوته وإثمار مغارسها.

٥ ـ الشجاعة والثبات على الحق: إن التجربة العميقة في ميدان الدعوة دفعت الشيخ الغزالي إلى الاعتقاد بأن الإسلام يمقت الجبن والخوف والتردد ويمجد الشجاعة والعزم والإقدام، وعلة ذلك كما يرى أن الرسالات العظيمة والمبادئ المتألقة لا ينتصر لها ولا يزيدها وضوحاً وألقاً وإغراء باعتناقها، إلا ذوو الشجاعة والعزم من الناس، أما الجبن فهو مسلك يذوي بالمبادئ ويدفن الحق تحت الثرى، كما يمكّن للظلم وما يستتبعه من مآرب خسيسة ونزوات دنيا وهبوط إنساني، لذلك فإن الشيخ الغزالي يُلزم الداعية بالإيمان الصحيح والتحصّن بأسبابه، لأنه أقوى عامل في بناء الكيان الشجاع والنفسية الواثقة المطمئنة.



والشيخ الغزالي حين يركّز على عامل الإيمان الصحيح ودواعي الثبات على الحق والمبدأ بالنسبة لشخصية الداعية، فهو توجّه مبرّر بالنظر إلى طبيعة الصراع والتدافع التي تؤطر واقع الحياة، فتضحى «البواعث الضعيفة لليقين لا تجدي شيئاً أمام عصف النزوات المتاحة، وإذا لم يفلح الإيمان في تكوين أسس للخير قوية التيار غلاّبة النفوذ شديدة النفاذ، فهو لن يكسب في ميدان الحياة معركة... وإذا لم يكن الصالحون من وضوح النية وروعة السلوك وتألق السيرة على النحو المعجب البارز فهيهات أن يفوز بهم مبدأ، أو تنجح بهم فضيلة أو تخذل أمامهم رذيلة، يجب ـ لكي ينتصر الطهر في هذه الحياة ـ أن يكون في نفس أصحابه أبرز من العهر في سيرة العاهرين، ولكي تسود العدالة في الأرض يجب أن يتعلق بها سدنتها تعليقاً أشد من اشتهاء الظلمة لظلمهم، وإذا كانت هناك نفوس ضَرِيَتْ على العسف، وتوحشت به في أعمالها حتى لكأنها سباع مفترسة، فما يغني في صدها أن تلقاها في زحام الحياة مقاومة مستأنسة أو براثن من حرير!! إن طبيعة الشر عنف المصدر وحدّة المسير... ومقتضى ذلك أن يكون الإيمان قادراً على الظهور، قادراً على الحركة، قادراً على المقاومة، شجاعاً في تصرفاته جميعاً، ومن أجل ذلك كانت الشجاعة خلقاً أصيلاً في الداعية إلى الله، وشيمة لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس(١٩).

ويذهب الشيخ الغزالي إلى ضرورة أن يتصف الداعية بسمة الشجاعة والعزم والثبات على ما يتمثل به من حق ومثل ومبادئ، وهو في ذلك يستمد قوته من الله ومن شدة إيمانية بعقيدته واتجاهه، فإن الداعية إذا لم يكن شجاعاً مطيقاً لأعباء رسالته فخير له ـ كما يرى الغزالي ـ أن ينسحب من هذا الميدان، وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شؤونه ومقتضياته، والحقيقة أنه ليس أمام الداعية خيارات كثيرة، فهو إما ارتفع إلى مستوى مستلزمات إنجاح دعوته وإعزاز ما يدعو إليه من قيم ومبادئ، وإما حكم على نفسه بأنه لا يصلح لميدان الدعوة... لذلك فإننا نجد الشيخ الغزالي الذي يشبه الدعاة في دفاعهم عن الإيمان بالجيش الموكل بحراسة الأمن، ينتقد بشدة الدعاة المتخاذلين عن نصرة الحق والدفاع عن الثغور التي يقومون عليها، والعجب العاجب عنده «أن الجند المكلفين بحراسة الأمن قد يفقد بعضهم روحه وهو يطارد لصاً أو يُصاب بعاهة مؤلمة وهو يؤدي واجبه، ذاك فضلاً عن السهر المستديم والجهد الموصول، أما جند الدعوة من أئمة ووعاظ ومرشدين فكأنما أخذوا عهداً على الدهر ألا يمسهم سوء، فهم يسمنون والدين ينحف، ويُراحون والدين مكدود، ويعيشون متخاذلين على حين يتساند جيش الشيطان لبلوغ هدفه وإدراك أمله...»(٢٠)

٦ ـ الاستبحار العلمي والثقافي: يتسم واقع الحياة المعاصرة بتراكم المعرفة الإنسانية الموروثة عبر رحلة قرون طويلة مطبوعة بزخم هائل ومتنوع من التجارب والمسالك المختلفة، والتي هي في واقع الأمر تمثل جانباً رئيساً من حصيلة كدح البشرية في سبيل الترقية والتغيير والتنمية وبلوغ المستوى الفطري الطبيعي لإنسانية الإنسان... والشيخ الغزالي يعتقد بأن الواقع الإنساني المعاصر على صعيد الفكر والثقافة والفتوحات والكشوفات العلمية قد بلغ شأواً بعيداً، ونتج عن ذلك أمور كثيرة منها اقتراب منابع الثقافة والاتجاهات الفكرية من بعضها بعضاً، ومنها التعرف بدقة على أبرز معالم وقسمات ومقومات الهويات الحضارية والمذهبية للمجموعات والتكتلات البشرية... وكل هذه الحقائق والمسلمات تقتضي من الداعية أن يكون في مستوى العصر، كي يجعل دعوته ليست غريبة عن العصر ولا عن المنطق والمعايير السائدة بين الناس، وحتى يتوافر على المداخل المناسبة لشرح فكرته وتصوير الأهداف التي يروم تحقيقها.

وفي يقين الشيخ الغزالي أن الاستبحار العلمي والفكري والثقافي المطلوب بقوة وإلحاح للداعية يرتكز بشكل أساسي على القواعد المعرفية الآتية(٢١):

أ - المعرفة الحسنة بعلوم الكتاب والسنة.

ب - الاطلاع على التاريخ الإسلامي والإنساني.

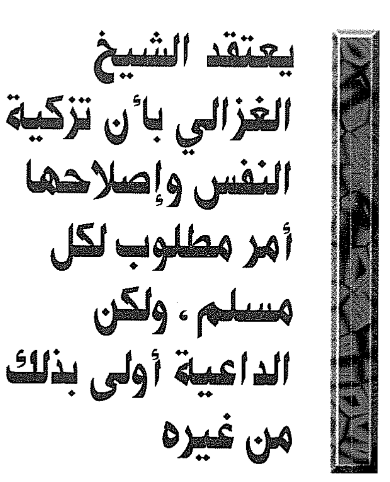
ج - دراسة اتجاهات علم النفس وفروعه المتعددة.

د - الاطلاع على علوم الكون والجغرافيا والحياة.

هـ - التعرف الواعي على شتى المذاهب الفلسفية.

و - الإلمام بعلوم اللغة والأدب العربي.

إن الشيخ الغزالي كداعية خبير بالعصر وبطبيعة الصراع الدائر في مسرح الحياة والواقع الإنساني المعاصر، وبمتطلبات الدعوة في الوقت الراهن لا يبدي أي تساهل إزاء المكونات العلمية والثقافية للداعية، بل نراه ينتقد بعنف بعض المتصدين للدعوة والمتحدثين في شؤون الإسلام دون حصيلة علمية شرعية ومؤهلات معرفية مقبولة، ودون معرفة بالعصر أيضاً والاهتمامات الغالبة على الإنسانية فيقول: «إن ناساً يدّعون الجهاد والاجتهاد وعقولهم كليلة لا تكاد ترى شيئاً من آيات الله في الأنفس والآفاق ولا تحركها همّة عالية لإدراك ما بلغته الإنسانية من ارتقاء... وإذا كان السباق العسكري بين العمالقة يثير النزاع حول مشروعية حرب الكواكب، فإن هؤلاء الناس يسمعون تلك الأنباء وكأنما ينادون من مكان بعيد ولا تزال عقولهم منكرة لأوليات علم الجغرافيا ولبدهيات شتى في الفيزياء والكيمياء... الشيء الذي يتحدثون فيه بحرارة هو الإسلام المظلوم من خلال أفهام لا يساندها وعي أو ذكاء أو تجربة، ألا فليفهم هؤلاء أنه إذا مات العقل مات الدين، وإذا اضمحلت المعرفة الإنسانية لم يغن عنها توسع في مرويات معطوبة وأفكار مقلوبة».(٢٢)



٧ - النقد الذاتي والمراجعة المستمرة: ومن أهم مواصفات الداعية الناجح في رأي الشيخ الغزالي ممارسة النقد الذاتي والمراجعة الدائمة للإنجازات والاجتهادات والأعمال التي يشرف عليها ويتابع نتائجها، وللتدليل على أهمية هذا الشأن بالنسبة للداعية ينعي الغزالي على بعض الدعاة الذين بدل أن يشتغلوا بإيجاد وتقديم حلول إسلامية للمشكلات والمعضلات الراهنة في المجالات المختلفة، أعلنوا الحرب على بعض الفرق الإسلامية القديمة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وهم بهذا السلوك - كما يرى الشيخ - قد يحرزون نصراً في ميدان لا عدو فيه أصلاً، إنه مثل النصر على الأشباح غنيمته الوساوس والأوهام(٢٣).

ومن ثم فإن الشيخ الغزالي يعتقد بأن الدعاة الذين لا يراجعون أطاريحهم ومعلوماتهم ولايمارسون النقد الذاتي بمنهجية واعية يقعون في أخطاء قاتلة، وانحرافات جسيمة على مستويين على الأقل:

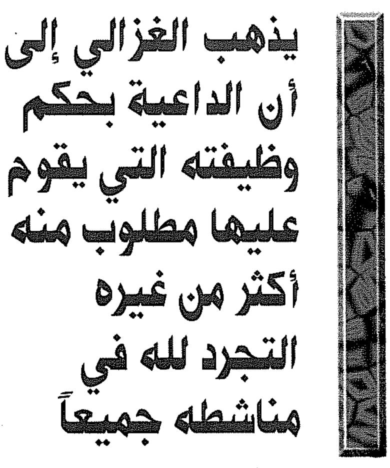
أ - مستوى التنظير والتفكير: وعن هذا المستوى يقدم الشيخ الغزالي جملة ملاحظات ونماذج من الأخطاء التي وقع فيها بعض الدعاة ممن لم يعملوا بالنقد الذاتي والمراجعة الدائمة لحصائلهم المعرفية والعلمية، فيقول: «في تطوافي بالعالم الإسلامي رأيت ناساً يتحدثون عن الإسلام حديثاً تأباه الفطرة ويمجه العقل، إذا كان العقلاء يتعشقون الحرية فهم يتعشقون القيود، وإذا كان العقلاء يؤثرون السهولة والمياسرة فهم يؤثرون التعقيد والمعاسرة، ومهمتهم بعد هذا الطبع المريض أن يتأولوا النصوص أو يصطادوا من الشواهد النادرة ما يؤيد نظرتهم ويرجح كفتهم... قال أحدهم - وهو يشتغل بعلم الحديث - إن إلغاء الرق ليس من الإسلام، قلت له: آفتك أنك اشتغلت بالأحاديث قبل أن توثق صلتك بالقرآن الكريم، فلم تتكون لديك الحصيلة العلمية التي تعينك على ضبط الأحكام، واستتليت: إن تحرير العبيد لا تقوم به دولة واحدة مادام القتال يسود الأرض، ومادام الأسرى يُسترقون، فإذا اتفقت الدولة على ميثاق لتكريم الأسرى ومنع استرقاقهم فهل نحن المسلمين نرفض ذلك؟ وليس في كتابنا أمر باسترقاق، وإنما فيه أوامر بالإعتاق، هل إشاعة الاسترقاق هدف إسلامي؟ ما قال ذلك أحد».(٢٤)

ثم يواصل الغزالي عرض ملاحظاته المنهجية والنقدية في السياق نفسه قائلاً: «وقال أحدهم - وهو يشتغل بالفقه - يجوز للقرشي أن يتزوج من يشاء من العرب أو العجم، أما القرشية فلابد من مراعاة الكفاءة في النسب، قلت له: إن البيوت مغلقة على عوانس بائسات محرومات من الزواج فهل هذا الكلام يحل مشكلاتهن؟ إن هناك أقطاراً واسعة في العالم الإسلامي تشقى فيها النساء لأن التقاليد جعلت دما دون دم وأباً دون أب أفهذا إسلام؟ ولا أريد المضي في سوق الأمثال، وإنما أذكر الشارة العامة عند هؤلاء المتحدثين الخطرين على الإسلام دعوته... إن العقل عند هؤلاء متهم حتى تثبت براءته، والقياس الصريح مؤخر عن الأثر الضعيف والمصالح المرسلة مذهب مردود على أصحابه والسيف لا الإقناع أساس نشر الدعوة! وملابس البادية أمارة على التقوى أما الأزياء الأخرى، فإن لم تدل على التحلل فهي موضع ريبة، وعدم البصر لا غض البصر أساس العلاقة بين الجنسين! وقلما يعرف هؤلاء شيئاً عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون في التاريخ عن أساليب الحكم في الكوفة أو بلخ ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب!! إنني أصادف هذه المناظر المؤذية في طريق الدعوة فأشعر بالنكد، وآخر ما لقيت من هؤلاء شاب يقول لي: أليس في الالتحاق بالجيش شيء من الوثنية؟ قلت: ويحك كيف!! قال - فضّ الله فاه - إنهم يُحيّون العلم كل يوم وهذه وثنية!!».(٢٥)

ب - مستوى الممارسة والحركة: كما تنتج أخطاء فادحة لدى الدعاة الذين لا يمارسون النقد الذاتي والمراجعة الدائمة لأفكارهم

ومعارفهم، على صعيد التنظير والتفكير، فإن أخطاء جسيمة أخرى تنتج أيضاً بسبب ذلك على صعيد الممارسة والحركة والفعل، والشيخ الغزالي لا يفصل بين المستويين، فكلاهما وزر يبوء بحمله الدعاة المقصرون، وكلاهما عوائق وأقذاء تسهم في الصد عن الدعوة إلى الله.

وعن الأخطاء والانحرافات التي تظهر على مستوى الممارسة والحركة يقول الشيخ الغزالي تحت عنوان (الحطيئة حين يشتغل بالدعوة إلى الله) محذراً من مخاطر هذه السلوكيات المرضية: «الناس أنواع فيهم من يحمل بين جنبيه طبيعة الحمل الوادع أو الثعلب الماكر أو الأسد الهائج أو الجمل المنقاد، ولا حيلة لنا في تغيير الطبائع المركوزة، وما نحاول شيئاً يعزّ على أساطين المربين، إلا أننا نقترح أن تسند الأعمال إلى أصحابها في هذه الحياة على ما يلائم شتى الأمزجة، فلا تسند شؤون القتال إلا إلى الرجال الأسود... وربما صح أن يعمل في ميدان السياسة رجال لهم ختل الثعالب، أما الدين فأحق من يشتغل به رجال لهم صفاء الملأ الأعلى وخلوصهم من الشوائب والدنايا، والداهية الدهياء أن يقف في محاريب الدين رجال من... من شكل الحطيئة وأن يتكلم بلسانه صنف من البشر إذا وقع الإنسان لسوء الحظ بينهم، فكما يقع الطارق الغريب أمام بيت لا أنيس فيه، ما أن يقرع الباب حتى يقضم رجله كلب عقور، رأيت طائفة من حزب الحطيئة هذا يزعمون أنهم دعاة إلى الله (لو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)(٢٦) أولئك قوم يتمنون وقوع الخطأ من الناس حتى إذا زلت أقدامهم وثبوا على المخطئ، وظاهر أمرهم الغضب لحدود الله، أما باطنه فالتنفيس عن رغبات الوحش الكامن في دمائهم يريد أن ينبح المارة ويمزق أديمهم، علامة هؤلاء أن يضخموا التوافه ويتاجروا بالخلافات ويتلمسوا للأبرياء العيوب!».(٢٧)



إن تركيز الشيخ الغزالي واحتفاءه بصفة النقد الذاتي والمراجعة الدائمة في حياة الداعية وتجربته الدعوية له مبرراته العلمية والمنطقية، كما يعكس في الوقت ذاته مدى أهمية ونجاعة فكر الغزالي بالنسبة للدعاة وحركات الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي، وعلة هذا الاستنتاج تكمن في كون «مشروعات النهوض الحضاري تستدعي إلى جانب مواصلة تنفيذ مراحل المشروع وتبصّر واقعه واستشراف مستقبله: مراجعات مستمرة وتقويمات متواصلة وتعديلات مطردة، على المستويين النظري والعملي، ذلك أن الإسقاط الفعلي للأفكار والنصوص على الأحداث والواقع غير منضبط بآلية واحدة من المعيارية، لاختلاف في حالات ونماذج وظروف التطبيق، وكذلك لتعدد الفهوم والرؤى للفكرة الواحدة وللنص الواحد، دون إغفال الأثر الذي يتركه تعاقب المراحل بالنسبة لمشروع نهوض حضاري ما، والمشروع الحضاري الإسلامي المعاصر بحاجة ماسة لمراجعات شاملة وعلى كل الجبهات والساحات الفكرية منها والثقافية والدعوية والاستراتيجية.... إلخ، إذ إن عملية إعادة النظر والمراجعة للقول والفعل، للنظري والتطبيقي تأكدت جدواها وأهميتها، بل ضرورتها لمشروعات النهوض والتغيير لدرجة لا ترقى لشك أو ظن وتخمين».(٢٨)

٨ ـ الاهتمام بأوضاع المسلمين: الذي يظهر جلياً أن الشيخ الغزالي من خلال مواقفه ونتاجه الفكري لا يستطيع هضم عدم اهتمام الداعية المسلم بشؤون المسلمين وأوضاعهم في كل مكان من المعمورة، وكثيراً ما سمعتُ الغزالي يذكر بتأثّر موقف والدة الشيخ محمد رشيد رضا التي كانت تسأله حين يصبح عابساً أو شارد الذهن قائلة له: ماذا حدث لك هل أصيب مسلم في الصين؟! يقول الغزالي لأن الشيخ رشيداً كان معنياً بأوضاع المسلمين في أي مكان، فالداعية الحق في رأي الشيخ الغزالي يستحيل أن يعيش في غيبوبة عما يحدث للمسلمين... والفواصل الجغرافية وتنائي الديار لايجوز أن تكون له عذراً في تقصيره وتفريطه في هذا الواجب المقدس الثابت بأدلة قطعية(*).

وإذا كان الشيخ الغزالي يُلزم كلَّ داعية إلى الإسلام بأن يجعل الاهتمام بأوضاع وأحوال المسلمين في صميم برنامجه الثابت الذي لا يتأثر بالنوازل والمتغيرات، فأنا أعتقد بأن الغزالي نفسه يمثل خير نموذج في هذه الصفة المطلوبة للداعية، فإن عين الشيخ مفتوحة على كل شؤون المسلمين وعلى ما يعانون منه سواء في أوطانهم الأصلية أو كأقليات تعيش في أقطار أخرى، وقلبه الحي مَرْصدٌ دقيق لمراقبة ما يحدث في دنيا المسلمين... وفي بعض كتب الغزالي تقارير غزيرة المعلومات عن معاناة المسلمين في بعض الأقطار الضائقة بهم بفعل تحرشات حاقدة وتدابير ماكرة، ففي كتابه «كفاح دين» كتب الشيخ تقريراً عن المسلمين في الحبشة وتتبع بألم البواعث الصليبية المتربصة بالإسلام في هذه البلاد، وفي كتابه «قذائف الحق» نجد تقريراً آخر عن أوضاع المسلمين في كل من أندونيسيا وقبرص وكوريا، كما تحدث الشيخ عن حال المسلمين ومعاناتهم البائسة في الفلبين في مؤلفه «علل وأدوية»... وكذلك في كتابه «الاستعمار أحقاد وأطماع» أثبت الشيخ تقريراً آخر ميدانياً عن أوضاع الإسلام والمسلمين في مناطق عدة من شرق أفريقيا ووسطها، ولا يكاد مؤلف من مؤلفات الغزالي يخلو من حديث أو اهتمام بشكل ما بأوضاع المسلمين هنا أو هناك، ولم أر هذا المنهج أو الأسلوب عند غيره من كُتاب الدعوة والمفكرين الإسلاميين المعاصرين.

وقد بقي الشيخ الغزالي حتى السنوات الأخيرة من عمره يحمل هذه الروح المتقدة، كما سجل ذلك في كتاباته المتأخرة مصوراً همومه وأحزانه على أحوال المسلمين المستضعفين، وعن زيارته

للمسلمين في البوسنة والهرسك يقول معبراً عن بعض تلك المشاعر «كنت كسير النفس وأنا منطلق مع معجبي من «زغرب» إلى مخيمات اللاجئين من أهل البوسنة والهرسك، إنني أحمل مقداراً من الآلام لا أحتاج معه إلى مزيد!! ولكن لابدَّ من هذه الزيارة حتى نشعر المسلمين هنا بأن وراءهم إخوة يدعمون جانبهم ويأسون لقضيتهم... ومررنا في أول الطريق بميدان رحب يتوسطه مبنى فخم فقال السائق: هذا ميدان الجامع! قلت: فأين الجامع؟ قال: كان هنا فهدم «تيتو» مآذنه الأربع وحوّل صحن المسجد إلى متحف هو ما نراه الآن! وشعرت بضيق خانق وقلت وأنا أهمس: إن تيتو الذي منح نفسه لقب مارشال هو أحد زعماء عدم الانحياز بين القوى العظمى، ويظهر أن ضرب الإسلام من مظاهر عدم الانحياز، فإني ما استعرضت تاريخ أحد من قادة هذه الحركة إلا رأيت موقفه من الإسلام بالغ السوء....»(٢٩)، إن المهم هنا أن الشيخ الغزالي لا يتساهل ولا يتنازل للداعية عن صفة الاهتمام بأوضاع المسلمين وتتبع أفراحهم وأحزانهم وجعل ذلك جزءاًمن التحرك بالدعوة.

ثالثاً : ملاحظات عامة

١ ـ إن هذه المواصفات لاتمثل الحصيلة النهائية من المواصفات التي يرى الغزالي ضرورتها لشخص الداعية، ولكنها أبرز وأهم ما وقفنا عليه في بعض كتابات الشيخ الغزالي، ولا شك أن هناك مواصفات أخرى يعتقد الشيخ بجدواها يتطلب استخلاصها إلى قراءات ضافية وصبر على البحث والتأمل والاستنتاج.

٢ ـ وردت تفصيلات عدة لبعض هذه المواصفات في كتابات وخطب ومحاضرات ومذكرات الشيخ الغزالي، وهو ما يعكس حرص الشيخ على صنع أجيال من الدعاة لها مؤهلات تشرّف وتدعم الدعوة الإسلامية، في وقت تبرجت فيه جميع الدعوات وتمكنت من استغلال الإمكانات والقدرات المتاحة لبلوغ أهدافها.(٣٠)

٣ ـ قوة إيمان الشيخ الغزالي وتعويله على الدعوة والدعاة لخروج الأمة الإسلامية مما هي فيه من هوان وضعف وتخلّف، وهو ما يفرض على مؤسسات الأمة إيجاد الداعية المتجرد لدعوته الغيور على أمته، الداعية الذي لا يقبل أي مساومة على دعوته، فهو يعيش لها أبداً ويحيا ويتحرك في سبيل نصرتها والتمكين لها.

٤ ـ إن المتأمل في المواصفات السابقة، والعارف بالشيخ الغزالي معرفة قرب، يتبدى له جلياً عمق تحقق الشيخ وتمثله لتلك المواصفات والخصائص، أي أن شخصية الغزالي ذاتها خير مثال لنموذج الداعية الناجح، والشواهد تتضافر وتتعاضد للدارس على أن الشيخ الغزالي كان داعية موفقاً بكل مقاييس التوفيق. ■

الهوامش :

١ ـ محمد الغزالي، مع الله (القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ص٨.

٢ ـ المصدر نفسه، ص ١٨٧.

٣ ـ سورة الفرقان آية: ٥٩.

٤ ـ المصدر السابق نفسه، ص ١٨٨.

٥ ـ سورة فاطر: ١٩ ـ ٢٢.

٦ ـ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام «باتنة/ الجزائر: دار الشهبات، د.ت»، ص ٣١٨.

٧ ـ محمد الغزالي، مع الله (مصدر سابق) ص ١٩٠.

٨ ـ المصدر نفسه، ص ١٩١.

٩ ـ محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن (الجزائر: دار الانتفاضة، د.ت) ص ٢١٤.

١٠ ـ محمد الغزالي، مع الله «مصدر سابق»، ص ١٩٢.

١١ ـ المصدر نفسه، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

١٢ ـ المصدر نفسه، ص ١٩٥.

١٣ ـ سورة سبأ آية: ١٠ ـ ١١.

١٤ ـ محمد الغزالي، الإسلام والمناهج الاشتراكية (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط٤، ١٩٦٠م)، ص ٨٨.

١٥ ـ محمد الغزالي، خُلق المسلم (الجزائر: مكتبة رحاب، ط١٥، ١٩٨٧م)، ص ٦٨.

١٦ ـ محمد الغزالي، مع الله (مصدر سابق) ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

١٧ ـ المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

١٨ ـ رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد، وقال الحاكم: صحيح لا علة فيه.

١٩ ـ المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

٢٠ ـ المصدر نفسه، ص ٢١١.

٢١ ـ المصدر نفسه من ص ٢١٩ إلى ص ٢٢٦.

٢٢ ـ محمد الغزالي «هل يرتفع المسلمون إلى مستوى دينهم» مجلة المنهل السعودية العدد: ٤٤٩ ـ الربيعان (١٤٠٧هـ) ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م، ص ١٠٢.

٢٣ ـ محمد الغزالي، هموم داعية «باتنة / الجزائر: دار الشهاب، د.ت) ص ١٣٠.

٢٤ ـ المصدر نفسه، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

٢٥ ـ المصدر نفسه، ص ١٣٢.

٢٦ ـ سورة محمد ـ آية: ٣٠.

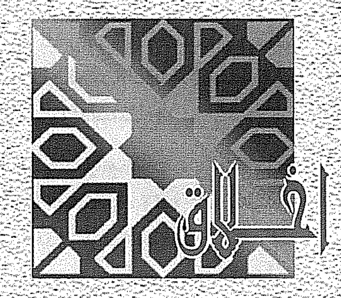
٢٧ ـ محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة «الإسكندرية: دار الدعوة، ط٢، ١٩٩٢م»، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

٢٨ ـ إبراهيم نويري «ضرورة مراجعة مصطلحات الخطاب الإسلامي المعاصر» مجلة الحرس الوطني السعودية، العدد (١١٠) ربيع الآخر ١٤١٢هـ ـ أكتوبر ١٩٩١م، ص ٢٨ ـ الزيادة الفائدة يحسن هنا مراجعة فصل: لماذا النقد الذاتي من كتاب «في النقد الذاتي» (خالص جلبي، في النقد الذاتي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٧م) من ص ٤٥ إلى ص ١٥٢.

(*) فضلاً عن آيات المناصرة والولاء لأهل الإيمان فقد وردت في السنة المطهرة أحاديث شريفة عدة في الحث على اهتمام المسلم بإخوانه في كل مكان والاكتراث بقضاياهم العامة.

٢٩ ـ محمد الغزالي، الحق المر، ج٤ (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٢، ١٩٩٧م)، ص ١٤ ـ في أجزاء كتاب الحق المر الستة يبدو اهتمام الغزالي بأوضاع المسلمين في كل مكان، خصوصاً الأقليات المستضعفة أو المهاجرة.

٣٠ ـ ومثال ذلك ما كتبه الشيخ في مقاله القصير (خصائص الداعية الناجح) في كتابه الحق المر (محمد الغزالي، الحق المر ج٣ «القاهرة : مركز الإعلام العربي، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م»، ص ١٣٥).



تتفاوت درجات البشر في الثبات أمام النوازل، منهم من يتلقاها - مهما تعاقبت - بطيب نفس ورباطة جأش، لا يبث كمده لمخلوق مثله، ولا يبدي ما الله مخفيه من أسقام - مهما عظمت - فلا تكاد تسمع له ركزاً، ومنهم من سجيته «البث المباشر» فتراه هلوعاً ولو مسّه طائف من البلاء يسير، لا يفتأ يذكر لهذا ويردده لذاك، حتى تصير الشوكة التي اشتاكها قصصاً تروى في الغداة والعشي وهو لايدري أنه بذلك قد أتى شيئاً إدا.

والمسلم الفطن لا يعزب عنه حقيقتين مهمتين، أولهما أن نفسه وماله وولده وكل ما يملك في هذه الحياة لله وحده وقد جعل عنده عارية، وثانيهما أن الدنيا التي يعيشها ليست دار قرار ولم يجعلها الله كذلك، بل هي دار تمحيص واختبار، مزرعة للنوائب، ومشرعة للمصائب، وأنه خلق فيها ليكد ويشقى ويبتلى حتى يصقل ليعد بذلك لحياة الخلود في الدار الباقية، وتلك أمور جوهرية يتجلى بوعيها ثبات الصنف الأول من البشر، فهم يتجرعون المرارة من تعبس، ويقفون مع البلاء بحسن الأدب.

وإذا ما وطّن الإنسان نفسه على تلك الطبيعة، فسيظل دوماً موفور الثقة، بادي الثبات لا يرتاع ولا يوجل من جُلّ الخطوب، حتى تنقشع غيومها وتنهمر عليه شآبيب الرحمة من عند الله وذلك هو وعد الله، بالسعة بعد الضيق، والعافية بعد البلاء، والرخاء بعد الشدة وباليسر بعد العسر (سيجعل الله بعد عسر يسراً) الطلاق:٧، (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسرا) سورة الشرح: ٥ - ٦، «ولن يغلب عسر يسرين».



الإنسان بين صبر الاضطرار وصبر الاختيار

بقلم : محمود علي محمد عبدالله

الصبر فضيلة

هنا تتجلى فضيلة الصبر، فهو ركيزة أساسية، ودعامة مهمة، وسقف هائل لتلك النوازل فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة أساسية عظيمة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها، وهو مقام من أرفع مقامات الدين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلّ منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام، لذا جعله القرآن مفتاح كل خير، وباب كل سعادة في الدنيا والآخرة وكفى أهله أنهم في معية الله ومحبته (إن الله مع الصابرين) البقرة:١٥٣، (والله مع الصابرين) الأنفال:٦٦، (والله يحب الصابرين) آل عمران:١٤٦، وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس وهم قليلون، فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيئ لنا غفرنا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

والصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها وهو من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والحياة لا ينهض برسالتها ولا ينقلها من طور إلا رجال عماليق وأبطال مغاوير، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال، فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات، ومن هنا كرّم الإسلام المتصبين لأعراض الدنيا وواسى المتعبين مواساة تطمئن بالهم وتخفف آلامهم(١)، وفي الحديث: «إن عظم الجزاء من عظم البلاء».

الصبر ضرورة حياتية

فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر ففي الدنيا لا تتحقق الآمال ولا تنجح المقاصد ولا يؤتى عمله أُكله إلا بالصبر، فمن صبر ظفر ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء، فالإنسان في هذه الدنيا لا يستغني عن الصبر في أي حال، ذلك أنه فيها بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقاً، ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها، فإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له حتى الممات، وكل ما يلقى العبد في هذه

الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر يخالفه، وهو يحتاج للصبر في كليهما، قال بعض السلف: «البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون».

ويذكر عن علي رضي الله عنه قوله: «الصبر ثلاثة: فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمئة درجة ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة، ومن صبر على المعصية خوفاً من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة ولذا كان الصبر على المعاصي أصعب أنواع الصبر شدة، فقد تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويطلق لنظره العنان إلى ما حرم الله وللسانه الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، ومن هنا كان الصبر على معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواعه لشدة الداعي إليها، ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد وألفها فإنه يعز عليه الصبر عنها وفي الحديث: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

يقول ميمون بن مهران: الصبر صبران: فالصبر على الطاعة حسن، وأفضل منه الصبر على المعصية، ويقول صاحب «قوت القلوب»: اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار، لأنه جاء في الحديث «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات فالمؤمن في حاجة ماسة إلى الصبر: على المكاره ليدخل الجنة وعن الشهوات لينجو من النار. ويقول: «اعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر عما يكرهون».

فالصبر إذاً ضرورة للناس عامة وللمؤمنين خاصة، والقرآن يشير إلى ضرورة الصبر وأهميته في الحياة حين يتحدث عن خلق الإنسان وما حف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه) الإنسان:٢، وقال تعالى أيضاً: (لقد خلقنا الإنسان في كبد)البلد:٤، أي في شدة ومشقة، «لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة الممزوجة اللذات بالآلام، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسؤولية وأمانة التكاليف التي تنوء بحملها السموات والأرض والجبال»(٢)، فهو يتقلب بين تلكم الابتلاءات المتعاقبة، من صرخة الوضع حتى أنة الموت.

ومن رحمة الخالق العليم بخلقه ولطفه بهم أن جعل البلاء في الدنيا بشيء قليل تخفيفاً عنهم وتقديراً لضعفهم (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) البقرة:١٥٥، وتنكير «شيء» في الآية، إن هي إلا دلالة على التقليل والتحقير لعلمه سبحانه أنهم لا يطيقون ما هو أكبر وأكثر، يقول ابن كثير: أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١، فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) النحل: ١١٢ فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه، ولهذا قال لباس الجوع والخوف، وقال هنا: (بشيء من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك.(٣)

أنواع الصبر وأسماؤه

يقول ابن القيم: الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفساني، وكل منهما نوعان: اختياري واضطراري، الأول: البدني الاختياري كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة، والثاني البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد وغير ذلك والثالث: النفساني الاختياري، كصبر النفس على فعل مالا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً، والرابع النفساني الاضطراري، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه.(٤)

قال قتادة: «خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو مع الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو مع البهائم».

ويقول الإمام الغزالي في الإحياء: (والصبر يكون محموداً إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، ثم هذا الضرب إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي «عفة» وضدها «الفجور» وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس بخلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر: فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم «الصبر» وتضاده حال تسمى «الجزع والهلع»، وإن كان في احتمال الغنى سمي «ضبط النفس» ويضاده «البطر»، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي «شجاعة» ويضاده «الجبن»، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي «حلماً» ويضاده «التذمر»، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان سمي «سعة الصدر» وضده «الضجر والتبرم»، وإن كان في إخفاء كلام سمي «كتمان السر» وسمي صاحبه «كتوماً»، وإن كان في فضول العيش سمي «زهداً» ويضاده «الحرص»، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي «قناعة» ويضاده «الشره»، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر).

ويقول ابن القيم: (فإن كان عن إجابة داعي العلجة سمي «وقاراً وثباتاً» وضده «بطشاً وخفة»، وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي «عفواً» وضده «الانتقام»، وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي «كيساً»، وإن كان عن إجابة داعي إلقاء الكل على الناس سمي «مروءة»، فله عند كل فعل وترك اسم يخفيه والاسم الجامع لذلك كله «الصبر» مما يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر).

حكم الصبر

قد يثور تساؤل عن حكم الصبر وتعلقه بالأحكام الخمسة المعروفة، يقول الإمام الغزالي: «إعلم أن الصبر ينقسم باعتبار

حكمه إلى: فرض ونفل، ومكروه، ومحرّم، فالصبر عن المحظورات فرض، وعن المكاره، نفل، والصبر عن الأذى المحظور محظور، والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله لجهة مكروهة في الشرع، فليكن الشرع محك الصبر.

ويقول ابن القيم: «الصبر الواجب ثلاثة أنواع: أحدها الصبر على المحرمات، والثاني الصبر على أداء الواجبات، والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها، وأما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله، وأما المحظور فأنواع: أحدها الصبر على الطعام والشراب حتى الموت، وكذلك عن الميتة والدم عند المخمصة حرام، إذا خاف بتركه الموت، ومنه صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية، أما الصبر المكروه: أحدها: أن يصبر على الطعام والشراب وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه، والثاني: صبره على جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به، والثالث: صبره على المكروه، والرابع: صبره على فعل المستحب، أما الصبر المباح: فهو الصبر على كل فعل مستوي الطرفين، خير بين فعله وتركه والصبر عليه، وبالجملة فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح».

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (الصبر أنواع: صبر على الطاعة، وصبر على المعصية وصبر على النوازل، فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة، فالصلاة مثلاً فريضة متكررة يقول الله فيها: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) طه:١٣٢، والصبر على المعاصي هو عنصر المقاومة للمغريات التي بثت في طريق الناس، وزينت لهم اقتراف المآثم المحظورة وفي الحديث: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم، والإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور، وهناك الصبر على ما يصيب المؤمن في نفسه أو ماله، أو منزلته أو أهله، وتلك كلها أعراض متوقعة، وهيهات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يصب أحد بسيلها الطام ضربه رشاشها المتناثر) (٥).

الصبر في القرآن الكريم والهدي النبوي

ترجع عناية القرآن البالغة بالصبر، إلى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً، وهو من أبرز الأخلاق القرآنية التي عني بها الكتاب العزيز في سوره المكية والمدنية، وهو أكثر خلق تكرر ذكره في القرآن، فهو نصف الإيمان وهو أبو الفضائل والمكارم كلها.

وينقل ابن القيم في «مدارج السالكين» عن الإمام أحمد قوله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً، وقال بعض العلماء: أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً؟! ولا نذكر شيئاً ذكره الله في هذا العدد إلا الصبر، ونذكر بعض من المواضع التي ورد فيها الصبر في القرآن:

١ ـ فقد أمر الله تعالى به (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل:١٢٧، (واصبر لحكم ربك) الطور:٤٨، وفي الحديث: «ومن يتصبّر يصبّره الله وما أخذ عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

٢ ـ نهى عز وجل عما يضاده (ولا تستعجل لهم) الأحقاف:٣٥، (ولا تهنوا ولا تحزنوا) آل عمران:١٣٩، وفي الحديث: «إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»(٦).

٣ ـ علق سبحانه عليه الفلاح (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران:٢٠٠.

٤ ـ ضاعف سبحانه وتعالى أجر الصابرين (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) القصص:٥٤، وجعل الأجر عنه بغير حساب (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠، وفي جامع الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي، فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»، وفي الحديث أيضاً: «قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

٥ ـ لاينال المرء درجة الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) السجدة:٢٤.

٦ ـ جعل الله النصر معلقاً بالصبر والتقوى: (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) آل عمران:١٢٥.

٧ ـ الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) آل عمران:١٢٠.

٨ ـ خص سبحانه أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) البلد:١٧ ـ ١٨.

٩ ـ الصبر على المصائب من عزم الأمور (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى:٤٣.

١٠ ـ كان ثناؤه سبحانه على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) ص:٤٤.

١١ ـ أخبر سبحانه أن الملائكة تسلّم على أهل الصبر في الجنة

وذلك بصبرهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) الرعد: ٢٣ - ٢٤.

١٢ - أن الحق قد جمع للصابرين ثلاثاً لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته لهم (وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

ولكن هل إلى معين من سبيل؟

قد يجد الإنسان نفسه أبيَّة على الصبر، وتكاد في غالب الأحايين أن تنتصر عليه طبيعته الطينية محتمياً خلف قوله تعالى في الآية ٣٧ من سورة الأنبياء (خلق الإنسان من عجل) والأحرى به أن يلوذ دوماً بقوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد)البلد: ٤، موقناً أن الله سيجعل بعد العسر يسراً، والحق يقول: (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً) الشرح: ٥ - ٦، ومن حكمته تعالى أن جعل اليسر مع العسر لا بعده ولا عقبه.

وقد عدّد الدكتور القرضاوي أموراً عدة أشار إليها القرآن تعين على الصبر وتهوّنه على النفس هي:

١ - المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا.
٢ - معرفة الإنسان نفسه.
٣ - اليقين بحسن الجزاء عند الله.
٤ - اليقين بالفرج.
٥ - الاستعانة بالله.
٦ - الاقتداء بأهل الصبر والعزائم.
٧ - الإيمان بقدر الله وسنته.
٨ - الحذر من الآفات العائقة عن الصبر كالاستعجال والغضب واليأس.

ولله در الشافعي حين قال:

ولا حزن يدوم ولا سرور
ولا بؤس عليك ولا رخاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا
فلا أرض تقيه ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن
إذا نزل القضا ضاق الفضاء

ويقول آخر:

ادفع بصبرك حادث الأيام
وترجّ لطف الواحد العلاّم

لا تيأسن وإن تضايق كربها
ورماك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة
تخفى على الأبصار والأوهام

كم من نجي بين أطراف القنا
وفريسة سلمت من الضرغام

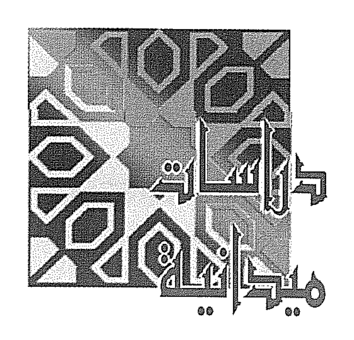
إذاً مادام هناك حياة ومكابدة فلابد من الصبر والتصبر في كل الأحوال، يلزم ذلك في المنزل مع الأهل والأبناء، مع الجيران أياً كانت طباعهم مع الصديق وفي الطريق في العمل وفي السفر في كل وقت من أوقات العبادة ومع كل بلاء ينزل بالإنسان في هذه الدنيا نصبر رضاء واختياراً. وكما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصفها: «دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء»، وكما قال ابن القيم: «إن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

قال تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الحديد: ٢٢ - ٢٣، وعلى الإنسان التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر بمنة فهل يرى إلا محنة، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً وإن سرت يوماً ساءت دهراً (٧)

فأسمى وأعظم ما في هذه الحياة نفس راضية قانعة بقضاء الله لا يتسرب إليها اليأس أبداً مهما استحكمت حلقات الخطوب وأدلهمّ ليلها، وأرقى ما في النفس الإنسانية أن تسمو إلى النورانية وتنحاز إلى باعث الدين قهراً لباعث الهوى، فالسير على منهج السماء يقي المؤمن شروراً عظاماً ويفرج عنه ضوائق جساماً، ويكسبه لباس الطمأنينة والأمان. ■

الهوامش والمراجع:

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي
- رياض الصالحين - الإمام النووي
- مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية.
١ - خلق المسلم - الشيخ محمد الغزالي ص ١٣٧.
٢ - الصبر في القرآن - الدكتور القرضاوي ص ١٤.
٣ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج١ ص ١٩٧.
٤ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ابن القيم: ص ٢٢.
٥ - خلق المسلم - الشيخ محمد الغزالي ص ١٤٢.
٦ - رواه الترمذي.
٧ - زاد المعاد - ابن القيم - ج٣ - ص١٢٦.



أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم

بقلم : عبدالهادي دحاني

يأتي هذا العرض نتاجاً لدراسة ميدانية قمت بها بصحبة بعض الأساتذة الزملاء في شعبة الدراسات الإسلامية بالجديدة لمجموعة من الزوايا ودور القرآن في إقليم الجديدة، وقد أرشدني انتشارها الجغرافي المتميز بين المدينة والقرى المحيطة بها إلى مسألة مهمة، وهي أن القائمين عليها والمشرفين والمنظّرين والمؤسسين كانوا يعتبرونها منارات صممت بتخطيط محكم لخدمة العلم، وهي مبثوثة بشكل مركّز لاحتواء كل شرائح المجتمع، حتى تنتشلهم من براثن الجهل والأمية، وتكوّنهم بالعلم والمعرفة الأصيلة والعصرية، لمكافحة الاستعمار من زاوية، وللنهوض بالبلاد نهضة عاملة من زاوية أخرى.

إنها المعاقل التي أسسها أصحابها لإعداد أفراد الأمة إعداداً محكماً وشاملاً، يتجاوب ومتطلبات العصر، ولذلك كان من أهداف هذه المنارات العلمية التكوين الأصلي والعصري، يدل على ذلك دلالة واضحة حرص المشرفين عليها الذين كانوا لا يدعون علماً من العلوم الإنسانية والتجريبية إلا وبادروا إلى انتداب أو استدعاء من يلقنه ويدرسه، فأدخلوا - إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية والآداب والفنون - علوم الجبر والحساب والفلك والمنطق والزراعة وغيرها، مما أتيح لهم تحقيقه، وهم يشرئبون دوماً إلى تحقيق ما لم يتوصلوا إليه.

فليست دور القرآن أو الزوايا مؤسسات قد عفّ عليها الزمان، فلم تعد تصلح لشيء في عصر الذرة والتكنولوجيا، وإنما هي مؤسسات أريد لها أن تتخلّف عن الركب الحضاري عندما رميت بثالثة الأثافي، ونسختها المدارس الحديثة والمعاهد والجامعات، وما هي إلا أوعية للعلم والمعرفة، تطويرها وعصرنتها يجعل منها معاهد وجامعات ومؤسسات تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

أهداف الدراسة في دور القرآن

لا أحد ينكر الدور الكبير والأساسي الذي تلعبه دور القرآن في مجال التربية والتعليم، لكن الناس بدؤوا يتخلون عن دور القرآن فبدأت هذه الدور تتخلى عن دورها، وذلك بحكم استبدالها بالمدارس العصرية، وإن كان الأولى أن يعاد النظر في هذه الدور من حيث توزيعها ومناهجها ومقرراتها وأهدافها، وشؤونها الإدارية والمادية، وكذلك من حيث أطرها الطبيعة ومن حيث روادها وكيفية استيعابهم، ومن حيث القائمين عليها من قريب أو من بعيد.

كان الأولى أن يعاد النظر في كل هذه الأمور مجتمعة، ثم يعاد ترتيبها ودراستها على ضوء عملية التطوير التي تخضع لها جميع المؤسسات التعليمية في مقرراتها، وبرامجها وشؤونها عامة، لقد كانت هذه المؤسسات في حاجة إلى توسيع في برامجها، وتطوير وتوسيع في رقعتها الجغرافية بين القرية والمدينة، حتى تستمر، ولكنها طمست وأهملت، وأقيم مقامها دور التعليم العصرية، ولا فرق بين هذه وتلك إلا في الأشكال، أما من حيث الجوهر والهدف فهما سيان، وهما سيان كذلك في إحقاق الرسالة التربوية والرسالة المعرفية. ويمكننا أن نتساءل: هل تعليم اللغات الأجنبية الذي يقتصر على المدارس العصرية وتعليم علوم الحساب والجبر وعلوم الفيزياء والرياضيات والطبيعيات، وعلوم المنطق والفلسفة، وغير ذلك من العلوم الإنسانية والتجريبية والرياضية لا تتناسب ودور القرآن؟ بل كيف نوسع المدارس العصرية بهذه العلوم مجتمعة ونحرم منها دور القرآن؟ ما الذي يبرر ذلك؟ قطعاً لا نجد هنالك تبريراً إلا إذا كان متعسفاً، إننا نعلم جميعاً أن القرآن الكريم مصدر العلم والمعرفة، بل إنه مصدر العقل المدبّر للعلم والمعرفة.

كيف نحرم دور القرآن من الاشتغال بهذه المعارف والعلوم، والقرآن يقول بوضوح: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) الرحمن: ٣٣. صحيح أن طبيعة دور القرآن تجعل منها مؤسسات ذات أهداف خاصة، تركّز في برامجها كثيراً على علوم القرآن وعلوم الشريعة، وعلى علوم الآلة في درجة لاحقة، ولكن هذا لا يمنع من كونها تستوعب كل العلوم والمعارف، وصالحة لكل الدراسات، كيفما كانت وجهتها شرعية أو فكرية أو علمية أو رياضية. ولاشك أن نظام التخصصات صالح لكل مؤسسة تربوية وعلمية، وهو يصلح كثيراً وجيداً في دور القرآن، كما يصلح في المدارس الأخرى.

دور المدارس القرآنية تلقين المعرفة للصغار والكبار

لاينبغي أن تقتصر دور القرآن على تعليم الصغار فقط، بل من واجبها أن تفتح الأبواب أمام الكبار، للذين تلح عليهم الرغبة في حفظ كتاب الله تعالى، بعد أن فاتتهم الفرصة في الصغر، وللذين يرغبون في تعليم التجويد وقواعد الترتيل، والذين هم في حاجة إلى تفسير القرآن وتفهم معانيه... فينبغي لدور القرآن أن تعمل على تحقيق رغبات هؤلاء جميعاً وإمداد كل من يرد عليها بحاجته.

فلربما كان الكبار أحوج من الصغار إلى هذه الأمور، حتى يشملهم استغفار الحيتان في البحر، وجميع الكائنات في الوجود.

هذا، وإن كثيراً ممن يسمون في عرفنا بـ «الطلبة» و«الفقهة» هم أشد الناس حاجة إلى معرفة العلوم القرآنية والعلوم الشرعية، أضف إلى ذلك ما يحتاجه هؤلاء بالحاح من تطوير وعصرنة، وما يتطلبونه من تصحيح لمجموعة من المفاهيم البالية والخاطئة، بل كم من «فقيه»

لا يفقه ما يحمله بين جنبيه من قرآن، بل إن هناك مجرمين ـ كما قال تعالى ـ يعبثون به في مواطن السحر والشعوذة وإفساد ذات البين: (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به) الحجر: ١٢ ـ ١٣، وقال تعالى أيضاً: (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) الشعراء/٢٠. فإذا كان حال هؤلاء الحملة لكتاب الله تعالى بهذا الشكل المقلوب، بدت الضرورة ملحة في الاهتمام بهم وبأمثالهم، والتركيز على إصلاح شأنهم، ولا شك أن إحياء دور القرآن كفيل بتوفير المنصب أو الوظيفة التي تعصمهم من السقوط في الزلل وفي الذل الذي ألحقوه بأنفسهم كما لحقهم من شح الوظيفة بالنسبة إليهم. لابد لمن يسمى بـ«الفقيه» أو «الطالب» أن يحظى باحترام الناس وتقديرهم، وقبل هذا وذاك لابد أن يحظى باحترام نفسه لنفسه وباحترام ما يحفظه من القرآن الكريم، وذلك لا يتأتى إلا إذا اعتقد أن كتاب الله لم يوضع للارتزاق، فشأن القرآن شأن عظيم يرقى ويسمو فوق كل هذا إلى الجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفقيه مطالب بالسعي كي يحقق العيش الكريم الذي يليق به، شأنه في ذلك شأن كل فرد في المجتمع، لأنه ليس في المجتمع الإسلامي ما يسمى بالرهبان أو القسيسين الذين لا فعل لهم إلا التزلف في الأديرة والصوامع، ولنا أسوة حسنة في جميع أنبياء الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، فكلهم كان صاحب حرفة، وصاحب شغل، إضافة إلى الرسالة التي أناطه الله بها، وكان لسان حالهم يقول دائماً: «اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمّن سواك»، وهو الدعاء الذي تناوله خاتم الأنبياء والمرسلين ـ ﷺ ـ وعلّمه أصحابه وأمته من بعد.

ولذلك فـ«الفقيه» مطالب بتوفير العيش الذي يضمن له الكرامة والاحترام الذين يليقان بكلام الله تعالى وهو يحمله بين جنبيه، ومطالب أيضاً بتبليغ ما يحمله من قرآن ومن علم إلى الناس، لأن من المسائل الأربع التي يسأل عنها العبد يوم القيامة قبل أن تزول قدماه، هي علمه: ماذا عمل به؟ ولو عدنا للبحث كيف نشأ ذلك الصنف من «الطلبة» أو «الفقهة» الذين لا يرعون رسالتهم حق رعايتها، لوجدنا حصيلة من حصائل الدور التي تخرجوا فيها، فهي لم تكن تنهج النهج السليم في أداء مهمتها التربوية.

ولذلك مسّت الحاجة بإلحاح إلى تجديد هذه الدور القرآنية في طبيعتها وفي مناهجها، وفي برامجها حتى تخرج العلماء الأكفاء، فلا نحتاج إلى إعادة التنشئة أو إعادة التربية، إن ذلك يدل دلالة صريحة على أن الاهتمام بالدور القرآنية والكتاتيب بات أمراً لا مفر منه، إن رسالة هذه المؤسسات تكمن في تنشئة الصغار على حب كتاب الله تعالى، فإذا أحبوه نشأ معهم هذا الحب وترعرع في قلوبهم، وحب كتاب الله تعالى يورث حب الله، وحبه يتأتى بتفهم معاني كتابه، حيث تتفتح له القلوب وتسعد به النفوس، فتتلوه حق تلاوته التي تسحر الألباب وتخشع لها الجوارح، فتقف عند حدوده، وتعمل بمقتضاه، ولا شك أن هذه التنشئة على حب الله وكتابه ورسوله هي التي تمنع نشوء كبار حفظوا القرآن في صغرهم دون أن ينعموا بحلاوة معناه وحقيقة لفظه. فدور الكتاتيب والمدارس القرآنية يتجلى في القيام بمهمتها تجاه الصغار والكبار أيضاً على هذا الوجه الذي بيّناه، لا على تلقيه بطريقة لا تسمح بفهمه وإدراكه، أي دون تشويق القلوب وتقريب النفوس إليه، وهذه التنشئة بهذا الشكل هي التي تمنع من خريجي الكتاتيب ودور القرآن جيلاً من العاملين بكتاب الله والداعين إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وهل هناك حكمة أبلغ وموعظة أحسن مما يقدمه كتاب الله تعالى عند تفسير معانيه وتقريبها إلى النفوس والعقول لتجد حلاوتها في القلوب فتتجاوب معها سلوكاً وعملاً.

وهذا هو الجيل القرآني الذي ينشده الإسلام بتعاليمه السمحة، لأنه تم إعداده في هذه المؤسسات القرآنية إعداداً محكماً، ولأنه عاش في ظلال القرآن العلمية الوارفة، وهي نعمة لا يقدرها قدرها إلا من عاشها وعرف حقيقتها.

ويمكن القول إن للمدارس القرآنية والكتاتيب هدفين يجب وضعهما موضع الأوليات التي ينبغي العمل على تحقيقها بالأساس:

أولهما: إعداد هذا لجيل الذي تحدثنا عنه سابقاً إعداداً يمكنه من التكوين الشامل حتى إذا ما تحمل مسؤولية الدعوة تحملها برشد وكفاءة.

وثانيهما: تقوية الإيمان برسالة القرآن في نفوس المسلمين، وتوطيد العلاقة بينهم وبين هذا الكتاب، كتاب ربهم، وذلك من خلال حفظه وتدبره، ودراسة علومه.

ولا شك أن تحقيق هذين الهدفين هو قبلة التربية الإسلامية، وهو الكفيل بإنشاء جيل معتز بدينه ومخلص لمبادئه التي يحيا لها بوجدانه وعقله، وبهذا يكون قد جمع في تربيته وتنشئته بين الأصالة والمعاصرة.

ميادين دور القرآن

ارتبطت الدور القرآنية قديماً بمجموعة من الأماكن، كالمساجد والمكتبات والمؤسسات الخيرية والملاجئ والمؤسسات التربوية وما إلى ذلك، وخلت منها بعض الميادين، وإن كانت هي في أمسّ الحاجة إليها، كالسجون ودور الشباب والثكنات العسكرية وما شابهها.

١ ـ المسجد: علاقة دار القرآن بالمسجد علاقة حميمة، فهما يتبادلان الأدوار، لأن ما يقوم به المسجد، وهو المدرسة الأولى، يمكن لدار القرآن القيام به كذلك، بما في ذلك أداء الصلوات، وتلاوة الأوراد القرآنية، ولذلك وجدنا في تاريخ المغرب أن المسجد هو دار القرآن، ودار القرآن هي المسجد، رسالتهما واحدة دورهما واحد.

وإذا كان هذا الأمر لم يعد اليوم يجد مكانته التي كان يحظى بها سابقاً في المجتمع، فإنه يحق على الأقل ـ أن يكون لكل مسجد مدرسة قرآنية، تعلم أبناء رواده وغيرهم القرآن وتدرّسهم مبادئ الإسلام، فإن ذلك سيعلّم في أضعف الإيمان هؤلاء الأبناء ارتياد المساجد، تشبّهاً بخلفهم من الآباء والأجداد والأقرباء.

والمسجد مؤسسة لها أدوار متعددة، منها الدور التعليمي الذي بدأ يضمر في نفوس الناس، وهو المتمثل في إحداث كتاب أو مدرسة قرآنية لتعليم الصغار، وكذلك الكبار وبخاصة الأميين منهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعليم الفقه واللغة وغير ذلك.

٢ ـ المكتبة: أما المكتبة فوجود دار القرآن بها أو بجوارها يحقق تكاملاً في المعرفة، لأن أغلب ما تحمله المكتبات، مما يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة، وبالفكر الإسلامي دراسة وتحقيقاً، سيجده رواد المكتبة ينحدر من المعين الأصلي، الذي هو القرآن الكريم، كتاب الله المفتوح على الكون والإنسان، والذي يحمل علم الأولين والآخرين،

وفيه أحوال الدنيا والدين... قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن حبل الله المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، أتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» أخرجه الحاكم.

٣ ـ أما المؤسسات الخيرية، فهي أحوج الميادين إلى دور القرآن، لأن روادها لا تقتصر حاجتهم على ما يقدم لهم من بر وإحسان، وخير مادي، ولاتقتصر حاجاتهم على مواساتهم ومناصرتهم لتحقيق التكافل الاجتماعي فيهم، فكل هذا وغيره من فعل الخير وصنع الجميل مطلوب لصالحهم، بل من الواجبات لهم في الحقوق المعلومة وغير المعلومة من الأموال التي تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء... ولكنهم في حاجة أخرى ماسة، بل هي ضرورية وملحة، وهي العناية الأدبية والدينية، ولذلك جعل الله تعالى فعل الخير عاماً يتسع لما يصلح الدين والدنيا معاً، وجعله فريضة فقال: (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) ولجلال قدره قرنه سبحانه وتعالى بعبادته التي من أجلها خلق الخلق، وذلك في سياق الآية (٧٧) من أواخر سورة الحج: (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون).

ومما يؤسف له أن الكثير من رواد الخيريات، تخرجوا فيها جفاة قساة، ومنهم البغاة، لأنهم تربوا في غير أحضان أسرهم الحقيقية، فحرموا رحمتها الفطرية، وحنانها الاجتماعي، ولم يجدوا لذلك عوضاً في هذه المؤسسات التي ترعرعوا فيها، سوى الحنان المادي، وإن كان منهم من لم يظفر لا بهذا ولا بذاك.

ولاشك أن وجود دور القرآن في مثل هذه المؤسسات الخيرية، سيعوض أبناءها فقدان الجو الأسري بالجو القرآني الذي يستمد سلوكه من كتاب الله تعالى، وهو المصدر في تشريع الأسرة وتشريع من لا أسرة له، بحيث يبصّره ويرشده، كما يشد من أزره في كل شيء ويؤنسه.

٤ ـ أما السجون فحاجتها إلى دور القرآن كحاجة الظمآن إلى الماء العذب، والسجين في خلوته ومحنته يود له أن يكون أنيسه القرآن، يفرج عنه كربته بتلاوته وتدبره، فهو بذلك يغتنم فرصة القدر الذي ساقه إلى السجن في حفظ القرآن وتعليمه... وقد رأينا أن أول شيء يطلبه السجين من أقاربه عند زيارته هو كتاب الله ليستأنس بتلاوته وذكره، بل إن سيد قطب ـ رحمه الله ـ قاده تدبره واشتغاله بكتاب الله تعالى في سجنه، إلى تخليد عمل من أجلّ ما كتب عن كتاب الله وهو تأملاته وخواطره الربانية التي جمعها في كتابه القيم «في ظلال القرآن»، ولقد بقيت ظلالها الوارفة تفيد كل قارئ يريد التأمل والتدبر في القرآن الكريم.

وقد وجدنا كثيراً من السجناء الذين كانوا عصاة ومجرمين، فلما مكنتهم فرص الخلوة إلى كتاب الله تعالى في سجونهم من قراءته ومطالعته وتدبّره، صلح حالهم، وتابوا إلى ربهم وأنابوا إليه، ومنهم من حفظ القرآن برمته لتفرغه إليه.

فلعل هذا الأمر يدل دلالة صريحة على أسلوب القرآن الذي يفيد أكثر من أي أسلوب آخر في تربية الجناة والمجرمين داخل السجون، ومن ثم باتت الحاجة ماسة إلى إحداث دور القرآن بين أقبية السجون لتحقق هدفاً آخر إلى جانب أهدافها التربوية والدينية، وهو محاربة الجريمة داخل المجتمع، وإعادة التربية داخل السجون.

٥ ـ أما الثكنات العسكرية، فاستفادتها من دور القرآن تكون أجلُّ وأعظم، إذْ تزكي نفوس أهلها وتربي أولادهم، وتنمي فيهم روح الفداء والتضحية والإخلاص، كما تقوّي علاقتهم بربهم، لأنهم هم المجاهدون الذين يحتاجون دائماً إلى التذكير بالله وتفانيهم في خدمة الصالح العام من أمور البلاد والعباد، احتساباً لله وإيماناً به.

هذه بعض علاقات دور القرآن بغيرها من المؤسسات، ولو شئنا تقصي الدَّور الفعال لدور القرآن في المجتمع، سواء في الميادين الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية والاقتصادية، لوجدنا الحاجة إليها تلحّ في كل هذه الميادين وغيرها، لأن كتاب الله فيه ما يصلح أمور الدين والدنيا للفرد والمجتمع.

تطوير دور القرآن

لابد من تطوير طرق التدريس والتلقين والمناهج الدراسية داخل دور القرآن، ابتغاء الوصول إلى المستوى الأفضل لخدمة كتاب الله تعالى، والتطور سنة الله في الكون، وكل شيء لا يتطور، لا محالة يصيبه الإهمال والملل والترك. فلابد من تطوير الأساليب والمناهج، ولابد من تطوير وسائل التعليم والتلقين كإدخال المعلومات ووسائل الإيضاح وما شابه ذلك من مستجدات التكنولوجيا المعاصرة.

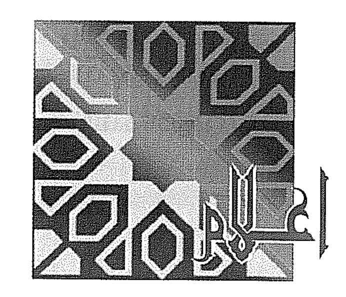
ولابد أيضاً من الاهتمام باللغة العربية اهتماماً يليق بمكانتها، لأنها لغة العقيدة ومن دونها لا تجوز قراءة القرآن، فمن دونها لا يحق إلا الترجمة والتفسير.

واللغة العربية لغة البيان، وبالبيان تنكشف عجائب الرحمن وأسرار القرآن، هذه اللغة جزء من القرآن، وهي الوسيلة إليه، وفيها قال تعالى مادحاً إيّاها: (وإنه لتنزيل ربِّ العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) الشعراء:١٩٢ ـ ١٩٥، وقال تعالى أيضاً: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل:١٠٣.

ولابد أيضاً من الاهتمام بالتاريخ الإسلامي، وهو تاريخ ـ كما هو معلوم ـ حافل بالأحداث التي تركت بصماتها واضحة، تشهد بعظمة الجيل الذي تربى في أحضان القرآن الكريم، وتخرج في مدرسته، ثم تخرجت على يديه باقي الأجيال التي سارت سيره، ونهجت نهجه.

وأخيراً وليس آخراً، لابد من الاهتمام الكبير بالترجمة، فلا مناص من ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، ترجمة تراعي تبسيط هذه المعاني وتقريبها، بكل وسائل الإيضاح والتفسير، حتى تفهم في سياقها الذي وضعت له، وتسلم من أي تحريف أو تغيير كلم عن مواضعه. وختاماً نقول: لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية التي تعيش على سطحها، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنة الله في الكون وفطرة الحياة، إلا بالرجوع إلى الله تعالى، والرجوع إلى الله لا طريق له إلا بالعودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.

وإن دور القرآن لكفيلة بأن تنهض نهضة علمية شاملة لتحقيق هذه الآمال الإنسانية، وهي مؤهلة لبعث حضارة الأمة الإسلامية وإحلالها المكانة المرموقة التي تليق بها، شرط الاعتناء بها العناية اللازمة، وتطويرها، وإدخال كل أصناف التكنولوجيا التي تخدمها. ■



بعد أن فرض الإعلام نفسه كعلم من العلوم الحديثة، له نظرياته وخصائصه وأهدافه وغايته، وصار يدرّس في الجامعات والمعاهد المختلفة في عدد كبير من الدول، تنادى عدد من المختصين العرب والمسلمين لإدخال هذا العلم إلى مناهج الدراسة في الجامعات العربية والإسلامية، كما أخذ بعضهم يدرس الآثار الكبيرة لهذا العلم على المجتمع، سواء من حيث تحقيق الفوائد وانتشار المعرفة، أو بث الأفكار المنحرفة وتغلغل الغزو الفكري الهدام إلى أفراد المجتمع. وسعى عدد من الباحثين إلى تأصيل الفنون الإعلامية تأصيلاً إسلامياً صحيحاً، يضعها في إطارها الإسلامي الصحيح، ويوضح قول الإسلام الفصل فيها بشكل لا لبس فيه ولا غموض.

التأصيل الإسلامي للإعلام

بقلم : عبدالله بدران

وثارت في بداية الأمر تساؤلات شتى عن الجدوى من وضع إطار عام للإعلام الإسلامي، فهل يعني ذلك الاستعاضة عن الفنون الإعلامية المعروفة كالخبر والتقرير والتحليل والتحقيق، التي وضعت لها قواعد وأسس عامة - بفنون إعلامية إسلامية تختلف في قواعدها وأسسها عنها، وتنفرد بخصائص غير متوافرة فيها؟ وهل الصحافة في بلد غربي تطبع وتخرج وتوضع لها العناوين بشكل يختلف عن ما هو معمول به في بلد مسلم؟ وهل يمكن الاستعاضة عن وسائل الإعلام الإلكترونية كالتلفاز والمذياع والمسجل بأخرى إسلامية تؤمن الميزات نفسها التي توفرها هذه الوسائل؟

إن هذه التساؤلات التي طرحت لم تكن محل بحث لدى خبراء الإعلام الذين حاولوا وضع اللبنات الأولى في بناء الإعلام الإسلامي، فهم أدركوا أن الغرب استطاع فرض وسائل إعلامه بقوة على بقية دول العالم، كما أدركوا أنه يحاول بأساليبه الإعلامية فرض هيمنته وأفكاره ومبادئه على الشعوب الأخرى، بما في ذلك بث الأفكار المنحرفة والتشكيك في عقائد الشعوب، ومحاولة فصل ارتباطها الوثيق بأفكارها ومعتقداتها الأصيلة.

وانطلق هؤلاء المؤصلون من أن الإعلام الإسلامي يجب ألا يعيش «عالة على الإعلام الغربي ينقل من فتات مائدته أخباراً ملوثة بالدعاية المسمومة، ومسرحيات متشائمة، وفنوناً منحرفة، وآداباً شاذة باسم التحضر، وليس في ذلك أدنى مستويات التقدم والرقي»(١)

كما انطلقوا من كون القرآن الكريم «ضرباً رائعاً من ضروب الإعلام على يد رسول الله الكريم، بما أتى من قيم ومفاهيم جديدة تختلف كل الاختلاف عن القيم والمفاهيم في عصر الجاهلية، بل كان من أنجح وسائل الإعلام في الإسلام على وجه الإطلاق»(٢).

وانطلق هؤلاء أيضاً من «الحياة الإعلامية الحافلة التي عاشها رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ ، وحقق في غضونها منجزات مذهلة في حقل الدعوة الإسلامية استجابة لنداء ربه وتحقيقاً للمهمة التي كلفه بها، وهي مهمة إعلامية بالدرجة الأولى»(٣).

وانطلق هؤلاء أيضاً من يقينهم بأنه ليس هناك إطار فلسفي أو فكري أو عقدي «أكثر وضوحاً وثباتاً من الإسلام، فعندما نقارن الإسلام بالفكر السلطوي، أو الحر، أو بفكر المسؤولية الاجتماعية، أو الشيوعي، نجد أنه لا وجه للمقارنة بينه وبين غيره في الوضوح والثبات»(٣) لأن هذه الأفكار انطلقت من أشخاص حاولوا معالجة مشكلات الحياة من منطلق تصوراتهم ومبادئهم، وقد تباينت هذه الأفكار من شخص إلى آخر تبايناً شديداً، في حين يعتمد الإسلام على دستور إلهي واضح، صالح لكل زمان ومكان، ولم تطله يد التحريف، أو التغيير، أو التبديل.

وأخذ هؤلاء الباحثون على عاتقهم أمانة إعداد مؤلفات ودراسات توضح خصائص الإعلام الإسلامي، وأهدافه، ومصادره، وأهميته، ووظائفه، وتبين أوجه الاختلاف بينه وبين النظريات الأخرى المبثوثة في كتب الإعلام، وأدرك هؤلاء أن التأصيل الإعلامي للإسلام لا يقتصر مثلاً «على استبدال مفردات ومصطلحات إعلامية بغيرها فقط، وحشو مؤلفات الدعوة والتفسير وشروحات الأحاديث والسيرة والتاريخ الإسلامي بمثل هذه المصطلحات الإعلامية بسبب مقبول وغير مقبول، فهذا النوع من التأصيل يعطي القارئ شعوراً بأنه يقرأ كتابات في التفسير والسيرة والدعوة بدلاً من الإعلام... وهذه العملية أشبه بعملية تغيير الأسماء مع بقاء المضمون كما هو تقريباً»(٤).

بل لا بد من التركيز على مضمون الخطاب الإعلامي، وما يحويه من فكر وقيم وأساليب، ومحاولة صبغ ذلك بالصبغة الإسلامية، ووضع الضوابط الشرعية لذلك المضمون، بما لا يخالف نصاً شرعياً صريحاً، إضافة إلى تصفية ذلك المضمون مما قد يحويه من أفكار ترسخ المفاسد، وتدعو إلى الإلحاد، وتساعد على التشكيك بالعقيدة ووأد الأخلاق الإسلامية الحميدة. ولابد من التركيز أيضاً على أن قدرة الإعلام

الإسلامي على معالجة مشكلات الحياة «تأتي من كونه إعلاماً عقدياً مسلكياً واقعياً يراعي طبيعة الإنسان والحياة وعلاقة الوجود بالله، وقيامه على الحق والصدق، وموضوعيته وعدله، ومن ثم فهو ضرورة عصرية ليكون بإطاره وفلسفته، بديلاً للنظام الإعلامي الدولي الحالي الذي أفلس في معالجة مشكلات الناس»(٦)

تعريف الإعلام الإسلامي

ويعرّف الإعلام الإسلامي تعريفات عدة منها أنه «استخدام منهج إسلامي، بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة، وجماهيره المتباينة، مستخدمين تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة، والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل، للمسلمين وغير المسلمين في كل زمان ومكان، وفي إطار الموضوعية التامة، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد، ولإحداث التأثير المطلوب والتعرف على مدى التأثير أولاً بأول»(٨).

ويتضح من التعريف أن القائمين على العملية الإعلامية يجب أن يكونوا من العاملين العالمين بأمور دينهم، الملتزمين بأخلاقه وتعاليمه ومبادئه، إضافة إلى تفهمهم لطبيعة العملية الإعلامية ودورها وتأثيرها وأساليبها ووسائلها المتطورة.

ويتضح أيضاً أن هناك هدفاً سامياً من العملية الإعلامية الإسلامية، مفاده نشر التعاليم الإسلامية للبشر كافة، في إطار من الحيادية والموضوعية، ومعرفة تأثير ذلك لديهم.

ونرى أن التعريف يركز على ضرورة أن يتميز الإعلامي المسلم بصفات ثلاث، أولاها معرفة عميقة بأمور مهنته وتطورها، وثانيها اطلاع واسع على شؤون دينه، وثالثها تَحلٍّ بالأخلاق الحميدة التي نادى بها الإسلام والآداب الفاضلة التي حث على التمسك بها.

ويعرّف أحد الباحثين الإعلام الإسلامي بأنه «فن إيصال الحق للناس قصد اعتناقه والتزامه، وفن كشف الباطل ودحضه قصد اجتنابه، فهو بناء وتحصين»(٩).

أهداف الإعلام الإسلامي

ما من شك في أن أهداف الإعلام الإسلامي تنطلق من نظرة الإسلام الشمولية إلى نواحي الحياة كافة، باعتباره الدين السماوي الخالد، الذي جاء لهداية الناس جميعهم، مختتماً رسالة الأنبياء السابقين قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) التوبة:٣٣.

ومن هنا فإن أهداف الإعلام الإسلامي لابد أن تصب في خدمة الإسلام، ورفعة شأنه، وإعلاء كلمته، وإبلاغ رسالته، ونشر تعاليمه، وإيصال مبادئه، وربط الناس بأخلاقه وقيمه وآدابه.

ويمكن تحديد أهداف الإعلام الإسلامي بالنقاط التالية:(٣)

١ ـ تحقيق الصبغة الإسلامية للمجتمع.

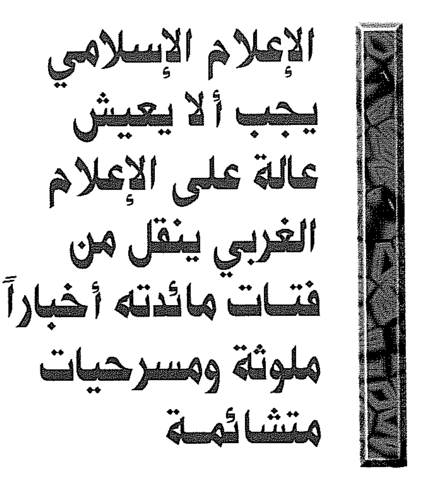
٢ ـ مواكبة مرحلة الدعوة الإسلامية.

٣ ـ درء المفاسد من خلال منع أسبابها وأساليبها ووسائلها في الوصول إلى المجتمع، وتنبيه الناس إلى خطورتها، وتبيان آثارها.

٤ ـ تكوين رأي عام إسلامي له وزنه الدولي وتأثيره الفاعل في القضايا التي تهم الإنسانية عامة، والقضايا التي تهم الإسلام والشعوب المسلمة خاصة.

خصائص الإعلام الإسلامي

تندرج خصائص الإعلام الإسلامي ضمن إطار الخصائص العامة للإسلام، لكنها تتميز بخصوصية معينة تتلاءم مع اقتصار الإعلام الإسلامي على العمل ضمن طبيعة خاصة به.



وتبرز هذه الخصائص مواطن القوة في الإعلام الإسلامي، وتميزه عن غيره من أنواع الإعلام، التي تحاول تلوينه وتوجيهه وصبغه وفقاً لمنطلقاتها ومبادئها، والتي لا تخلو من انحراف عن تعاليم الإسلام، وتشويه له، ودس على أفكاره ومبادئه.

ويجب التفرقة بين أمرين أساسيين هما «الإسلام» أو «المسلمون»، فالإسلام شريعة خالدة صالحة لكل مكان وزمان، نزلت تعاليمها من الباري سبحانه وتعالى هداية ورحمة للعالمين، أما المسلمون فهم يستحقون هذه التسمية عندما يكونون ملتزمين التزاماً كاملاً بما يفرضه عليهم دينهم وما يأمرهم به من واجبات وما ينهاهم عنه من منهيات، والربط بين الإسلام والواقع الحالي للمسلمين فيه تجن شديد على هذه الرسالة السمحة، فلا يجوز مطلقاً أن ننسب ضعف المسلمين وعجزهم وتخلفهم وتراجعهم إلى الإسلام، كما لا يجوز مطلقاً الركون إلى فكرة مفادها أنه مادام المسلمون متمسكين بإسلامهم فسيبقون في ركب الأمم المتخلفة، المسلوبة الإرادة والتفكير، المغيبة عن حقائق الكون والحياة. إن المسلمين سادوا الدنيا، وفتحوا البلاد شرقاً وغرباً، ونشروا دينهم، عندما كانوا متمسكين بتعاليمه، ملتزمين أحكامه، متعهدين العمل به في كل حال، واستطاعوا من خلال الخصائص العامة لدينهم، نشر العلم والهدى والخير والسلام، في فترة زمنية قياسية، كما فتحت بلاد بأسرها دون جيوش جرارة ولا أسلحة فتاكة، بل كان ذلك بفضل الدعاة المخلصين، والتجار الصالحين، والعلماء العاملين، الذين كانوا رسلاً للإسلام في كل بقعة يحلون فيها.

والإعلام الإسلامي قادر، بفضل الخصائص التي يتميز بها، على تحقيق إنجازات فذة في مجال الدعوة الإسلامية، وتطهير المجتمع من سموم الانحراف والضياع، وحماية أفراده من الانزلاق نحو المعاصي ومستنقعات الفساد.

ويمكن القول إن أهم خصائص الإعلام الإسلامي هي أنه:

١ - إعلام قاعدته الحرية وقمته المسؤولية.

٢ - إعلام حرمات وحقوق.

٣ - إعلام ملتزم بالإسلام وأخلاقه.

٤ - إعلام مستقل رافض للتبعية.

٥ - إعلام القدوة الحسنة والمثل الصالح.

٦ - إعلام موضوعي هادف.

٧ - إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه.

٨ - إعلام يعتمد على الشمولية والعمومية.

٩ - إعلام مرن قادر على مواكبة الوقائع المتغيرة والأحداث المتجددة.

وظائف الإعلام الإسلامي

إن الناظر في أوضاع المسلمين حالياً، وما يعتريهم من نقص وعجز وتخلف في مجالات عدة، وابتعاد عن تعاليم دينهم، وانجرار وراء التقليد الأعمى للغرب، وانحراف عن الرؤية السديدة والمسار الواضح، وأخذهم إنجازات الغرب العلمية دون محاولة تقليده واللحاق به، واستشراء لأمراض نفسية وسلوكية فيهم، قد يصاب بالإحباط واليأس، وتتمكن منه فكرة أن الخلاص من هذا الواقع أمر شبه مستحيل.

لكن المسلم الحق، الذي آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً ومنهاجاً وشريعة، وبالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هادياً وداعياً وقدوة وإماماً، لابد من أن يدرك أن هذا الأمر سيزول بزوال أسبابه، وسيتغير بتغير الأمور التي أدت إلى وجوده.

ولقد عبّر البيان الإلهي عن ذلك بالقول: (إن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) الرعد:١١.

والمسلمون مدعوون اليوم إلى السير في الدرب الذي سلكه السلف الصالح في التمسك بدينهم وعقيدتهم، والتشبث بكتاب خالقهم عز وجل وسنة نبيهم - ﷺ - والسير وفق المنهج الرباني الذي اختطه الله لعباده، وعدم مخالفة ذلك الصراط مهما كانت الأحوال. وإذا كان الدعاة مطالبين بتأدية هذه الواجبات تجاه المسلمين، فإن الإعلام الإسلامي يجب أن يكون له دور فاعل ومؤثر يتواكب مع واجب الدعاة ويسانده، وتكون له إسهاماته الواضحة في الدعوة والتوجيه والإرشاد.

لا بد من التركيز على مضمون الخطاب الإعلامي وما يحويه من فكر وقيم وأساليب ومحاولة صبغ ذلك بالصبغة الإسلامية

ومن هنا فإن الإعلام الإسلامي مطالب بتفعيل وظائفه الأساسية، ووضعها موضع التنفيذ المناسب، لتحقيق مضمونها، وإنفاذ محتواها.

وأهم الوظائف التي يضطلع بها الإعلام الإسلامي هي:

١ - تبليغ الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة.

٢ - بيان الحق ودفع الباطل والفساد.

٣ - التربية.

٤ - دفع الناس إلى المثل الأعلى وإقناعهم بالعودة إلى الدين القويم.

٥ - تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الإسلام.

٦ - تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ - تحقيق التعارف والتعاون والتآلف بين المسلمين.

٨ - تحقيق التنمية في البلدان الإسلامية.

٩ - الترويج والترفيه ضمن ما هو مشروع.

١٠ - التعريف بالحياة الآخرة. ■



الهوامش:

١ - إبراهيم إمام: موقف الإعلام من التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي، في «دور الإعلام في توجيه الشباب»، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٥٩.

٢ - عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م، ص٥٧.

٣ - محيي الدين عبدالحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م، ص١٤٢.

٤ - سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٤.

٥ - المرجع نفسه، ص ٢١.

٦ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٧م، ص١٢٦.

٧ - عبدالوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، مكتبة القدسي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٩.

٨ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: الإعلام الإسلامي، المفهوم والخصائص، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٦م، ص٧٦.

٩ - محمد منير سعد الدين: الإعلام، قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي، دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٧.

تاريخ

دور اليهود في اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بقلم: سامي الجيتاوي

عمد عمر إلى سياسة الحد من وظائف أهل الكتاب في الدولة، فقد قيل له: «إن هـهنا رجلاً من الأنبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتباً، فقال: لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين» (١).

ويروى أن أبا موسى الأشعري قدم على عمر، ومعه كاتب نصراني، فأعجب عمر بخطه وحسابه، فقال عمر: أحضر كاتبك ليقرأ؟!

فقال: أبو موسى: إنه نصراني، لا يدخل المسجد، فزجره عمر، وقال: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (المائدة /٥١).

فقال: يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه.

قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله) (٢).

«وطلب من عمرو بن العاص أن لا يستعمل في عمل المسلمين كافراً» (٣) وحد من وضع الأحاديث النبوية، والروايات الكاذبة، والتأويلات المنحرفة.

قال ابن قتيبة (كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتيَ بخبر لا شاهد عليه» (٤).

وروي أنه هدد كعب الأحبار، وطالبه بوجوب التوقف عن الروايات المدسوسة، والمزورة، فقال له: «لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة» (٥).

وعندما سمع بأن صبيغ بن عسل التميمي يطرح على الناس الغوامض من الأسئلة، ويسأل عن المتشابه من آيات القرآن، طلبه عمر - رضي الله عنه - وضربه بعراجين النخل.

(أخرجه الدارمي عن نافع أن صبيغا العراقي، جعل يسأل عن أشياء من القرآن، في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما أتاه، أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها، حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود له، فقال صبيغ: «إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين» (٦)، «وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس صبيغاً، وأن يحرم عطاءه ورزقه» (٧).

«وأخرج نصر في الحجة، وابن عساكر عن زرعة قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة، كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلقة، ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزم أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه» (٨)، كما كان عمر - رضي الله عنه - متيقظاً لكل من يستعمل التأويل إرضاءً لميله الشخصي، أو إثارة للفتنة.

روي أنه استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر، فقال:

إن قدامة شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقوله، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربت كما تقول، ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم؟ قال: لأن الله يقول: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) (المائدة /٩٣). فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد.

فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟

فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين، وحجة

على الباقين، لأن الله يقول: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان..) (المائدة /٩٠) قال عمر: صدقت (٩).

وهذا يدل على مدى يقظة عمر - رضي الله عنه - للتأويلات المنحرفة، ومدى سرعته في الفهم والاستنباط.

عن قتادة أن امرأة تأولت قوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين) (المؤمنون /٥ - ٦).

فتسرت غلاماً لها، فذكرت لعمر، فسألها، ما حملك على هذا؟

فقالت: كنت أرى أنه يحل لي ما يحل للرجل من ملك اليمين.

فاستشار عمر فيها أصحاب النبي ﷺ فقالوا: «تأولت كتاب الله على غير تأويله، فقال عمر: لا جرم، والله لا أحلك لحر بعده أبداً - كان عاقبها بذلك - ودرأعنها الحد، لما في أمرها من شبهة، وأمر العبد أن لا يقربها» (١٠).

فهذه الآثار وغيرها، تدل على شدة عمر ويقظته للتأويلات التي تشتت شمل الجماعة، وتهدم كيان الأمة، وتجعل المسلمين مشغولين بالجدل من أجلها تثبيتاً وتأييداً، أو دفعاً وإزالة، في وقت هم في أشد الحاجة إلى قوتهم، ووحدة صفهم، في سبيل بناء الدولة الإسلامية، ونشر شريعة الإسلام وهديه، بين جميع الناس، في مشارق الأرض ومغاربها.

لذا كان السبئيون دعاة الفتنة، في عزلة عن الجماهير، فتوجهت همتهم - كما أسلفنا - إلى تدبير المؤامرات بأنفسهم، دون الاعتماد على الجماهير هذه المرة، فلجأوا إلى أسلوب الاغتيالات.. فبدؤوا يحكمون مخططاتهم في الخفاء، وكان استشهاد الخليفة عمر - رضي الله عنه - نتيجة لهذا التخطيط الماكر، الذي حبكه كعب الأحبار، فالصورة المفصلة لوقائع حادث اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، كما روتها المصادر الإسلامية (١١)، تضع كعب الأحبار في موقع من كان على بينة من الأمر قبل الحادث لحظة بلحظة، ومع أن المصادر الإسلامية لم تتوجه بأصابعها إلى اتهامه بالتورط الشخصي في ذلك، إلا أن طريقتها في السرد، وتفصيلات الوقائع، وترديد اسم كعب الأحبار في ثناياها، لهي مؤشرات للذي يقرأ قرائن الأحوال، على أن كعباً شريك في مستوى معين في رسم الأحداث، وسير الأمور... يقول الطبري:

«خرج عمر بن الخطاب يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبة - وكان المغيرة قد ضرب عليه أربعة دراهم كل يوم، فشكاه إلى عمر، فقال له عمر: لقد كلفك يسيراً، انطلق فأعط مولاك ما سألك، فلما ولى قال له عمر: ألا تجعل لنا رحى؟

قال بل أجعل لك رحىً تتحدث بها الأمصار. ففزع عمر من كلمته وقال: - وعليٌّ معه -: ما تراه أراد؟

قال: أوعدك يا أمير المؤمنين. قال عمر: كفيناه الله» (١٢).

فاتخذ الموضوع في الشكل خلافاً بين عمر والغلام الفارسي، لا دخل فيه لأحد، فاستطاع مدبر الفتنة أن يسدل الستار على اشتراكه في مؤامرة الاغتيال.

يقول الطبري: (ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد، جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين ! إعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: ما يدريك؟

قال: أجده في كتاب الله عز وجل، التوراة؟

قال عمر: آلله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟

قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك؟

قال: وعمر لا يحسُّ وجعا ولا ألماً؟!

فلما كان الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين! ذهب يوم وبقي يومان. قال: ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي تلك إلى صبيحتها.

قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكّل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبّر.

قال: «ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان، ومقبض في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته» (١٣).

إن طرائق هذا العرض التاريخي، والإكثار من ذكر كعب الأحبار، ونشاطه الملحوظ في رصد جريمة الاغتيال، والعد التنازلي لها، لهي أصابع اتهام واضحة، لهذا اليهودي الذي قد أسلم.

بل نكاد نجزم مع المحققين من الباحثين (١٤) أن قتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان عن تدبير سابق وائتمار مدبّر، اشترك فيه العجم كأداه، واليهود كتخطيط، وهم أشد الناس بغضاً لعمر، وحقداً على الإسلام والمسلمين في ذاته، لأنه قهر العجم، ودوخ بلادهم، وأجلى اليهود عن مهد الإسلام، وكشف عن دسائسهم.. ونرجح هذا الرأي لوجوه:

الأول: شهادة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فإنه قال غداة مقتل عمر: رأيت عشية أمس، الهرمزان وأبا لؤلؤة (الفارسيان) وجفينة (النصراني) وهم يتناجون، فلما ثاروا سقط منهم الخنجر الذي ضُرب به عمر، وله رأسان، ومقبضه في وسطه (١٥) فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة، فلما بلغ عثمان - رضي الله عنه - قول عبد الرحمن، استدعاه وسأله، فقال عبد الرحمن: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين، فلا أرى القوم إلا قد اجتمعوا على قتله، فنظروا إليها فوجدوها كما وصفها عبد الرحمن (١٦).

الثاني: حديث كعب بن ماتع المعروف بكعب الأحبار اليهودي

مع عمر - ﵁ - غداة توعده أبو لؤلؤة - وقد ذكرنا طرفاً منه - وهو صريح في أن كعباً كان يعرف ما يدور في الخفاء، ويدبّر من الكيد لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ولماذا لم يكن هذا التكهن قبل ذلك بشهر أو شهرين؟ أو أسبوع أو أسبوعين؟ ولماذا كان في الغد من وعيد أبي لؤلؤة لعمر؟ ولماذا اختص - كعب بن ماتع - بهذا التكهن عن التوراة، والتوراة ذائعة بين الناس، وفي المسلمين يهود وغيرهم من قرائها وحفاظها وعلمائها، ومنهم من هو أوثق وأعلم وأسبق إيماناً من كعب؟ ولو أنا أحسنا الظن بإسلام كعب المحدث، بعد تلبُّثه على يهوديته في حياة رسول الله ﷺ ، وخلافة أبي بكر، وبعض خلافة عمر، حتى دخل الإسلام على يديه، لقلنا إن كعباً كان على علم تام بالمؤامرة، فلم تؤته الشجاعة في أن يكون صريحا بأخباره، ولكن أراد أن ينبه أمير المؤمنين لما يراد به، في هذه الصورة الملفقة في أيجاد التكهن عن التوراة، وخشي على نفسه من التصريح أن يناله سوء المتآمرين، أو من يتصل بهم. أما إن كانت يهودية كعب لا تزال تحيا في قلبه كما حييت في حامل راية التآمر من بعده - ابن السوداء - عبد الله بن سبأ - وتستر بالإسلام، فيكون إخباره عن المؤامرة بهذا الأسلوب الملتوي فرقاً من الأخذ والقتل إذا انكشف الأمر، وقد يكون ذلك إمعاناً في المكر وإحكام التدبير، لأنه ربما لا يغيب عن تدبيرهم الخبيث، أن عمر إذا عهد إلى شخص معين، كما كان يطلب إليه كعب، تختلف الأمة وتتفرق كلمتها، وهي في غمرة هذا الاختلاف والتفرق، يحدثون ما مكروا، فتصبح الأمة وهي أشغل بما هي فيه، عن النظر في الجناية والتحقيق فيها، وقد يتسلل المتآمرون أو بعضهم إلى إحدى الطائفتين، فيكونون معها، ويستوجبون حمايتها لهم، ويصيبون من المسلمين فوق ما كانوا يدبرون، وكان هذا الدور بأكمله هو مدار تكهن كعب، وبطولته، في هذه الرواية.

ثم ما هذا التحديد الدقيق، الذي ينص على زمن وفاة رجل من الناس، - مهما عظم شأنه - في كتاب منزل من عند الله هدى ونوراً؟ ولماذا خص بذلك عمر بن الخطاب دون سائر المؤمنين ممن مضى وممن لحق؟ ولماذا لم ينص في التوراة على وفاة الصديق، وهو أجلّ مكاناً في الإسلام من عمر؟ ولماذا لم يقل هذا في حق رسول الله ﷺ وقد ثبت أن التوراة بشّرت به نبياً ورسولاً؟ (١٧).

الثالث: روي أن أبا هريرة علم بهذا الائتمار والتدبير المبيّت، فأنذر به عمر، فلم يعبأ به، كما لم يعبأ من قبل بوعيد أبي لؤلؤة، لما يعلم من نفسه أنه قائم على الرعية بالعدل والحق، وكانت سنة الراشدين أنهم لا يأخذون أحداً بشبهة أو ظن، خصوصا فيما يتعلق بأشخاصهم، فقد أبى عثمان - ﵁ - قتل الثائرين عليه، وأبى علي - ﵁ - قتل ابن ملجم، وقد قيل له من قبل أن يحدث ما حدث (١٨).

الرابع: روي أن عيينة بن حصن الفزاري - وكان من المؤلفة قلوبهم الذين اشتد عليهم عقب عمر في وطنه بعد أن ظهر الإسلام، وقويت شكوته - قال لعمر: احترس، أو أخرج العجم من المدينة، فإني لا آمن أن يطعنك رجل منهم في هذا الموضع، ووضع يده في الموضع الذي طعنه فيه اللعين أبو لؤلؤة، وهذا أسلوب من الانباء خرج في غير مخرج حديث كعب الأحبار، وكان وجه الفصل بين الحديثين، هو فرق ما بين الرجلين.

فأحدهما فيه دهاء قومه اليهود، ومكرهم، فزوى القضية عن أسلوب الصراحة إلى أسلوب الكهانة، أعتمادا على سابق عهده، ومشهور مكانه في قومه وأهل ملته، وأما الآخر فأعرابي فيه جفوة البادية وصراحتها، فألقى بالحديث في أسلوب الناصح المحذّر، وهو أعلم أنه نُصح فات إبانه، وتحذير لا يفيد، وقد يكون للعصبية العربية أثر في تحريك عيينة، إلى الإدلاء بهذا التحذير (١٩).

هذه شواهد ودلائل تمسك بأصابع الهرمزان الفارسي، فجفينة النصراني، وسلائل من يهود، وآخرين الله يعلمهم، منغمسون مع الخبيث أبي لؤلؤة، في دم أمير المؤمنين فاروق الإسلام، عمر بن الخطاب - ﵁ - وتنادي بأن الأمر كيد ماكر، دبّر للإسلام في أقوى ذات رجالاته، وأشدهم بطشاً بالمنافقين واليهود، وإلى هذا ذهب كثير من المحققين والمؤرخين، القدامى والمحدثين.. قال الأستاذ حسين والي رحمه الله:

«وفي كلام بعض المؤرخين أن قتل عمر لم يكن إلا عن ائتمار بين أولئك الدخلاء، كما شهد عبد الرحمن ابن أبي بكر، ووقف على هذا الائتمار أبو هريرة، وأنذر به عمر قبل مقتله بثلاثة أيام» (٢٠).

وقال الأستاذان الفاضلان صاحبا كتاب (سيرة عمر) في تعليقة فاحصة:

«أما التوراة فهي بين أيدي الناس اليوم معروفة مقروءة، وما فيها شيء مما قاله كعب، وليس يعقل أن يكون في التوراة تاريخ وفاة عمر - ﵁ - وتحديدها، والتوراة كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه ليبين أحكام الدين، وأصل الشريعة، لا للإخبار عن وفاة رجل لم يكن قد خلق، فمن الصعب جداً قبول دعوى كعب أن هذا الخبر في التوراة، ولابد إذا من إدارة المسألة على وجه آخر، والسؤال عن كعب من أين علم أن عمر سيموت بعد ثلاثة أيام؟ وكيف عرف عيينة بن حصن موضع الطعنة، وكيف تجرأ أبو لؤلؤة وهو غريب لا قيمة له، على هذا الأمر الهائل، وهدد به أمير المؤمنين بقوله: «لأصنعن لم رحىً يتحدث بها العرب؟ أكان ذلك لأنه لم ينصفه من المغيرة؟ كلا، وإنما هي جريمة سياسية ومؤامرة كبرى، لو جرى فيها تحقيق قضائي، لظهر في هذه الجريمة شركاءهم الهرمزان وجفينة، وأن فيها متهمين فرعيين، هما كعب الأحبار، وعيينة بن حصن» (٢١).

وكان هول فاجعة استشهاد عمر - ﵁ - على المسلمين عظيماً، وصفها عمرو بن ميمون بقوله (وكأن الناس لم تصب بمصيبة قبل يومئذ) (٢٢).

وقال سعيد بن زيد «إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة» (٢٣) ويمكن أن نتصور مقالة أبي طلحة - رضي الله عنه - لنعرف إلى أي مدى كان تأثير مقتل عمر على جميع المسلمين.. يقول «ما من أهل بيت من العرب حاضر ولا باد، إلا قد دخل عليه بقتل عمر نقص» (٢٤).

وهذا ما كان يستهدفه كعب، والقوى المتآمرة معه..

وأكمل ابن سبأ ما بدأ به كعب الأحبار، بعد أن فتل غزله فتلاً محكماً، وجمع حوله فئات مختلفة من شعوب متعددة، ألف بينها الإحساس بالقهر والعصبية، والحقد على الإسلام، وتمكن من رؤوس العامة والغوغاء في بعض الأمصار الإسلامية، التي أصبح له في كل منها، عصابة تتصل به، وتدين بمذهبه، وأشعل بهم نار فتنة انتهت باستشهاد الخليفة الثالث عثمان - رضي الله عنه -، وكانت فتنة هوجاء، فاقت في ضراوتها ما قبلها، فالخليفة لا يقتل في الغلس كما كان الأمر مع عمر .. وإنما يقتل الخليفة في وضح النهار. ■

الهوامش والمراجع:

(١) الكامل ٣/٢٤.
(٢) صبح الأعشى ١/٦٢.
(٣) صبح الأعشى ١/٦٢.
(٤) تأويل مختلف الحديث ص٤٨ - ٤٩.
(٥) أخرجه أبو زرعة في تاريخه ١/٥٤٤.
(٦) الدر المنثور ٢/٧.
(٧) الدر المنثور ٢/٧.
(٨) الدر المنثور ٢/١٧.
صدر عمر أوسع وعقله أذكى من أن يؤاخذ طالب علم لو أراد معرفة الحقيقة، لكن بصيرة عمر أدركت أنه عابث يريد العبث بحرمة كتاب الله، ليلبس على الناس دينهم ففعل به ما فعل، فعمر يفرق من غير شك بين السائل الذي لا ينتهر، وبين المشكك الخبيث الذي يجب أن يردع ويزجر.
(٩) التفسير والمفسرون ١/٦٠.
(١٠) الدر المنثور ٥/٥، تفسير ابن كثير ٥/٤٥٧.
(١١) انظر الطبقات الكبرى ٣/٣٧ - ٣٨، ٣٣١ - ٣٣٢، ٣٤٠ - ٣٤٢ انظر تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩ - ٥٦٣، وانظر الكامل ٣/٢٦ - ٢٨ وغيرها.
(١٢) انظر الطبقات الكبرى ٣/٣٤٧.
(١٣) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩ - ٦٣٨.
(١٤) انظر - الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان ص١٠٦ - ١٠٨ لفضيلة الشيخ المرحوم محمد الصادق عرجون.
(١٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٦٠ وقال «وفي يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه وقال في البدء والتاريخ ٥/١٨٨ (فاتخذ خنجراً له رأسان والمقبض بينهما) وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٢ (وكان الذي طعنه أبو لؤلؤة - عبد المغيرة بن شعبة - وجأه بخنجر مسموم).
ويصعب أن يكون أبو لؤلؤة قد استطاع الحصول على الخنجر المسموم من المدينة، وأغلب الظن أن يكون زوده به اليهود الماكرون فهم المتخصصون بالسموم والسلاح والربا والخمر على مر العصور.
(١٦) على ضوء مسلك يهود في العصر الحديث. وبمقارنة مقتل رئيس الولايات المتحدة الأميركية - جون كندي بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب - على فارق ما بين الرئيس والخليفة من فوارق الدين والتقوى والزكاة النفسية - يتبين أن اليهود هم وراء مقتل الخليفة كما كانوا وراء مقتل الرئيس.
لقد قتل الرئيس الأمريكي شخص من أصل روسي اسمه - أوزوالد - وذلك لإبعاد الشبهة عن اليهود، كما قتل الخليفة عمر - فيروز الفارسي - وقتل أوزوالد أمريكي، زعم أن لم يطق أن يرى الرئيس مقتولاً وقتل الأمريكي قاتل آخر، وهكذا ضاعت هوية القاتلين بين حلقات كثيرة مفقودة إلى الآن.
وما حدث في مقتل الخليفة عمر ليس ببعيد عن التخطيط ذاته، حتى لكأن الأفعى اليهودية قبل ألف وأربعمئة عام ونيف، هي الأفعى اليهودية في الولايات المتحدة في القرن العشرين. فالقاتل فيروز أبو لؤلؤة وهو فارسي، ألقى التهمة على الهرمزان، الذي قتل في ظروف لم يكن فيها تحقيق أو إدلاء باعترافات وشهادات، ولا يستبعد أنه أرسل لعبيد الله بن عمر من حرّضه على قتل أدوات الجريمة - الهرمزان وجفينه - لتختفي الجريمة، وليستمر في خطته في تقويض الدولة الإسلامية.. وهذه أساليب معروفة استعملتها اليهودية للتخلص من أدوات الجريمة بعد تنفيذها، حتى يعجز التحقيق عن إثباتها.
(١٧) كان كعب يقول لعمر - رضي الله عنه - «يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام» انظر تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩.
(١٨) انظر الخليفة المفترى عليه ص١٠٨.
(١٩) لا أستبعد اشتراك عيينة بن حصن الفزاري في تدبير عملية اغتيال عمر - رضي الله عنه -، فتاريخه حافل بمناوأة الإسلام والمسلمين.. فقد اشترك مع المشركين والمنافقين واليهود في غزوة الأحزاب (انظر الطبري ٢/٥٧٣) وأغار على لقاح الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، فاستنقذها المسلمون في ما يسمى بغزوة ذي قرد أو غزوة الغابة (الطبري ٢/٥٩٦ - ٦٠٤).
وكان يتجسس على المسلمين بعد قدومه إلى المدينة، وكان يحرض يهود خيبر على المسلمين، ويقول لهم «ما رأيت كاليوم أمراً، والله ما كنت أرى أحداً يصيب محمداً غيركم، قلت: أهل الحصون والعدة والثروة، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة، وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آمل والماء الواتن» (انظر المغازي ٢/٦٧٦).
وفي حصار الطائف استأذن عيينة بن حصن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتي حصن الطائف ليكلمهم فأذن له.. ودخل الحصن فقال: «فداكم أبي وأمي، والله لقد سرني ما رأيت منكم، والله لو أن في العرب أحداً غيركم، والله ما لاقى محمد مثلكم قط. ولقد حل المقام فاثبتوا في حصنكم، فإن حصنكم حصين، وسلاحكم كثير، وماءكم واتن لا تخافون قطعة» ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: «قلت: ادخلوا في الإسلام، وخذلتهم ما استطعت» فواجهه الرسول صلى الله عليه وسلم بالذي قاله لثقيف في حصن الطائف.. فأسقط في يده، فقال: استغفر الله، ولما طلب عمر أن يضرب عنقه قال عليه الصلاة والسلام - لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي» (انظر المغازي ٣/٩٢٧).
كما تابع عيينة بن حصن - المرتد طليحة الأسدي -، وقال لقومه (والله لئن نتبع نبيا من الحليفين أحب إلينا أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد وبقي طلحة) (انظر الطبري ٣/٢٦٢، وانظر الكامل ٢/٣٤٩ فكل هذه الوقائع تثبت ضلوعه بطريقة أو بأخرى في هذه المؤامرة..
(٢٠) انظر الخليفة المفترى عليه ص١٠٩.
(٢١) الخليفة المفترى عليه ص١٠٩ - ١١٠.
(٢٢) صحيح البخاري ٥/٢٠.
(٢٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٧٢.
(٢٤) طبقات ابن سعد ٣/٣٧٤.
كانت قوة شخصية الخليفة عمر - رضي الله عنه - تحول بين مثيري الفتن وبين أهدافهم، بل كان باباً مغلقاً كما ورد في حديث حذيفة لعمر عن الفتن، وقد سأله عمر عن هذا الباب هل سيفتح؟ فقال: نعم. فقال عمر: إذاً لا يغلق أبداً. ووضح (مسروق) أن هذا الباب هو عمر. وكسر هذا الباب بعد أن طعن عمر في صلاته بتدبير اليهود، ففتح باب الفتن على مصراعيه، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٨ رقم (٢٨٩٢).



الإنترنت المعرفة والخدمات الخطر الداهم!!

قضية تفوق «الإنترنت» وخطورتها وهيمنتها أصبحت مؤكدة وبسببها لم يعد العالم قرية صغيرة فحسب، بل صار نتيجة لقدراتها الهائلة في المعلومات والاتصال أصغر من ذلك.

فهي تستطيع أن تزود أي شخص في العالم متصل بكمبيوتره بهذه الشبكة، بأي معلومات يريد الحصول عليها وأي أخبار يود الوصول إليها أو أي صفقات أو حجوزات في شركات طيران أو سياحة أو فنادق.

يرغب في تحقيقها بسرعة الكمبيوتر الحالية أو بالسرعات المستقبلية العجيبة التي سيصل إليها.

هذه الحقيقة ملموسة مُسلَّم بها لا يختلف عليها عاقلان وأن انتفاع الأفراد أو الهيئات من ذلك كبير... هذا شيء من النفع.

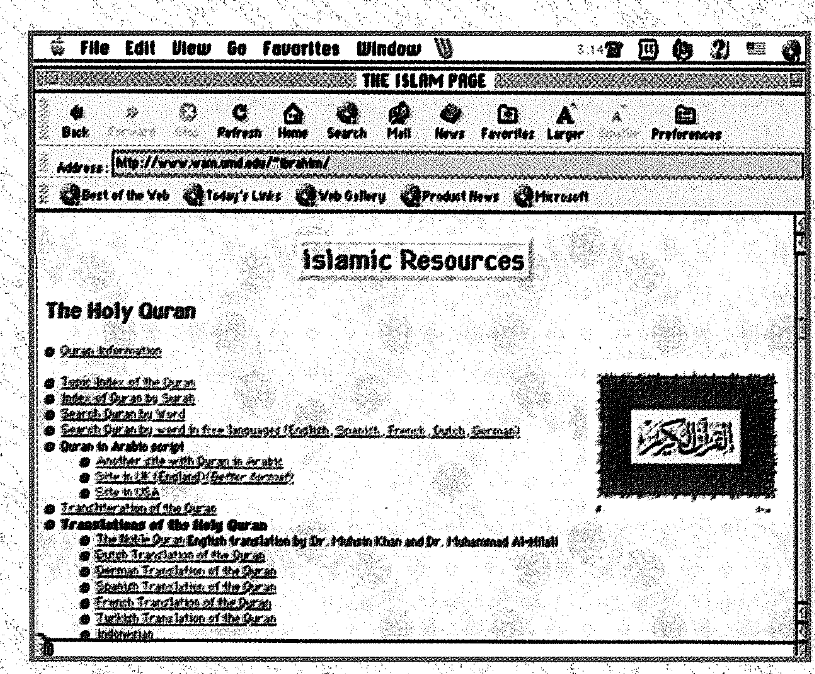
بقلم: محمد عبدالله القولي

فأين الخطر ؟

أما القضية التي يجب أن يتنبه لها المسلمون ويحذروها جداً غير منبهرين أو مذهولين من غنى «الإنترنت» بالمعلومات وما تنجزه من اتصالات... القضية الخطيرة هي أن «شبكة الإنترنت» يستغلها بعض أعداء الإسلام لينفثوا من خلالها سمومهم ضد ديننا العظيم الكريم بهدف النيل منه أو السخرية أو الطعن... وخصوصاً بطرح بعض القضايا التي تستقطب شرائح كبيرة من المجتمعات بهدف التضليل والتشويه والإساءة.

فمن ذلك مهاجمة واحد من أعداء الإسلام لحديث رسول الله - ﷺ - الذي خاطب فيه مجموعة من النساء في معرض المباسطة وامتداحهن بما وهبهن الله تعالى من تأثير على قلوب الرجال وقوله لهن: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن».

ولقد تناول هذا العدو الغربي هذا الحديث الشريف من خلال «الإنترنت»، وطرحه بسخرية وحقد دفين على مجموعة من الناس وأثار لديهم الشكوك والاتهامات والاستهزاء، فكيف - يزعم هذا العدو الخبيث - تكون النساء ناقصات عقل ودين وقد بلغن من الرقي والسبق والمناصب ما تفوّقن فيه على كثير من الرجال.



الوعي والحقيقة الساطعة

قبل التصدي للرد على هذا العدو الأفّاك المهاجم المضلل وسواء أكان جاهلاً حقيقة بفهم حديث الرسول - ﷺ - المشار إليه أو كان عارفاً بمعناه ومدلوله الحقيقي، ولكنه يتعامى عن الحق ويكفر الحقائق ويتجاهلها، وكل غايته تشكيك ملايين المسلمين - والناشئة بخاصة - أو تضليل غير المسلمين ممن لديهم مفاهيم صحيحة عن الإسلام.

قبل التصدي لمناقشة هذا الاتهام بموضوعية وعقلانية لابد من الاقتناع التام بأن الإنترنت سلاح ذو حدين فقد تحوي الحق الصحيح من علوم ومعارف.. وقد تحوي الباطل المزيّف من اتهامات وتشكيكات بحقائق راسخة وبخاصة في مجال العقيدة الإسلامية، إذاً فمن الواضح المؤكد أنه ليس كل ما تحويه «الإنترنت» صحيحاً أو موثوقاً به - وبخاصة ما يتصل بحقائق الإسلام حين يتعمّد أعداؤنا إساءة فهمها وتضليل الآخرين حيالها.

لذلك لابد - عزيزي القارئ الكريم - من التأكد والتثبّت من صحته من صحة النص ودقة الفهم.

مرتكزات أساسية للرد على مثل هذه الاتهامات

أولاً: إن ديننا قرآننا وحديث رسولنا مادامت لغتهما هي اللغة العربية، فإن من المؤكد والمنطقي أن لا تفسر نصوصهما وتفهم إلا من خلال روح هذه اللغة، ومدلولاتها وطبيعة استخداماتها.

ثانياً: يتضح ذلك إن أدركنا كيف تلقاهما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وخاطبهم النبي - ﷺ - بلسانهم العربي كذلك.

وهكذا فإن دلالات الألفاظ ضمن سياق النص يجب أن تفهم تماماً كما فهمها العربي الذي خاطبه كتاب الله تعالى وكلمه رسوله ﷺ.

وحسبنا أن نسوق بعض الأمثلة على ذلك: قوله تعالى - وهو يخاطب الكافرين ويجادلهم سائلاً ءألهتهم خير أم الله خالق السموات والأرض - (أمَّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) النحل: ٦٠.

فالمستشرق أو غير المدرك لمدلولات اللغة العربية عموماً ولمدلولات لغة القرآن خصوصاً حين يقرأ أو يسمع هذه الآية، فإنه سيفهم - حسب سطحية معرفته بالعربية - أن الذين يقولون بوجود إله آخر شريك مع الله هم قوم عادلون منصفون، وحاشا لله أن يكون المعنى كذلك، وإنما معنى «يعدلون» في هذا السياق القرآني هو: يميلون عن الحق، أي أن الذين يقولون بوجود إله شريك لله هم مائلون منحرفون عن الحق، متجهون إلى الباطل في قولهم واعتقادهم هذا.

قصور فهم السطحيين

وهناك أمثلة كثيرة على قصور فهم السطحيين لمدلولات ألفاظ القرآن الكريم في سياقها القرآني فما بالك بمعاني الآيات وأسباب نزولها وأحكامها.

وإليك عزيزي القارئ بعض هذه الأمثلة وذلك في قوله تعالى على لسان العبد الصالح الخضر - عليه السلام - في معرض تعليله لموسى عليه السلام رقه سفينة البحارة الفقراء: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) الكهف: ٧٨، والشاهد هنا كلمة «وراءهم» فلو أن الكلمة هنا لها المدلول المعروف فما الحاجة لهؤلاء المساكين أن يخرق الخضر سفينتهم مادام الملك ورجاله خلفهم ولن يصلوا إليهم؟! ولكن معنى «وراءهم» في هذه الآية هو «أمامهم» أي أن الملك ورجاله ينتظرون مرور السفن أمامهم فما وجدوه صالحاً منها اغتصبوه دون رحمة أو شفقة.

ولهذا لا ينبغي أن يغيب عن أذهان المسلمين أنهم مأمورون من الله تعالى بالمرابطة في سبيل الله تعالى للتصدي في أي حين لأعدائنا الذين يتربصون بنا وذلك في قوله عز شأنه: (يأيها

الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: ٢٠٠.

والمرابطة والرباط في معناهما الواسع هما إشعار العدو أنك مستعد دائماً للقائه، وكما يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى - في إحدى خواطره الايمانية:

«وليس الرباط هو الاستعداد بالخيل أو بالسلاح المناسب لكل عصر فحسب، بل إن المرابطة معناها الإعداد لكل ما يمكن أن يردَّ عن الحق صيحة الباطل، وإن من المرابطة إعداد الناشئة الإسلامية للتصدي لوافدات الإلحاد قبل أن تأتي، لأن غزو الفكر قد يتسرب إلى النفوس من حيث لا تشعر».

الوعي المطلوب وواجب التصدي للرد

ومن هذا القبيل من الغزو الفكري المعادي للإسلام - ما أشار إليه فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - أطال الله في عمره - من خلال كلمة شارك بها في حفل عرس شاب من حفظة القرآن الكريم في دمشق أشار إلى غزو فكري جديد وهجوم ضار ضد الإسلام، سُجِّل في «شبكة الإنترنت»، وقد قيِّض الله تعالى للدكتور البوطي شاباً أطلعه على نثار مما هو مسجل فيها من الإساءة إلى القرآن الكريم وسنة رسول الله - ﷺ - والسخرية لمحاولة التهديم والتحطيم.

ومع أن د. البوطي رأى أن الاتهامات هي مجرد تفاهات يتشدق بها أولئك المسيئون وهي أباطيل لاتستند إلى واقع ولا ترتكز على حقيقة وعلى سبيل المثال اختار مما طرح في «الإنترنت» من إساءة وسخرية بحديث رسول الله - ﷺ - الذي يقول فيه: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن».

ويعقل د. البوطي بأن ذلك ليس بمستغرب من عدو مجاهر بعداوته للإسلام، ودعا إلى أن يقوم المؤمنون الغيارى على دين الله المتناثرون في الغرب بشطريه الأوروبي والأمريكي بجمع شملهم وتوحيد صفهم وليجعلوا لهم صوتاً موحَّداً وموقعاً على منبر «الإنترنت» لتعريف العالم - المتصل بهذه الشبكة - بالإسلام وبالتالي للرد على افتراءات أعدائه... وهذا إن تحقق وصار لنا فيها صوت واحد هو بحد ذاته البطولة الحقيقية وذلك بالدفاع عن الحق وهدم الباطل بالمنطق والحجة.

كيف نتصدى ؟

عزيزي القارئ الكريم :

ولتحقيق هذه البطولة وهذا الموقع على «الإنترنت» دعا الدكتور البوطي المسلمين إلى ترك التناحر بخصوص المذاهب الاجتهادية الخلافية والأمور الفرعية، وأن يتوقف كل واحد من هؤلاء المتناحرين عن محاولة الانتصار لنفسه أو فئته أو مذهبه وأن يعمل على توحيد الصف وتوحيد الصوت بينما عدونا يجتهد لأن يجتث شجرة الإسلام من جذعها. وفي معرض رد د. البوطي على ذلك العدو الساخر من حديث رسول الله - ﷺ - قال :

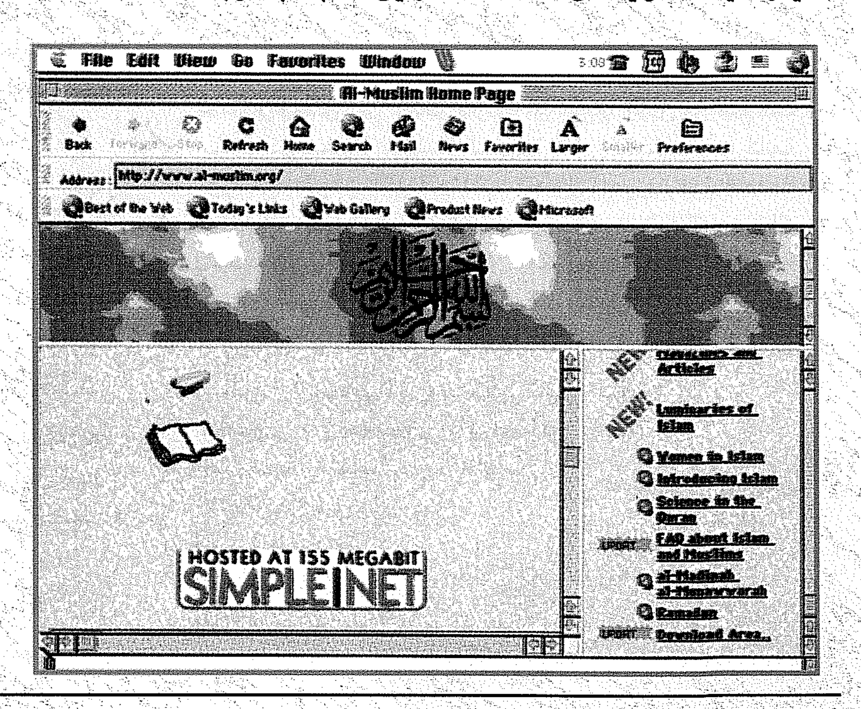
أولاً: إن رسول الله - ﷺ - قال هذا في سياق مباسطة وامتداح للنساء، وبخاصة إذا ما قارنا بين أول الحديث «ما رأيت من ناقصات عقل ودين» وآخره «أخلب للب الرجل من إحداكن».

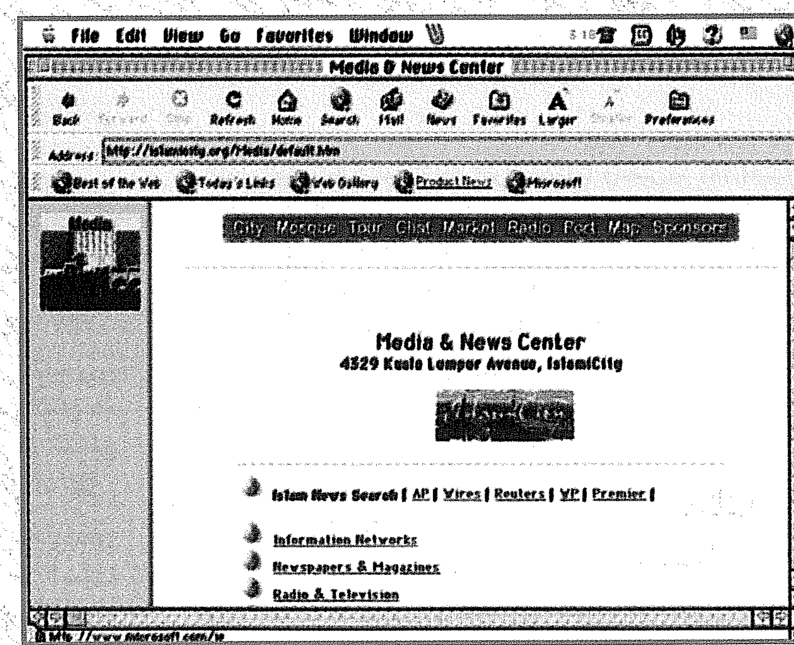
ثانياً: وإن الرجل أقل عاطفة من المرأة، وهل كان للتكامل الذي قضاه الله بين الرجل والمرأة أن يتحقق لو لم يقابل نقص المرأة هذا الكمال في الرجل ولو لم يقابل نقص الرجل هذا الكمال في المرأة؟ ومن هنا كان كل منهما السكن للآخر تماماً كما عبّر عن ذلك البيان القرآني في قوله تعالى: في سورة الروم آية ٢١: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

ثالثاً: ثبت من حقيقة سيكولوجية في المرأة، أنها لا يسعدها من الرجل إلا أن يكون أكثر عقلانية منها، ومن حقيقة سيكولوجية في الرجل أنه لا يسعده من المرأة إلا أن تكون أكثر عاطفة منه.

كاتبة ألمانية تؤيد هذه الحقيقة:

ويؤكد هذا بقول عالمات وباحثات غربيات يؤيدن هذه الحقيقة ومنهن الكاتبة الألمانية «استرشيلر» التي شرحت في كتابها شرحاً علمياً بأسهب





العبارات، وأكدت أن المرأة لا تسعد بالرجل إلا إذا شعرت أنها تعيش في كنف من عقلانيته وقوته المتغلبة.

رابعاً: إذاً فإن نقصان عقلانية المرأة بالإضافة إلى زيادة عاطفتها مظهر لكمالها ونقصان عاطفة الرجل بالإضافة إلى زخم عقلانيته مظهر لكماله، وهذان الكمالان لا يتراءيان إلا عندما يقترن الرجل بالمرأة.

فرجل وامرأتان

وأضيف إلى كلام الدكتور البوطي ما ألهمني الله تعالى به من تذكر آية قرآنية كريمة يعلمنا الله تعالى بها هذه الحقيقة، وهي أن المرأة أقل ضبطاً وعقلانية من الرجل وأقل تذكراً منه للأمور وأن قوة عاطفتها تنسيها الأشياء، وذلك في قوله تعالى في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى...)، ومعلوم أن هذه الآية نزلت لتوثيق عملية التداين، وأن الله تعالى يأمرنا بأن يكتب هذا الدين كاتب بالعدل، ويشهد على هذه الكتابة والتوثيق شاهدان رجلان، فإن لم يتيسر فرجل وامرأتان، أي أن شهادة الرجل بشهادة امرأتين، وأوضح الله لنا السبب وهو أنه إذا نسيت المرأة الأولى ذكّرتها الثانية، وإن نسيت الثانية ذكرتها الأولى... والمفسرون قالوا: لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال.

حال المرأة خلال الدورة الشهرية

وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة نقص المرأة أكثر فلندع المرأة ذاتها تسأل نفسها عن التغييرات التي تحصل لديها أثناء تلقيها دورتها الشهرية، وكيف تكون حالها العصبية والمزاجية، وبالتالي العقلية من ضبط وتذكّر ومحاكمة واستنتاج - علماً أن هذه الحال الانفعالية أثناء الدورة الشهرية تتفاوت في مدتها وآثارها ونتائجها بين امرأة وأخرى.

فإذا أضفنا إجابة المرأة الموضوعية بهذا الصدد إلى طبيعة تكوين المرأة السيكولوجي لاقتنعنا تماماً بالحقيقة التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف.

المرأة تعفى من الصلاة أثناء دورتها ونفاسها

والمرأة المسلمة يعفيها الله تعالى من أداء الصلاة خلال فترة دورتها الشهرية، وأثناء حيض نفاسها، كما يبيح لها الإفطار في رمضان للسببين السابقين... ومن هنا كان نقص دينها أي نقص عبادتها عن عبادة الرجل.

إذاً صار واضحاً لدينا الآن أن معنى ناقصات عقل هو نقص في الضبط والتعقل بسبب غلبة العاطفة على العقل وما يتبع ذلك من ضعف ونسيان، ومعنى ناقصات دين أي نقص بسبب إعفائها من الصلاة فلا تؤديها أثناء دورتها الشهرية ونفاسها ولا تقضيها بعد ذلك، أما صيامها فيؤجل خلال ذلك، ثم تقضيه فيما بعد.

توضيح د. البوطي

عزيزي القارئ...

الدكتور البوطي يوضح هذه المسألة فيقول: يُقال عن فلان من الناس إن دينه ناقص ويُراد بذلك أحد معنيين :

المعنى الأول : أن التكاليف الإلهية لم تتجه إليه كما اتجهت إلى غيره، ومن ثمَّ يوصف بنقصان الدين، وليس معنى ذلك أنه يتحمل من ذلك أي مسؤولية تقصيرية، وهذا ما يُقال للطفل غير البالغ إنه ناقص في الدين لأن الله لم يخاطبه ولم يحمله التكاليف.

والمعنى الثاني لكلمة ناقص الدين: أي يُعرض عن كثير من أوامر الله تعالى سبحانه، فلا يلقي بالاً إليها، ويتساءل الدكتور البوطي: أيُّ المعنيين قصده رسول الله - ﷺ - والجواب بالاتفاق والتأكيد أن المعنى الأول هو المقصود.

وحين يقول الرسول - ﷺ - ناقصات عقل ودين، أي أن الله عز وجل كلّف الرجل بتكاليف أكثر مما يكلّف المرأة وهي لا

تتحمل بسبب هذا النقص في التكاليف أي وزر، بل يقول الفقهاء: إن الله لا ينقص من أجرها شيئاً مما يناله الرجل بصلاته التي لا تستطيع هي أن تؤديها، أو بقراءته القرآن التي يتلوها ولا تستطيع هي أن تتلوه أثناء دورتها ونفاسها، فقعودها عن الصلاة وعن قراءة القرآن عبادة لأنها امتثلت حكم الله في أخذها الرخصة الممنوحة، فأين نقصان الدين هنا بالمفهوم الخاطئ الذي يفهمه بعض الناس الجهلة.

أين الغيورون ليقوموا بالتصدي؟

وحث الدكتور البوطي على أن ينهض المسلمون الغيورون على دينهم فينقلوا هذا الرد المفصّل إلى «شبكة الإنترنت» ليطلع عليه من شاء من أصدقاء وأعداء، لكي يقطع هذا المنطق العلمي ألسنة المتخرصين المفتئتين على سيدنا رسول الله ﷺ.

ويقول قبل ذلك راح رجل في الغرب، اسمه «مايك»، يسخر خلال «الإنترنت» من رسول الله - ﷺ - لأنه تزوج من السيدة عائشة أم المؤمنين وعمرها لم يكن قد زاد على تسعة أعوام، وشاء الله تعالى أن يهيئ شاباً مسلماً ترجم كلام «مايك» هذا إلى اللغة العربية، وأتاني به، فشرّفني الله عز وجل أن أردّ على كلام «مايك» بتفصيل طويل، وقام ذلك الشاب المسلم الغيور بترجمة ردّي إلى الإنكليزية، وشاء الله أن يستقر هذا الكلام في مكان الرد في «الإنترنت» على هذا المفتئت على رسول الله - ﷺ : ويخلص د. البوطي النصح قائلاً:

وهذا الرد أنموذج بسيط ينبغي أن يتحول إلى رسالة تنهض بها هذه الأمة ينبغي للمسلمين جميعاً في أقطار العالم كله أن يجمعوا شملهم وأن ينهوا خلافاتهم وأن يقضوا على الصراعات فيما بينهم، وأن يسدوا الثغرات المتفتحة التي لا يتسرب منها إلا الشياطين وينبغي أن ينطلقوا من صوت واحد ليؤدوا الوظيفة التي شرّفنا الله تعالى بها.

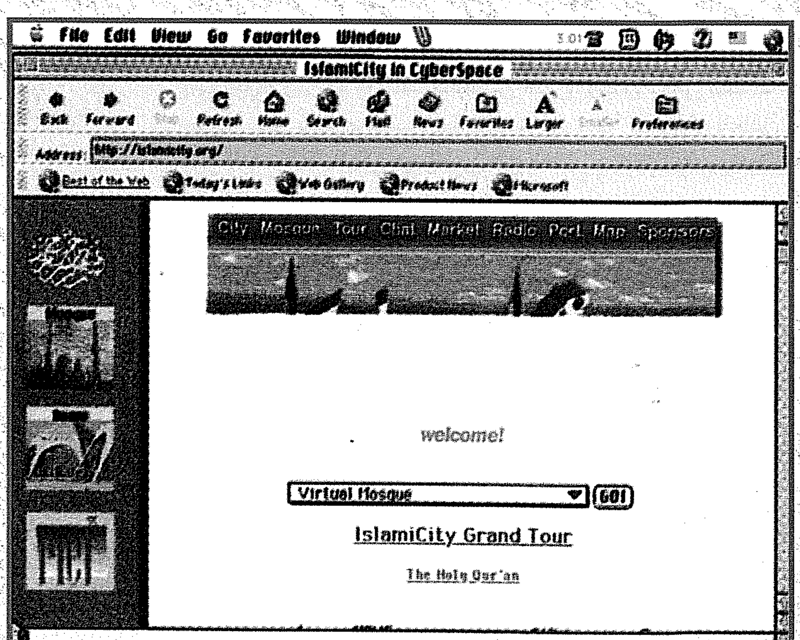
من كرّم المرأة بحق؟

أخي القارئ الكريم: لم تلق المرأة تكريماً واحتراماً كما لقيت في شريعة الإسلام وحسبُها أن سورة من أكبر وأعظم سور القرآن الكريم سُمّيت باسمها، ألا وهي «سورة النساء»، التي تناولت أحوال حياتها وحدّدت مالها من حقوق وما عليها من واجبات، وكما يقول الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى - وليس تكريمها في سورة النساء فحسب، بل في سورة المائدة أيضاً وفي سورة الأحزاب وفي سورة الممتحنة وفي سورة المجادلة وفي سورة الطلاق وفي سورة التحريم.

وما وصّى أحد بالعناية بالمرأة ورعايتها وتقديرها أبداً، كما وصى الله تعالى في قرآنه الكريم، ومما قاله عز شأنه في ذلك: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير) لقمان:١٤.

وتلمح عزيزي القارئ هذه المكرمة للأم، حيث ذكر معاناتها في حمل جنينها وآلامها في وضعه... ولهفتها وجهدها في إرضاعه وفي فطامه وفي تربيته دون التعرض للرجل.

وما حضّ أحد على الإحسان للمرأة والرفق بها والعطف عليها كما حض رسول الله محمد ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة وأفعاله العظيمة، فمن ذلك قوله مخاطباً جميع المسلمين على مر السنين: «خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»، وقوله: «ما أكرمهن إلا كريم»، وحسب المرأة منزلة وكرامة وإعزازاً أن النبي - ﷺ - كان يُحتضر ويلفظ أنفاسه الشريفة وهو يوصي بها قائلاً: «استوصوا بالنساء خيراً».



وأخيراً ... الإنترنت !

أخي القارئ العزيز :

لا نجادل في أن «الإنترنت» لغة عصرنا الحالي العالمية، لذلك ينبغي أن نتعلمها وأن يتقنها أبناؤنا لنكون على اتصال بما يجري في عصرنا، ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن نأخذ من «الإنترنت» أحكام ديننا ومفاهيمه أو شرائع قرآننا، وهدي رسولنا محمد ﷺ، ولا يعني أيضاً أن نستقي من «الإنترنت» أخلاقنا وقيمنا ومثلنا.

فماذا نبغي من الإنترنت؟

نأخذ منه ما ينفعنا من علوم ومعارف ومهارات وخدمات واتصالات... لنستعين بذلك على بناء نهضتنا ومستقبل أبنائنا... وعلى الله تعالى قصد السبيل. ■



الإنذار الأخير في رسالة: من أبي بكر إلى المرتدين ... ٢

بقلم : د. جابر قميحة

بوادر الردة

في عام الوفود، جاء إلى المدينة مسليمة بن حبيب «المعروف بمسيلمة الكذاب»، في عدد من قومه، وأخذ يردد أمام الناس «إنْ جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته» فأقبل إليه النبي - ﷺ - ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي - ﷺ - قطعة من جريدة حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال له: «لو سألتني هذه القطعة ما أعْطيتُكها ولن أتعدى أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنَّك الله وإني لأراك الذي أريتُ فيك ما أريت...».

وتفسير الجملة الأخيرة فيما يرويه أبو هريرة قال: قال النبي - ﷺ - «بينا أنا نائم رأيت في يديَّ سُوَارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحيَ إليَّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطار، فأولتهما كذَّابين يخرجان من بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة» (رواه الشيخان). ولما عاد مسيلمة إلى بلده اليمامة أرسل مع رجال من قومه الكتاب التالي إلى رسول الله - ﷺ : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك أما بعد فإني أُشْركتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون». ورد عليه النبي - ﷺ - بالكتاب التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين». ولكن الردَّة الأشد والأعتى كانت ردة الأسود العنسي «عيهلة بن كعب» في اليمن، وهو يعتبر أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة وانتشر نفوذه وهيمن على نجران وصنعاء، وغلب على ما بين صحراء حضرموت إلى الطائف والبحرين والإحساء وعدن. وساعده على الانتشار والهيمنة قدرته على الشعوذة والسحر، وكان يلقب نفسه برحمن اليمن، وتمتع الأسود العنسي بملكه هذا العريض مدة أربعة أشهر فقط، إلى أن تم اغتياله قبل أن ينتقل النبي - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى بشهر واحد، وعادت الأمور كما كانت قبل ظهور الأسود العنسي وارتداده عن الإسلام وادعائه النبوة.

جدل حول محاربة المرتدين

قالت عائشة - رضي الله عنها - «لما توفي رسول الله - ﷺ - نجم النفاق، وارتدت العرب، واشرأبّت اليهودية والنصرانية، وصار المسلمون كالغنم في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر، فقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها...».

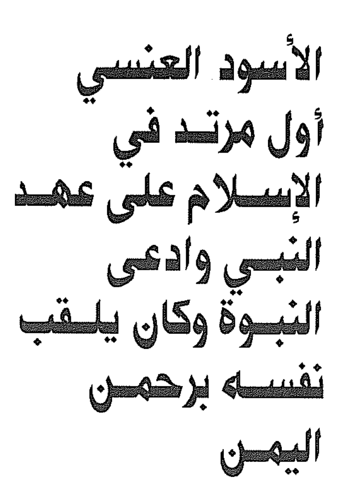
والعبارة على إيجازها تصور فداحة المحنتين اللتين نزلتا بالمسلمين: المحنة بوفاة النبي - ﷺ - والمحنة بردة العرب عن الإسلام الذي لم يثبت عليه إلا أهل المدينة ومكة والطائف، وهذا يعني أن الغالبية العظمى مرقت من الإسلام بادعاء النبوة كما فعل مسيلمة بن حبيب الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح التميمية، أو بالردة الشاملة أي ترك الإسلام بالكلية والعودة إلى الكفر، وكان أخف أنواع الردة وأكثرها شيوعاً هو الامتناع عن أداء الزكاة مع المحافظة على بقية أركان الإسلام.

وحاول بعضهم استثمار هذه المحنة والتكسب من ورائها، ويحكي لنا التاريخ أنه قدم على أبي بكر عيينةُ بن حصن والأقرع بن حابس في رجال من المهاجرين فقالوا «إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام، وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله - ﷺ - فإن تجعلوا لنا جُعْلاً فنكفيكُم مَنْ وراءنا». فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر، فعرضوا عليه الذي عرضوا عليهم، وقالوا له: «نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طُعْمة يرضيان بها ويكفيانك مَنْ وراءهما، حتى يرجع إليك أسامة وجيشه، ويشتد أمرك، فإنَّا اليوم قليل في كثير!! ولا طاقة لنا بقتال العرب»، قال أبو بكر: «هل ترون غير ذلك؟» قالوا: «لا!!»، قال أبوبكر: «إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله - ﷺ - المشورة إليكم فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم، ولا نزل به الكتاب عليكم، وإنَّ الله لن يجمعكم على ضلالة، وإني سأشير عليكم، فإنما أنا رجل منكم، تنظرون فيما أشير به عليكم، وفيما أشرتم به عليَّ، فتجتمعون على أرشد ذلك، فإن الله يوفقكم، وأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» وألا تَرْشُوا على الإسلام أحداً، وأن نتأسَّى برسول

الله - ﷺ - فنجاهد عدوه كما جاهدهم، والله لو منعوني عقالاً لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه، فائتمروا يرشدكم الله، فهذا رأيي، وأما قدوم عيينه وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يغب عنه عيينة، هو راضيه ثم جاء له، ولو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه، أو أفناهم السيف فإلى النار، قتلناهم على حق منعوه وكفر».

فبان للناس وجه أمرهم، وقالوا لأبي بكر لما سمعوا رأيه: «أنت أفضلنا رأياً، ورأينا لرأيك تبع».

فأمر أبو بكر الناس بالتجهز، وأجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الردة.



وفي موقف آخرون قال المعارضون: أقبل منهم يا خليفة رسول الله «أي الصلاة دون أداء الزكاة، فإن العهد حديث، والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب، مع أنا سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالواها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» فقال أبو بكر «هذا حقها، لابد من القتال».

فقال الناس لعمر: أخْلُ به فكلّمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة، ويعفيهم من الزكاة، فخلا به عمر نهاره أجمع، فقال: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، ولو لم أجد أحداً أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي، حتى يحكم الله بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين، وقد سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أُمِرْت أن أقاتل الناس على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة» فوالله الذي لا إله إلا هو لا أقصر دونهن».

وفي رواية ثالثة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى أبا بكر فقال له: يا خليفة رسول الله تألف الناس، وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش، فقال أبوبكر «رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام!! بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل؟ أم بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي - ﷺ - وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقالاً».

دكتاتورية أبي بكر

ويكتب فحل من فحول التنويريين بالحرف الواحد: «... وبإصرار أبي بكر - مخالفاً الإجماع - على حروب الصدقة يكون قد جار على قاعدة الشورى، ودخل باختياره في دائرة حكام العصور الوسطى من الدكتاتوريين المستبدين برأيهم...».

وبصرف النظر عن عدم توفيق الكاتب في استبدال «حروب الصدقة» بحروب المرتدين أو الردة كما هو مشهور تاريخياً نجد لزاماً أن نستقرئ أسانيد أبي بكر وأسانيد معارضيه حتى نخلص إلى الحكم الحق في هذه المسألة فالمعارضون اعتمدوا على سندين :

السند الأول: الحديث الشريف، وقد فهموا منه أن الشخص إذا نطق بالشهادتين حرم قتله وقتاله.

والسند الثاني: واقع الحال: فالمرتدون كثرة، والمسلمون قلة، ومقاتلتهم في هذه الحال مخاطرة غير مأمونة العواقب.

ويفهم من بعض الروايات أن المسلمين لم يكونوا يعارضون مبدأ الحرب لذاته، بل لأن الوقت غير مناسب لقتال المرتدين، ولا مانع من شن الحرب عليهم إذا ما أفاق المسلمون من الآثار النفسية التي هزتهم بمصيبتهم في رسول الله - ﷺ - وإذا ما سنحت الفرص التي تمكنهم من هؤلاء، وقد يستأنس لهذا بما طلبه عمر بن الخطاب من أبي بكر من أن «يتألف الناس، ويرفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش» فالمطلوب إذاً فترة لالتقاط الأنفاس، وإعداد النفوس، واستخدام الرفق واللين، فقد تؤدي هذه السياسة إلى أن يثوب الناس إلى رشدهم ودينهم، وإلا جابههم المسلمون بالحرب وهم أحسن حالاً، وأشد قوة من ذي قبل.

أما أبو بكر - ﷺ - فقد استند إلى نص صريح وهو حديث النبي - ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة».

كما قاده اجتهاده في الحديث الذي استشهد به عمر والمعارضون إلى أن عصمة الدماء والأموال، أي حرمة مقاتلة من نطق بالشهادتين رهينة بأداء حق المال الذي هو الزكاة، وأبو بكر كان خليفة مجتهداً فله الحق في أن يستنبط الأحكام الشرعية من مصادرها، ويطبقها على ما يجدُّ من القضايا، والمجتهد يجب عليه أن يعمل بما يهديه إليه اجتهاده، ولا يجوز له أن يقلد غيره في الرأي.

كان أخف أنواع الردة وأكثرها شيوعاً هو الامتناع عن أداء الزكاة مع المحافظة على بقية أركان الإسلام

ويرى العقاد أن أبا بكر - وهو الذي كان مثلاً في الاقتداء بالرسول - ﷺ - حيثما سبقت سابقة يقاس عليها - قاس الزكاة على الصلاة: فقد ذهب أناس من الثقفيين

يعرضون على النبي - ﷺ - إسلامهم على أن يعفيهم من الصلاة، فقال - عليه الصلاة والسلام - «لا خير في دين لا صلاة فيه»، وكذلك لا خير في دين لا زكاة فيه - كما يقول العقاد - فإذا جاء المرتدون ويزعمون أنهم مسلمون يقبلون فرائض الإسلام، ولا يقبلون الزكاة، فليس أبوبكر الذي يقبل منهم ما يزعمون.

كما أن إصرار أبي بكر على مقاتلة المرتدين ومعارضة المعارضين في ذلك لم يكن وراءهما إلا باعث واحد هو «الخوف على الإسلام»: فمنطق أبي بكر يعتمد على أن البدار بالقتال خير وسيلة للدفاع، وحماية الإسلام وحفظ ديار المسلمين، والمعارضون انطلاقاً من هذا الباعث أيضاً كانوا يرون أن «التأني وتأليف القلوب» هو الوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف.



ثم كان المعارضون هم أسرع الناس للاشتراك في قتال المرتدين، لأنها معارضة لم يكن وراءها إلا الغاية النبيلة والباعث الشريف، فقصة أبي بكر مع المرتدين - كما يقول محمد الغزالي رحمه الله: «لاتعني إلا أنه عرف الحق قبل عمر، ثم ما لبث أن أقتنع به صاحبه فأيد وجهة نظره، وأتفقا جميعاً على تنفيذها، وخطأ عمر - ﷺ - ابتداء مع المرتدين كخطئه بعد وفاة الرسول - ﷺ - حين أنكر موته، وتوعد من يقول به، ثم ثاب إلى الحقيقة التي قررها أبو بكر في يقين وتؤدة».

وأثبتت الأحداث بعد نظر أبي بكر، وتحققت الانتصارات الباهرة، وعاد لواء الإسلام يرفرف من جديد على كل أنحاء الجزيرة العربية. قال أبو رجاء البصري: «دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبّل رأس رجل، ويقول له: «إنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا»، قلت من المقبِّل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين».

فأين الاستبداد؟ وأين الجور على الشورى؟ وأين الدكتاتورية التي اتهم بها «فحل التنوير» خليفة رسول الله أبا بكر الصديق ﷺ !!؟

الألوية والإنذار الأخير...

أعد أبو بكر ﷺ أحد عشر جيشاً، وجعل ألويتها - أي قيادتها - لأحد عشر قائداً من خيرة قواده وكلهم من المهاجرين مثل: خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة والمهاجر بن أبي أمية والعلاء بن الحضرمي... جهّز أبو بكر هذه الجيوش وسيرها لقتال المرتدين، ولكن قبل ذلك وجه رسالة إلى كل القبائل بعامة والمرتدين منهم بخاصة ونص هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله - ﷺ - إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من أتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نُقرُّ بماجاء به ونكفِّرُ من أبى ونُجاهده، أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويُحقَّ القولَ على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله - ﷺ - بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفَّى اللهُ رسولَه - ﷺ - وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيَّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، قال (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر:٣٠، وقال: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الأنبياء:٣٤ وقال للمؤمنين: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران: ١٤٤.

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حيٌ قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم - ﷺ - وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالى: (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) الكهف:١٧.



الجيوش الموجهة لن تقاتل جماعة حتى تُدعى إلى الله فمن استجاب حقن دمه وحفظ حياته وماله، ومن أبى قتل شر قتلـه

ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)

الكهف: ٥٠، وقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر:٦.

وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكفَّ وعمل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومَنْ أبىٰ أمَرتُ أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحد منهم قدرَ عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يسبيَ النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمَنْ اتبعه فهو خير له، ومَنْ تركه فلن يعجز الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كُفُّوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبو عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

وأهم المضامين والتوجيهات التي ضمنها هذا الكتاب تتلخص فيما يأتي:

١ ـ توجيه الرسالة إلى كل الأفراد والقبائل الثابتين على الإسلام منهم، والمرتدين عنه.

٢ ـ من آثر الضلالة والعمى على الحق والهدى فهو كافر علينا أن نجاهده.

٣ ـ أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، ولم يتوفه الله إلا بعد أن كمل الإسلام.

٤ ـ الإيمان في بقائه يرتبط بالدعوة لا الداعي، فموت محمد ـ ﷺ ـ لا يعني موت الدعوة لأنها خالدة والله حي لا يموت.

٥ ـ ضرورة التحلي بالتقوى والاعتصام بدين الله، فلا ناصر إلا الله، ولا هادي إلا الله.

٦ ـ الارتداد عن الإسلام اغترار بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان وموالاة له.

٧ ـ الجيوش الموجهة لن تقاتل جماعة حتى تدعى إلى الله فمن استجاب حقن دمه وحفظ حياته وماله، ومن أبى قتل شر قتله، وعرض أهله وولده للسبي.

٨ ـ سيكون الأذان هو معيار الحكم بالبقاء على الإسلام أو العودة إليه، ثم بعد ذلك أداء فرائض الدين الأخرى.

وكتاباً موجهاً لقادة الجيوش

وضماناً لسير العمل في انضباط ونظام دون تفريط أو تجاوز وإفراط بدافع النقمة والحماسة الزائدة وجّه أبو بكر ـ ﷺ ـ كتاباً من صيغة واحدة إلى القادة الأحد عشر، ونص هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال مَنْ رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يُقرُّوا له، ثم يُنبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا يُنظرهم، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزَّ وجلَّ وأقرَّ له قَبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه ..... بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية قُتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مُراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرَّ قَبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسَّم ما أفاء الله عليه، إلا لخُمس فإنه يبلّغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يُدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبَلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقّدهم، ولا يُعجِلَ بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حُسْن الصحبة ولين القول.

فعلى كل قائد أن يتقي الله في السر والعلن، في كل أموره حرباً وسلماً. وعليه الا يقاتل المرتدين إلا بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا داعي الإسلام تركهم، وإن رفضوا قاتلهم، وعليه أن يستوفي منهم ما هو عليهم واجب لله والإسلام والدولة، ويؤدي إليهم ما لهم من حقوق، وعليه أن يراقب سلوك جنوده حتى لا يرتكبوا معصية أو فساداً، ولا يسمح بأن يختلط بالمسلمين ـ ممن عاد إلى الإسلام بعد ردة ـ إلا من تيقن بحسن دينه حتى لا يكون عيناً على المسلمين. وأخيراً عليه أن يعامل جنوده بالرفق والرحمة، ويتفقد أحوالهم، ويذلل صعابهم.

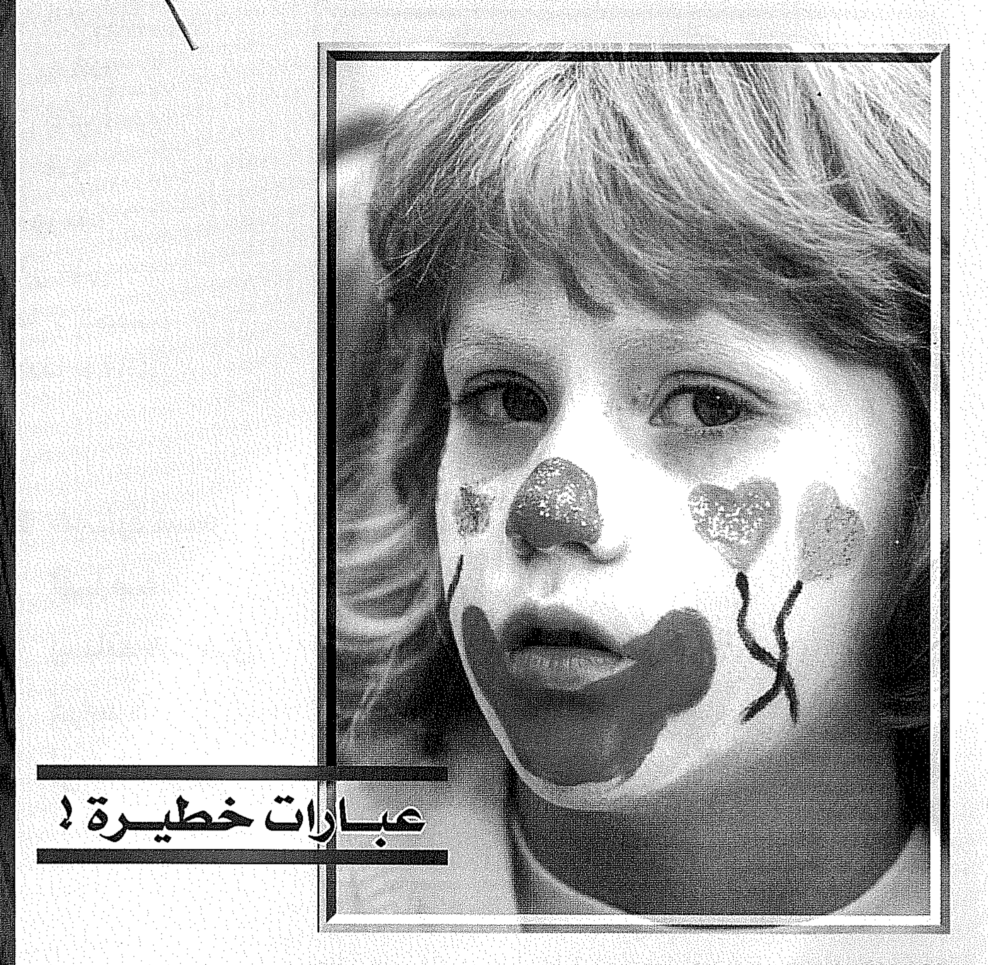
وأخذ القادة انفسهم بما أمر به الخليفة الصديق وبالإيمان القوي وصدق العزيمة والإعداد الدقيق تحقق النصر المبين، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ قال: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين). ■

إصرار أبي بكر على مقاتلة المرتدين ومعارضة المعارضين في ذلك لم يكن وراءهما إلا باعث واحد هو «الخوف على الإسلام»

أثبتت الأحداث بُعد نظر أبي بكر وتحققت الانتصارات وعاد لواء الإسلام يرفرف من جديد على كل أنحاء الجزيرة العربية

البيت المسلم

العدد ٣٩٩ - الوعي الإسلامي - ذو القعدة ١٤١٩ هـ - فبراير / مارس ١٩٩٩ م



عبارات خطيرة !

هذا الجيل متفرد بذكائه و ...

لماذا شرع الإسلام الحجاب ؟

الأثر الصحي لتنظيم الأسرة

- والوالدات يرضعن أولادهن
- زوجة حائرة
- العروسة
- اللعب وأهميته النفسية للأطفال
- اكتساب الطفل القيم الصحيحة

قصة قصيرة

المولود السادس

عبارات خطيرة! (٥)

هذا الجيل متفرد بذكائه و ...

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محبذة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

بقلم : عابدة المؤيد العظم

■ عبارة ليس لها ما يساندها من دراسة أو استقراء

تربية



■ لماذا كانت هذه العبارة خطيرة؟ وأي سوء جلبته إلينا؟

منذ سنوات قليلة انتشرت بعض الإشاعات التي تؤكد أننا أمام جيل رهيب متفرد، جيل خارق الذكاء ومتعدد القدرات والمواهب، وكم أتحفتني الأمهات في المجالس - وأمام أولادهن - بالكلام عن ذكاء هذا الجيل وعبقريته. وكم سردن عليّ من القصص والحوادث التي تؤكد هذا الزعم وتدلل على صحته، وكم كررن هذه العبارة خلال حديثهن: «هذا الجيل متفرد متميز، فهو ذكي قوي عنيد جريء...» وهن يحسبن أنهن على الحق، وأنهن بترديد هذه العبارة يدفعن أولادهن إلى المزيد من النجاح الباهر والتفوق الخارق.

أما أنا فكنت أخالفهن الرأي، فما لمست تفرد الجيل الذي تحدثن عنه ولا شعرت بتميزه، بل وجدته جيلاً عادياً شأنه شأن أي جيل سبقه، فيه النابغة والمتخلف والذكي والغبي والقوي والضعيف... ولذلك كنت لا أكترث بما تذكره الأمهات عن عبقرية أولادهن، ولا

أصدق ما يقلنه عن ذكاء هذا الجيل وتفرده، إنما كنت أسرح بعيداً مشغولة بمضمون هذه العبارة، ومنزعجة من انتشارها بهذه السرعة بين الأمهات، ومتوجسة من تكرارها وكثرة الكلام فيها، وقلقة من آثارها السيئة ومن ضررها وخطرها علينا وعلى أبنائنا من بعدنا إن استمرت الأمهات في ترديدها، وإليكن الأسباب:

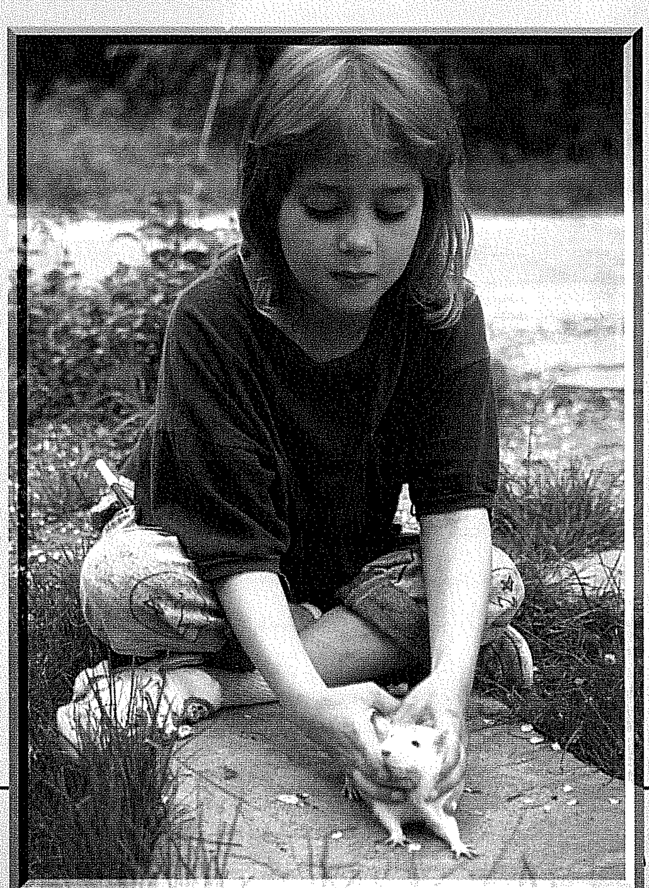
- إن عبارة «هذا الجيل متفرد» ليس لها ما يساندها من دراسة أو استقراء أو أي دليل آخر، وكل الآباء اليوم يزعمون أن أولادهم متفردون! ورغم ذلك لم نحظ - ومنذ مدة - بعالم أو بطالب متميز أو بمكتشف أو بمبدع في المجالات العلمية... فالخوف أن نكون - نحن الأمهات - قد افترضنا أمراً ثم صدقناه وعممناه دون دليل أوبرهان، وظن أولادنا - من بعدنا - أنه الحق بعد أن أوحينا إليهم به وبعد أن قطعنا أعناقهم بترديدنا هذه العبارة «هذا الجيل متفرد»، ففرحوا وقعدوا عن الجد والتشمير معتمدين على تميزهم هذا وعبقريتهم تلك، متناسين أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

فلننس هذه العبارة إذن، ولنكف عن تكرارها ولنتوقف عن ترديدها أمام أبنائنا - إلى أن نتأكد من صحتها - حرصاً على مستقبلهم، واحتراماً لمشاعرهم فلا نصدمهم ولا نحبطهم عندما يكبرون ويكتشفون مبالغاتنا في تقدير قدراتهم ومواهبهم!

ولو افترضنا جدلاً أن هذه العبارة صحيحة، فإن الركون إليها والاعتماد على القدرات الموهوبة دون العمل الجاد المثمر يميت أي إبداع، ويقتل أدنى نبوغ، فالنبوغ والإبداع تلزمهما العناية والرعاية والدراسة والاطلاع حتى يؤتيا أكلهما، فإن كان الجيل متميزاً فعلاً فلنستفد من هذا التميز بهدوء وبتخطيط، وبترديد عبارات هادفة تثير الفاعلية والنشاط وتحث الأبناء على الاستفادة من هذا الذكاء في شتى الميادين.

- وهذه العبارة خطيرة لأنها جعلت الأمور تختلط على بعض الأمهات وتتشابه، إذ عجزت ثلة من الأمهات عن الفصل بين الصفات الجيدة المطلوبة وبين السلوك السيىء المذموم؛ فما عاد هؤلاء الأمهات يدركن الفرق بين الذكاء المحبب وبين التحايل والمكر المكروه شرعاً. وما عدن يميزن بين القوة التي امتدحها الإسلام وطالب المسلم بالتحلي بها وبين الظلم والتعسف والاعتداء على الغير. وما عدن يميزن بين ضرورة التمسك بالمبادئ والثبات عليها، وبين التمرد والعنت والإصرار على الرأي والسلوك ولو كان فاسداً. وما عدن يميزن بين الجرأة في قول الحق ولو أمام سلطان جائر، وبين وجوب البر والطاعة وخفض الجناح للوالدين... فبعض الأمهات تشجع كل سلوك تحسبه نبوغاً، وتمتدح كل فعل تراه مختلفاً، وهي فرحة مستبشرة بتميز ولدها وذكائه، ثم نقلت عدم التمييز هذا إلى الأبناء فصار الأولاد يتباهون بالمنكرات ويتفاخرون بإيذاء الناس و... وهم يحسبون أنهم يفعلون ذلك لا لأنهم جاهلون غافلون منحرفون إنما لأنهم متفردون! فهم أذكياء وأقوياء و ... وقد أساءت هذه الفئة التي تحسب نفسها متفردة إلى الناس وتسببت في انحراف المزيد من الشباب، فأي سوء جلبته إلينا هذه العبارة: «هذا الجيل متفرد».

- ولعل الصراع بين الأجيال موجود في كل المجتمعات، واعتراض الأبناء على قيم الآباء أمر معروف يشتكي منه المربون، ولذلك كانت لهذه العبارة خطورة تشبه سابقتها: إذ يعتقد المراهقون اليوم أنهم أولى بأنفسهم لأن آباءهم لا يفهمونهم، فهم خلقوا لزمن جديد وآباؤهم خلقوا لزمن مضى، ولهذا لا يدرك آباؤهم المستجدات ولا يفهمون الحاضر ويجهلون الكثير من التكنولوجيا، بل ما زالوا يحملون القيم القديمة والعادات والتقاليد البالية! ولا يعرفون أن الزمان قد تغير تغيراً يكاد يكون جذرياً ... فإن كررنا هذه العبارة «هذا الجيل متفرد» أمام الأبناء رسّخنا في نفوسهم هذه الأفكار المنحرفة فظنوا أنهم بتميزهم وذكائهم وقوتهم وعنادهم وجرأتهم... باتوا أقدر منا على تقدير العواقب، وأصبحوا أكثر منا قدرة على محاكمة الأمور، وأضحوا أسلم منا منهجاً وسلوكاً وعلماً في فقه الحياة... فإذ بهم يسألوننا الحرية الكاملة قبل أن يكونوا أهلاً لها، ويطالبوننا بالاستقلال الفكري والحق في تقرير المصير! ويتوقعون منا بعد هذه العبارة أن ننصاع إلى رغباتهم تلك راضين مختارين، لأنهم يظنون أن ذكاءهم يغلب خبرة وحكمة وتجارب والديهم، ويلغي القيم والأخلاق والأعراف التي يلقنونهم إياها، فيرفض الأبناء كل شيء، ويتمردون على القيم الرفيعة، ويستخفون بالأخلاق العالية، ويتطاولون على الأعراف والتقاليد المحمودة... وينادون بالتجديد والتحديث، جاهلين أن الدين والقيم والأخلاق ثوابت لا تتغير ولا تتبدل مهما تقلب الزمان وتطور وارتقى أفراده، وهذا سبب (من أسباب عدة) لما يحدث اليوم في مجتمعاتنا، من استخفاف بتوجيهات الوالدين، والتقليل من شأن القيم الدينية والخبرات الاجتماعية..



فلنحذر من هذه العبارة: «هذا الجيل متفرد» وأمثالها حفاظاً على أبنائنا، وحفاظاً على الدين والقيم والأخلاق. ■



اكتساب الطفل القيم الصحيحة

قضايا تربوية

بقلم : عبدالرزاق زعال بن سمعو

إن القيم التي يكتسبها الطفل في أثناء سيره نحو النضج إنما هي نتيجة لمؤثرات عدة تتمثل في البيت والمدرسة والأصدقاء والمجتمع، وتأثير البيت هو أقوى هذه التأثيرات جميعاً، وحتى عندما يكبر وتنمو عنده القدرة على التفكير النقدي واتخاذ القرارات في كثير من الأمور، فإن بعض المبادئ التي سارت عليها تربيته الأولى ستؤثر في سلوكه.

ففي البيت وفوق كل شيء يتعلم الأطفال مستويات الصواب والخطأ وفكرتهم عن العدل والمساواة وطموحهم وتجهيزاتهم واتجاههم العام نحو الحياة.

الأطفال بوجه خاص معرضون لأن يقاسوا مما تمليه عليهم ضمائرهم ذلك لأنهم مازالوا في مرحلة التعلم وكيف يفرقون بين الخطأ والصواب ؟

صورة الطفل الأولى عن نفسه

في البيت يكوّن الطفل صورته الأولى عن نفسه وهو في الغالب يرى نفسه لما يراه أبواه.

فالطفل الذي يُعنّفُ دائماً ويُذكر بأنه طفل «شقي» سوف يرى نفسه شخصاً عاجزاً عن اكتساب رضا من حوله واستحسانهم، وسواء اتسمت استجاباته بالتحدي أو الخضوع فهو في كلتا الحالين يشعر في قرارة نفسه بالقلق لما يراه عجزاً عن مسايرة المجتمع كما يعرفه.

أما الطفل الذي يتمتع بحب والديه وتفهم حاجات النمو لديه، ويشجع بالثناء على ما يتقن أداءه من أعمال، ويشجع بالمعونة الإيجابية المثمرة على تصحيح ما يقع فيه من أخطاء هذا الطفل سوف يرى نفسه شخصاً يرضى عنه الناس.

الطفل المطمئن

هو الذي ينشأ على تشجيع والديه ومدرّسيه في المدرسة، بحيث تتكون عنده صورة الاستقلال والثقة بالنفس والاستعداد لمواجهة المواقف الجديدة، والقدرة على التعامل مع غيره من خارج محيط أسرته، وهو الذي يكتسب صفات الإحساس بالقدرة والتأكد من نفسه والثقة بمن حوله بما يساعد على التوافق الانفعالي والتغلب على كل ما يواجهه من المواقف الحرجة.

وعلى العكس من ذلك، يكون الطفل غير المطمئن معتمداً على غيره، متصفاً بالخجل والانقياد، ويشعر بعدم القدرة وعدم التأكد من نفسه عند مواجهة المواقف الجديدة، ويكون استعداده ضعيفاً لمواجهة الأزمات، بل إنه حتى في المواقف العادية والتغيرات الطبيعية التي يواجهها يشعر إزاءها بأنه أمام أزمات صعبة عليه.

خوف الطفل من أن يكون طفلاً سيئاً

يعاني أشخاص كثيرون وخزاً وجدانياً بسبب هذه السلطة الكامنة في أنفسهم، هؤلاء قد يكون فيهم ضمير شديد يمنعهم من تذوق الملذات العادية في الحياة، وكثيراً ما يظل هؤلاء يحاسبون أنفسهم على تصرفات ومشاعر لا يعتبرها أغلب الناس خاطئة أو سيئة، وقد يدفعهم ضميرهم هذا إلى التردد فيصبحون غير قادرين دائماً على أن يحزموا أمرهم ويتخيروا لأنفسهم أي طريق يسلكون.

والأطفال بوجه خاص معرضون لأن يقاسوا مما تمليه عليهم ضمائرهم، وذلك لأنهم مازالوا في مرحلة التعلم، كيف يفرقون بين الخطأ والصواب؟ ونظراً لما يكون لديهم من خبرات محدودة فهم لا يكونون قد اكتسبوا بعض المعايير التي يحكمون بها على تصرفاتهم، وكثيراً ما يخشون من أن يتصرفوا التصرف الخاطئ فيوصفون بناء على تصرفاتهم هذه بالسوء.

وليس الضمير سمة موروثة، فهو ينمو في الطفل نتيجة لما يتلقاه من تدريب من والديه ومن الأشخاص الآخرين الذين يشرفون على حياته.

ما الذي يفسد الطفل ؟

ننظر عادة إلى الطفل المدلل على أنه الطفل الذي يحظى بقدر أكبر مما ينبغي من الرعاية. بينما هو في الحقيقة لا يكون حائزاً على قدر كاف منها، أو على الأقل لا يكون حائزاً على القدر الكافي من الرعاية، وهو العطف الذي يُشعر الطفل بأن والديه في حاجة إليه، ويتقبلانه كما هو، فالطفل الذي نُخلص في حبه يختلف عادة عن ما نسميه الطفل المدلل، وذلك لأنه يكون واثقاً من حب والديه له، ولا يكون دائماً في حاجة إلى دليل يؤيد هذا الحب، وإذا كان يحظى دائماً باهتمامهما كلما احتاج إلى هذا الاهتمام، فإنه لا يصرّ على طلبه باستمرار. وفي أغلب الأحيان يكون من الصواب، بل من اللازم أن نعطي الطفل كل ما يحتاج إليه من بالغ الاهتمام إذا ما مرض، فليس هذا مما يفسد الطفل، إلا أننا لا ننكر أن الطفل قد ينشأ على هذه الرعاية الخاصة ويتمنى دائماً أن تستمر دون انقطاع.

وهذه قد تسبب مشكلة، وبخاصة في فترة المراهقة، إلا إذا تمكنّا من علاج الموقف بنجاح. ■



المراجع والمصادر:

١ ـ التربية الاجتماعية للأطفال ـ أليس وتيزمان ـ ترجمة فؤاد البهي السيد.

٢ ـ مواجهة الطفل للأزمات ـ تأليف جورج مهر ـ ترجمة محمد خليفة بركات.

٣ ـ مخاوف الأطفال ـ تأليف هيلن روس ـ ترجمة السيد محمد خيري.

٤ ـ المشكلات الانفعالية ـ تأليف إيرين م جوسلين ـ ترجمة السيد محمد خيري.

والوالدات يرضعن أولادهن

إعداد : معتز ياسين

صحة الأسرة

في قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ البقرة : ٢٣٣.

عرض لقضية كانت من أكثر القضايا جدلاً طوال عشرات السنين الماضية، وهي تقف في هذا الجدال إلى جانب حق المولود في الرضاع من ثديي أمه المعروف بـ «الإرضاع الطبيعي»، وترفض الاعتماد بشكل رئيسي على الحليب الحيواني أو الحليب المجفف، ويعرف هذان النوعان من الإرضاع بـ«الإرضاع الاصطناعي».

وقد تقرر اليوم بالدراسات العلمية أن فوائد الرضاعة الطبيعية لا تقتصر على الوليد فحسب، بل لأمه نصيب منها أيضاً، وإليك البيان :

فوائد الإرضاع الطبيعي للوليد

إن الثديين - في الأيام القليلة بُعَيْد الولادة - يدران اللبأ المهم للوليد برفع مقاومته تجاه الأمراض، وفضلاً عن ذلك، فاللبأ مليّن لطيف يخلص مِعَا(١) الطفل من جميع الفضلات التي تراكمت فيها خلال الحمل، علماً أن الفشل في التخلص من هذه الفضلات يسبب انسداداً معوياً خطراً.

كما يدعم حليب الثدي الجراثيم الموجود بشكل طبيعي في المِعَا التي لها دور فعّال في امتصاص الفيتامينات، في حين أن الإرضاع الاصطناعي يسبب اضطرابها.

ومن الناحية التركيبية يتطور حليب الأم يومياً مجارياً التطور اليومي في نمو أجهزة الطفل. وهذا الحليب معقم لا يحتاج إلى غلي، وإنما يجب فقط أن تحرص الأم على نظافة الثديين. وحرارته ملائمة لجوف الطفل دائماً.

وهو أسهل هضماً من جميع أنواع الحليب الاصطناعي، لاحتوائه على بعض الإنزيمات الهاضمة المساعدة.

كما أن ضم الأم لرضيعها في حنو وسماعه هو - في هذه اللحظات الدافئة - لأنغام قلبها يقوي الرابطة الروحية والعاطفية بينهما، وهذا له معنى كبير في صحة نفس الرضيع ونموها وسكينتها واتزانها، مبتعداً من ثمَّ عن العلل والاضطرابات النفسية.

فوائد الإرضاع الطبيعي للأم

ما يقوله الطبيب محمد وصفي: «إن المص المتكرر للثدي يسبب إفراز هرمون الأوكسيتوسين الذي يسرّع في انقباض الرحم ليعود إلى حجمه الطبيعي، وهذا يقلل كثيراً من النزف الحاصل بعد الولادة وانتانات الرحم وحمى النفاس».

وقد قيل إن نحو ثلاثة أرباع الإصابات بضخامة الرحم إنما يرجع إلى إهمال الوالدات إرضاع أطفالهن.

ويعد الإرضاع من ثديي الأم «مثاليا كماً وكيفاً» وهو أحد العوامل الطبيعية لمنع الحمل بنسبة لا بأس بها، وهذا يجنبهن أخطار موانع الحمل بكل أنواعها. كما أن النساء المرضعات أقل إصابة بسرطان الثدي.

ومن الناحية الاقتصادية لا يكلف شيئاً، وهو في متناول الفقراء على العكس من الحليب الاصطناعي.

محاذير الإرضاع الاصطناعي

كثرة الوفيات وبخاصة الوفيات الناجمة عن الإنتانات وسببها عدم التعقيم الجيد، ومنها أيضاً وفيات الفجأة غير معروفة السبب، وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية العام ١٩٩٠م، بلغ عدد هذه الوفيات أكثر من عشرة ملايين طفل، وقد اعتبرت هذه المنظمة أن الحليب المجفف هو القاتل رقم (١) لأطفال البلدان النامية.

وقد يسبب حليب البقر والغنم حالات من عدم التحمل والتحسس، لعدم قدرة معدة الطفل على هضم البروتينات الموجودة فيهما.

كما قد يُحدث سوء امتصاص، أو يؤدي للإسهال والإقياء.

وقد يُحدث الإرضاع بالزجاجة «القارورة» تشوهات: أنفية، فكية، حنكية، سنية. إنه لا حليب أنسب لفلذات أكبادنا من حليب أمهاتهم، لهذا كله نشهد اليوم ردة إلى الإرضاع من الثدي الذي أوصانا به القرآن العظيم قبل ألف وأربعمئة سنة.

وفصاله في عامين

يقول الطبيب عبدالعزيز إسماعيل : «... قد تغيرت النظريات الطبية في هذه الفترة، فقد كان أغلب الأطباء ينصحون بالرضاعة مدة تسعة أشهر فقط، ولكن آخر تقرير في سنة ١٩٩٠م عن فائدة الرضاعة الطبيعية للجسم والأسنان يذكر أن: مدة الرضاعة يجب أن تكون فوق السنة، ويستحسن مما لا شك فيه أن تكون سنتين كاملتين».

اقرأ على مهل قوله تعالى: (وفصاله في عامين) لقمان:١٤، وقوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣، وهما آيتان كريمتان تشيران إلى أن المدة المثلى للرضاعة هي عامان، ثم أخبرني عن أي خلاف بين تقرير القرآن في القرن السابع الميلادي، وتقرير العلم في القرن العشرين!!

وحمله وفصاله ثلاثون شهراً

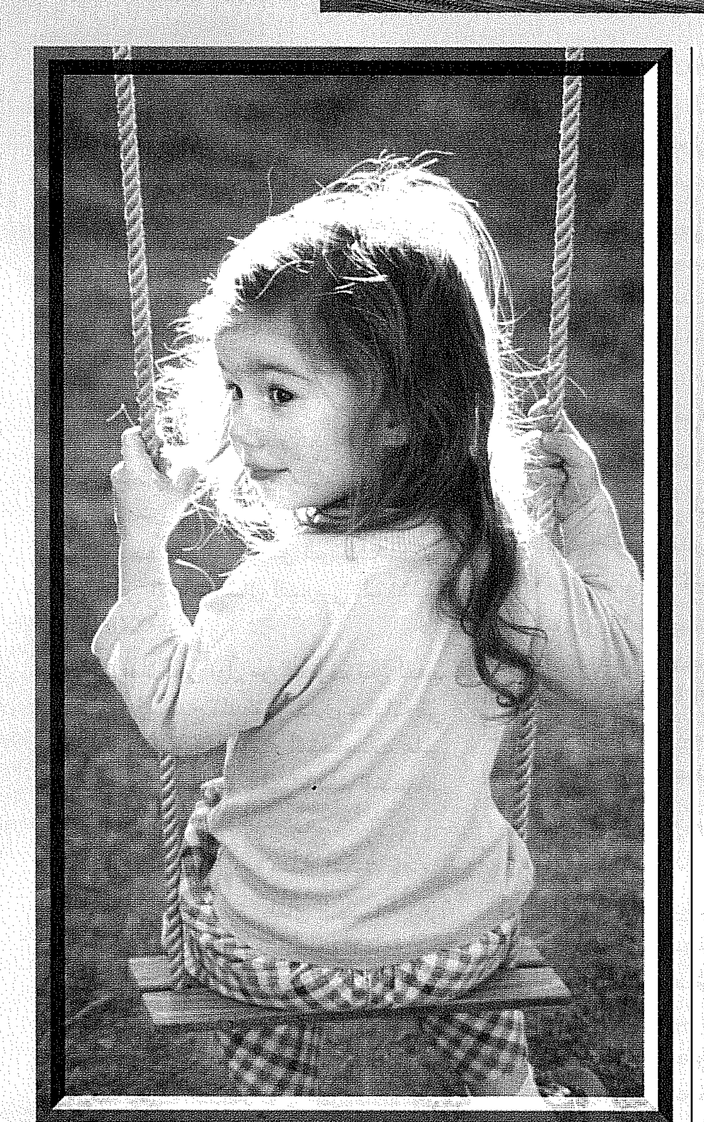
يقول تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاف:١٥، والفصال هو الفطام. وجاء في القرآن العظيم: (حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) لقمان:١٤، وجاء أيضاً (الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣.

فإذا ما أسقطنا - في عملية حسابية بسيطة - مدة الرضاعة الكاملة التي هي حولان (أي ٢٤ شهراً) من ٣٠ شهراً التي هي مدة الحمل والرضاعة الكاملة، فإنه يبقى للحمل ستة أشهر، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا ولد بتمامها، وقد دخلت التجارب فعلاً على أن الجنين الذي يكون عمر إخصابه أقل من ٢٢ أسبوعاً نادراً ما يعيش.

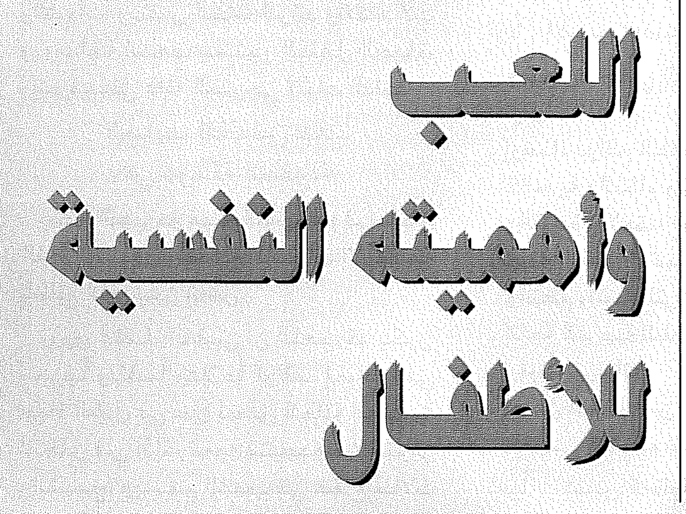
وعلى هذا الفهم اعتمد الإمام علي والصحابي ابن عباس - رضي الله عنهم جميعاً - في تقرير رجم من عدمه لحامل ولدت لستة أشهر، وهذا الفهم لتقدير أقل مدة للحمل تقرره كتب التوليد اليوم، وبه يأخذ القانون والقضاء. ■

الهوامش :

١ - ميّا (أو معى)، وجمعها أمعاء ومعي.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص ٤٦٩.
- كتاب العوبي «من أسرار الحياة»، د. عبدالمحسن صالح، ص١٩٥ - ٢٠٥.
- تفسير الجواهر، ج١، ص١١ و ٢١٣.
- صفوة التفاسير، د. محمد علي الصابوني، سورة الحج، ص٢٨٥.
- مع الطب في القرآن، د. أحمد قرقوز، د. عبدالحميد دياب، ص ٩٩.
- الإسلام والطب الحديث، د. عبدالعزيز إسماعيل.
- الطب النبوي والعلم الحديث، د. محمود ناظم النسيمي، ج٣، ص ٣٦٤.



بقلم : د. عبدالرزاق السباعي



يعتبر اللعب أساس النمو العقلي والنفسي لدى الأطفال، وقال البعض «الطفل الذي لا يلعب فاقد للحياة» وقد لازمت اللعبة الإنسان منذ أقدم العصور، ووجد علماء الانثروبولوجيا في مصر أن الدمية «العروسة» قد وجدت حتى في العصر الفرعوني، ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقيم سباقاً للخيل وكان يسمح للأحباش أن يلعبوا بالحراب في مسجده ويشجعهم قائلاً «دونكم يا بني أرفده» صحيح مسلم، وكان الصحابة في عهد الرسول يتبارون برمي السهام بعد صلاة المغرب، وكانت هذه عادة لهم، وفي العصر الحاضر نجد أن اللعب هو الوسيلة الأكثر شيوعاً في الاستعمال اليومي للتنشئة الاجتماعية.

ويعتبر أفلاطون أول من اعترف بأن للعب قيمة علمية ويتضح ذلك من خلال مناداته في كتاب «القوانين» لتوزيع التفاحات على الصبية لمساعدتهم على تعلّم الحساب وبإعطائهم أدوات عمل مصغرة.

أهمية اللعب في مرحلة الحضانة

يسود اللعب في حياة أطفال الحضانة وعن طريق اللعب يمكن أن يتقدم نمو الطفل في جوانبه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، ويحفل اللعب بالكثير من المواقف التي يمكن أن يتعود فيها الطفل على العلاقات ثنائية الاتجاه تلك التي تقوم على الأخذ والعطاء ويحكمها نظم وقواعد، واللعب له دور حيوي في الصحة النفسية للطفل، ويساعد اللعب في تجديد الطاقة والحيوية والشباب، وينفس الطاقة الزائد والانفعالات وبوساطة اللعب يختبر الطفل الحياة، ويتعرف على عالمه الخارجي لإثبات الذات.

الجانب النفسي للعب في مرحلة الطفولة

يعتبر اللعب هو مهنة الطفل، أنه في سياق اللعب تتشكل وتتضح السمات الأساسية للطابع الذي يميز الطفل.

ويرى علماء النفس أن اللعب قد يكون مخرجاً ومنفساً وعلاجاً لمواقف إحباطية في حياة الطفل في حين تنطلق الطاقة العصبية للطفل في أثناء لعبه فتبعده عن التوتر والتهيج، ويسهم اللعب في علاج حالات نفسية متنوعة، فالأطفال المنسحبون والمنعزلون عن طريق اللعب يمكن إشراكهم ودفعهم إلى إنجاز عمل ما من خلال اللعب وهنا يصبح اللعب من عوامل نموهم الاجتماعي.

ويقول المحللون النفسيون إن اللعب هو الطريق الأفضل للكشف عن مشكلات الطفل كما أنه وسيلة لفهم الطفل ودراسة سلوكه ومشكلاته وعلاجها.

الجانب التربوي للعب في مرحلة الطفولة

يتسنى للمربي في أثناء لعب الأطفال أن تكون لديه الفرصة لتوجيه اهتمام الأطفال إلى الظواهر التي لها قيمة تربوية.

وعن طريق اللعب يستطيع المربي أن يؤثر على كل جوانب شخصية الطفل فيستغل اللعب كوسيلة للتربية العقلية وتطوير الكلام لدى الطفل، وبذلك يصبح اللعب مدرسة يكتسب فيها قواعد وعادات وسلوك الأفراد.

الجانب الاجتماعي للعب في مرحلة الطفولة

تقول المربية السوفييتية «ن.ك. كروبسيكا» إن الطفل يكوِّن أصدقاء من خلال اللعب ويبدأ في تعلّم بعض العادات والقيم الاجتماعية في لعبه معهم، وتظهر روح التعاون بين أفراد اللعبة، بل يكوِّن صداقات جديدة من خلال لعبه ويكوِّن علاقات اجتماعية مع رفاق اللعبة الواحدة.

الأسس العامة لصناعة اللعب والألعاب

أولاً : الأسس النفسية

يجب أن تراعي اللعبة ما يلي عند تصنيعها:

- إرضاء دوافع الطفل وحاجاته النفسية كالحرية والنظام والأمن، الحل والتركيب والقيادة والاجتماع.
- تهيئة الطفل لاكتساب القدرة على التلقي والتعلم وتنمية التركيز كاللغة والحركة.
- إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن حاجاته وميوله ورغباته.
- تمكن الطفل من التعرف على واقعه النفسي والتحكم فيه.

ثانياً : الأسس العقلية :

يجب أن تمكّن الطفل من تطور قدراته وطاقاته العقلية والإدراكية وتضمن ما يلي:

- تنمية القدرة على الفهم.
- تنمية الحواس وتدريبها على الإدراك والتعقل.
- توفير فرص الابتكار والإبداع.
- تنمية قدرة الطفل على التفكير المستقل.
- توفير فرص الانتقال من العمليات العقلية إلى نواحي النمو المختلفة.

ثالثاً : الأسس الاجتماعية

- تراعي الانتقال من الفردية إلى الجماعية.
- المشاركة الوجدانية والتضامن والمنافسة
- القيام ببعض الأدوار الاجتماعية
- الانتقال من الفردية ا لسلبية إلى الروح الجماعية الإيجابية.

كيف نستفيد من لعب الطفل ؟

١ - استخدام اللعب في التشخيص.

يستخدم اللعب كأداة لتشخيص الأطفال المصابين بالاضطرابات النفسية ولذلك تجهز حجرة اللعب عند الطبيب النفسي للطفل بألعاب متنوعة الشكل والحجم لتمثل الأشخاص والأشياء المهمة في حياة الطفل، ويستغل علماء النفس والمشتغلون بالصحة النفسية طريقة اللعب في التشخيص ثم يبدأون العلاج بملاحظة سلوك الطفل وانفعالاته وقدراته لتقويم سلوكه والكشف عن مشاكله من خلال ما يسجله في أثناء لعبه.

٢ - استخدام اللعب في العلاج.

الطفل في حاجة للتخلص من المخاوف والتوترات التي تخلقها الضغوط المفروضة عليه من بيئته ومن الطرق الفعّالة للعلاج النفسي ما يعرف بأسلوب العلاج باللعب وقد تحدث كثير من علماء النفس عن أهمية اللعب بالنسبة للطفل فيرى «غارى لاندرث» ١٩٨٣م أن اللعب بالنسبة للطفل هو كالتعبير اللفظي بالنسبة للبالغ وأنه وسيلة لاكتشاف العلاقات ووصف الخبرات والإفصاح عن الرغبات وتحقيق الذات تحقيقاً كاملاً.

وقيمة اللعب لا تكمن في نوعية المادة التي صنعت منها، بل تكمن في الأبعاد التربوية التي تهدف إليها، والقيم التي تحملها ومدى قدرتها على إشباع حاجات الطفل النفسية. ■

العروس

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

قد كان مجلسنا مليئاً بالبهجة في ملتقانا الأسبوعي نتسامر فيه بعض الوقت ونناقش المشكلات التي قد تعرض هذه بعض منتقاتها من قراءات استرعت انتباهها، وتمزح أخرى بمزاح بريء نقي وكانت هي أصغر الحاضرات سناً، إنها فتاة رقيقة وديعة مرحة لا تفارق الابتسامة شفتيها، ولكنها كانت هذه المرة على غير عادتها شاردة مجهدة غير متجاوبة مع المجلس تجيب على كلمات الصديقات بردود مختصرة وبدت وقد تخلى عنها المرح.

وتعجبت من حالها وخشيت أن يكون قد أصابها مكروه فسألتها عن سر هذا التغيير فأجابت إحدى الحاضرات:

ألا تعلمين... إنها تستعد للزفاف خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

- فقلت متعجبة... وهل هكذا يكون حال العروس؟ إنها لابد وأن تكون في أسعد حالاتها الآن.

- وسألت هل أنت غير راضية عن هذا الزواج؟

- فأجابت على العكس يا سيدتي، إنني موافقة وكنت سعيدة جداً بهذا الزواج، فزوجي رجل طيب بار عطوف، ولكن عندما اقترب الزفاف وتحدد الموعد وجدتني يستبد بي القلق والخوف وتحاصرني أفكار وتساؤلات كثيرة لا أجد لها إجابة.

علاقات زوجية

- فقلت: قلق وخوف من ماذا؟

قالت: من زواجي وزوجي المنتظر... إنني مقبلة على حياة جديدة ورجل غريب لم أعتده حتى الآن، ولا أعرف كيف أتعامل معه وأخشى أن أسيء في نهجي معه.

لا أدري هل أكون طوع يده أطيعه في كل أمر كخادم مطيع وأغدق عليه من حناني، ورعايتي وأحيا في ظله راضية بما يجود به عليَّ من وقت ورعاية؟ وإن فعلت ذلك، ألا يمكن أن يكون هذا مدعاة لسيطرته عليَّ وتحكّمه في مصيري، أم أكون حذره في التعامل معه أعطيه الاهتمام والود بمقدار...

وأشفقت على الفتاة فقاطعتها قائلة: رفقاً بنفسك يا صغيرتي... إنك تتحدثين وكأنك تستعدين لحرب طاحنة لا للزواج برجل اخترتيه ورضيت به زوجاً وشريكاً لرحلة العمر.

- وتدخلت إحدى الحاضرات قائلة: معها حق يا أختاه فالرجال يتباينون في طباعهم وما يصلح به أحدهم يفسد الآخر فكم سمعنا ونسمع كل يوم عن أنواع من الرجال يسببون لزوجاتهم الشقاء رغم صلاح الزوجة ومع ذلك فإنني لا أنكر أبداً أنه يحدث أحيانا العكس.

وأخذت كُلٌ من الحاضرات تدلي بدلوها في هذا الموضوع وكثيراً منهن كن متحاملات على الرجال أكثر مما ينبغي وتعجبت من أمرهن فإن كانت هذه هي نظرة خيرة النساء وأكثرهن ثقافة وإلماماً بأمور دينهم، ودنياهم فكيف حال من هن دون ذلك؟! وكيف يكون حال هذه الصغيرة التي تخطو أولى خطواتها مع الحياة الزوجية؟

ولكن لا عجب فمنذ فترة طويلة هاجمت مجتمعنا هذه العاصفة من الأفكار الغربية وحاول البعض إكساب العلاقة بين الرجل والمرأة صفة الندية والمنافسة والتصارع، بل العداء أحياناً، وقد أسهمت بعض وسائل الإعلام بشكل واضح في هذا المجال، والحق أنها أفكار شاذة وغريبة أدخلها علينا البعض لغرض في نفس يعقوب، وبدأت حديثي معهن برفق.

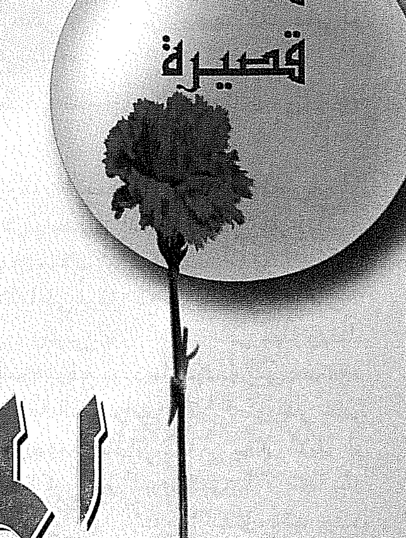
منذ متى يا أحباب كانت العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة الندية والعداء؟ وكيف يكون ذلك وقد وصفها الله في كتابه العزيز بالود والرحمة فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)، وقد قدم عز وجل المودة في السياق لأنها تخلق الرحمة في النفس، وكم أوصى الرسول - ﷺ - الرجال بالنساء في كثير من الأحاديث كقوله - ﷺ - «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وقوله: «إني أحرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة»، كما أوصى النساء بطاعة الزوج والمحافظة على راحته وقال للمرأة: «فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك»، وقال أيضاً: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه».

فكيف نتناسى كل ذلك ونبعد في تعاملنا عن منهج الله، وتوجهت بحديثي إلى العروس قائلة:

يا فتاتي إن العلاقة بين الزوجين ليست لغزاً كما تتصورين، إن مفتاح السعادة بينهما هو الالتزام بمنهج الله فلا تبخلي عليه بالمودة وإياك أن تتوقعي أنك ستتزوجين بملاك نُزعت أجنحته فهو لا يخطئ وليس به عيب ولكن تعلمي أن تتعاملي برفق مع عيوبه وتحتوي هفواته مادامت لا تمس حق الله تعالى، وكوني عوناً له على أمر دينه ودنياه ولا تجعلي التعود وطول العشرة يرفع بينكما الكلفة إلى حد فقد الاحترام، فإن هذا خطأ تقع فيه الكثيرات، ولكن احرصي على الاحتفاظ دائماً بقدر من الاحترام يمنع كل منكما أن يهين الآخر أو أن يجرح مشاعره ولو بالمزاح وتذكري قول المرأة العربية لابنتها عند زواجها: «كوني له أمة يكن لك عبداً»، ونظرت إلى الفتاة وقد برقت عيناها بطمأنينة ترجمتها إلى ابتسامة علت وجهها البريء وتركتها بعد أن دعوت لها بالحياة الطيبة الهادئة في زواجها المبارك. ■

المولود السادس

قصة قصيرة



بقلم: د. إبراهيم طالب عيسى

الساعة تقترب من الثانية بعد الظهر وبدأ الدكتور أحمد طبيب الوحدة الصحية الريفية في إحدى قرى «محافظة دمياط» والعاملون بالوحدة يستعدون لإنهاء عمل اليوم، حينما دخل عامل الوحدة حجرة الطبيب وأخبره بأن هناك سيدة ترجو استشارته في أمر مهم... سمح لها الطبيب بالدخول...

وإذا بسيدة في الثلاثينات من عمرها، متوسطة الطول، يبدو على وجهها القلق والاضطراب، ويبدو من مظهرها أنها ربة منزل متوسطة الحال، تصحبها إحدى جاراتها :

السلام عليكم يا دكتور

وعليكم السلام ... خيراً ؟!

أريد محادثتك في أمر مهم وأرجو أن تعينني عليه ما استطعت!

أي خدمة !

إن لي من الأبناء خمسة ... وأنا الآن حامل أعتقد أنني تخطيت الشهر الثالث ... وحالتنا المادية رقيقة ... وأنا أريد أن أتخلص من هذا الحمل بأي وسيلة حتى نستطيع الإنفاق على أبنائنا !!

إذا كنت لا ترغبين في الحمل واكتفيت بخمسة من الأبناء، فلماذا لم تستخدمي وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة مسبقاً ؟!

جهل يا دكتور ... جهل، فزوجي الفلاح لم يبصّرني بذلك! وعمله اليومي لا يتعدى المسافة من الحقل إلى البيت... أرجوك يا دكتور... أنقذني!

إنني أسمع عن حقن وأدوية تؤدي إلى الإجهاض فصفها لي حتى أستعملها وأرتاح! لقد حاولت من تلقاء نفسي أن أتخلص منه بالعمل الشاق وحمل أشياء ثقيلة... ولكن دون جدوى!

الحمد لله أن الجنين لم يسقط ... واعلمي يا سيدتي أن إسقاط الحمل حرام طالما لا يوجد مبرر شرعي لإسقاطه، واحمد الله أن صحتك في الحدود الطبيعية... والله سبحانه وتعالى هو الذي تكفّل برزق عباده، فهو القائل: (وفي السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) الذاريات : ٢٢ ـ ٢٣، ولذلك لن أساعدك بأي حال من الأحوال على إسقاط الجنين لأن ذلك في مثل حالتك جريمة، وأكون مشتركاً معك فيه !!!

خرجت كريمة زوجة عبدالجواد سعيد بصحبة جارتها سميرة من الوحدة الصحية مهمومة وقد ألقى الاكتئاب بأثقاله على كاهلها، فقد استحوذت عليها فكرة التخلص من الجنين، وقد قطع الدكتور أحمد حبل الأمل في مساعدتها على ذلك، ولكن شبح الفقر جاثم على منزلها، لقد سئمت تكرار الحمل والإرضاع، ولم تعد تتحمل مجرد فكرة إنجاب طفل جديد لتربيته والإنفاق عليه، فالغلاء فاحش ومستقبل البلد لا يبشر بخير!!

وأثناء سيرها قطعت عليها جارتها سميرة صمتها الكئيب قائلة:

لا تحملي هماً يا كريمة... عندي فكرة للتخلص من الجنين ؟

وما هي ؟!

ألم تسمعي عن الدكتور مجدي ؟ إنه دكتور مشهور في «دمياط» يقوم بإجراء عمليات تفريغ «إجهاض» لمن ترغب في ذلك، كل ما في الأمر هو تدبير المبلغ المطلوب وتكتبين إقراراً أنت وزوجك بالموافقة على عملية الإجهاض، ويكون الموضوع سراً ... وينتهي الأمر!!

وكيف أقنع زوجي بالموافقة على ذلك؟ أو تدبير المبلغ المطلوب؟... على أي حال سأفكر في الأمر، وسأجاهد ما استطعت !

استطاعت كريمة أن تؤثّر على زوجها عبدالجواد سعيد وتقنعه بتدبير المبلغ المطلوب لتغطية نفقات العملية والعلاج، وقد حدد لها الدكتور مجدي ميعاد العملية!! كان اليوم يوم الخميس، السماء ملبدة بالغيوم، والبرد يلسع الوجوه فيجبرها على الانكماش، وكريمة تنظر إلى الأفق البعيد عبر زجاج النافذة، وارتعشت أصابعها وهي تضع يديها على صدرها وقالت: أشعر بأن هناك انقباضاً في صدري والكون ضيق أمامي... ونظرت إلى أهلها وزوجها نظرة غامضة، ولكنها دخلت حجرة العمليات وكأنها آثرت الصمت !!

زوجها ينتظر في صالة الانتظار مع قليل من أقاربها، الوقت يمضي ثقيلاً ساعة... اثنتان... طال الانتظار... قلق! فُتح باب العمليات بحذر، أسرع الأقارب لاستقبال كريمة، لكنهم فوجئوا بحكيمة العمليات وتقاسيم وجهها لم تمهلهم للاستفسار عن كريمة... فقد غطى البكاء والصراخ على كل شيء !

وفي مساء ذلك اليوم الحزين، وبينما كان الدكتور أحمد يؤدي واجب العزاء في فقيدة القرية، فقد أجهش بالبكاء حينما دوى في أذنيه صوت قارئ القرآن وهو يرتل: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الطلاق : ٢ ـ ٣.

سحب الشتاء أشهره بلياليه الطويلة، وبردها القارس، وبدأت براعم الربيع في الظهور، والدكتور أحمد يقوم بعمله في الوحدة الصحية الريفية كالمعتاد... وفي صباح أحد الأيام دخلت عليه طبيبة رعاية الحوامل بالوحدة تخبره عن وجود سيدة حامل في الشهر الثاني، أتت لمتابعة حملها بالوحدة، وتوقيع الكشف الدوري عليها، فسمح لها الدكتور أحمد بالدخول... وأعدّ لها بطاقة المتابعة:

السلام عليكم يا دكتور

وعليكم السلام ... تفضلي واجلسي هنا أولاً حتى أسجل بياناتك في بطاقة المتابعة ... والآن ما اسمك ؟

شريفة عبدالرزاق ...

واسم زوجك ؟

عبدالجواد سعيد !

وبينما كانت يد الدكتور أحمد تكتب اسم الزوج حتى توقفت فجأة وارتجفت، ونهض ببطء من مقعده ... وأدار وجهه حتى يخفي شجا ارتسم عليه ...

وما هي إلا هنيهة قصيرة حتى رفع بصره إلى آية قرآنية معلقة على جدار الحجرة أخذ يتلوها بصوت مسموع، كله خشوع: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء : ٣١. ■

الأثر الصحي لتنظيم الأسرة



بقلم : ليلى محمد محمد

قبل الحديث عن تنظيم الأسرة، نقول :

إن منظورنا للأسرة مهم، باعتبارها اللبنة الأولى في بناء المجتمع والنموذج العلائقي الأول للعلاقات التي تربط الإنسان بجنسه، وكلما كانت الأسرة في وضع مؤهل وقادر على العطاء، كلما كان النتاج أكبر في مسألة التكوين والبناء، ولاسيما بناء الشخصية الشابة وتوازنها النفسي باعتبارها محطة أمان وراحة واطمئنان للناشئ.

وتنظيم الأسرة، سلوك حضاري، يوفر للزوجين الخيار المناسب للتحكم بموعد البدء بإنجاب الأطفال، وعددهم والفترة الفاصلة بين أحدهم والآخر، ومتى يجب التوقف عن الإنجاب، وذلك حسب خصوصية حياة وإمكانات كل زوجين وبموافقتهما معاً، وضمن الإطار الصحي الذي يضمن أفضل مستوى لصحة الأم والطفل، وهو يختلف كلياً عن تحديد النسل.

الأثر الصحي لتنظيم الأسرة



قضايا أسرية

ثمة مبررات لتنظيم الأسرة، كالمبرر السكاني، المتمثل في خفض معدلات النمو السكاني بحيث تتناسب مع النمو الاقتصادي، وهو يتطلب سياسة سكانية خاصة، والمبرر الإنساني، بغية ممارسة المرأة حقوقها كاملة في المجتمع، والمبرر الصحي، لحماية صحة الأم والطفل - موضوع بحثنا - حيث يلعب تنظيم الأسرة دوراً مهماً في تخفيض وفيات الأمومة والطفل(١)، وذلك إنه خلال خفض نسب الحمول عالية الخطورة والتي تدخل المرأة ضمنها من خلال ٤ أنماط خاصة من الحمل :

١ - الحمول المبكرة أو الحمل عند صغيرات السن (دون ١٨ سنة).

٢ - الحمول المتأخرة (فوق ٣٥ سنة).

٣ - الحمول عند عديدات الولادة (أكثر من ٥ ولادات).

٤ - الحمول المتقاربة (أقل من سنتين بين حمل وآخر).

إن العمر وعدد الولادات والفترة الفاصلة بينها تؤثر على مقدرة الأم لحملها حملاً سليماً، ولتؤمن الشروط البيولوجية المناسبة لنمو وتطور جنينها... وكما تفيد نتائج الدراسات في هذا الصدد، أن خفض نسبة الحمول عالية الخطورة، قد لعب دوراً مهماً في خفض معدلات الوفيات في كثير من البلدان التي تنتشر فيها ممارسة تنظيم الأسرة بصورة إيجابية، وقد أظهرت النتائج - أيضاً - أنه يمكن خفض وفيات الأمومة في البلدان النامية بنسبة تصل إلى ٣٠٪ بالممارسة الإيجابية لتنظيم الأسرة، وكذلك يمكن خفض ٢٠٪ من وفيات الطفولة التي تكون أكثر وضوحاً في البلدان النامية.

فوائد تنظيم الأسرة على صحة الأم

تنحصر فوائد تنظيم الأسرة على صحة الأم بالنقاط التالية :

- إن الحمول عالية الخطورة التي يمكن تجنبها بممارسة تنظيم الأسرة، تنتهي بمجالات خطيرة، قد تهدد حياة الأم كالإنسجام الحملي والنزف.
- يساعد تنظيم الأسرة على تجنب الحمول عند السيدات المصابات بمجالات تزداد خطورتها على الحياة في حال حدوث الحمل، كارتفاع التوتر الشرياني والسكري والأمراض القلبية.
- يفيد تنظيم الأسرة في تأجيل الحمل عند الإصابة بأمراض، تستدعي إجراءات خاصة لتشخيصها أو علاجها .(٢)

تأثير العمر والإنجاب على وفيات الأمومة

إن الخطر الناجم عن الحمل والولادات على حياة الأم بزيادة عدد الأطفال الذين أنجبتهم، وكذلك بتقدم العمر... وتظهر الدراسات أن وفيات الأمومة تكون مرتفعة وبخاصة سن الثامنة عشرة، وتنخفض بين سن الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين، ولاسيما بين العشرين والتاسعة والعشرين، في حين لوحظ ارتفاع وفيات الأمومة بصورة ملحوظة بعد الخامسة والثلاثين، وكما تتأثر وفيات الأمومة بعدد الأطفال الذين تم إنجابهم، وتكون مرتفعة عند اللواتي لم ينجبن من قبل واللواتي أنجبن أكثر من ٥ أطفال.

تأثير المباعدة بين الحمول على وفيات الأمومة

تؤكد الدراسات المختلفة، أن وفيات الأمومة تكون مرتفعة عندما تقل الفترة بين ولادة والتي تليها عن سنتين وتزيد عن ٤ سنوات، وفي حين تكون أخفض مستوى عندما تتراوح فترة المباعدة بين ٢ ـ ٤ سنوات، وبممارسة تنظيم الأسرة يمكن الوقاية من كثير من الأمراض الخطرة المتعلقة بالأمومة مثل :

- **النزف** : الذي يحدث في نهاية الحمل والولادة، وتشير الدراسات العالمية، إلى أن الإصابة بالنزف تكون أعلى بثلاث مرات لدى اللواتي أنجبن أكثر من ٥ أطفال مقارنة بالأخريات.
- **الداء السكري** : وترتفع نسبة الإصابة به عند العديد من الحوامل مع قليلات منهن.
- **فرط التوتر الشرياني** : وتزداد الإصابة به عند الحمل الأول الباكر قبل ١٨ سنة وعند كثيرات الحمل ولا سيما في سن متقدمة.
- **سوء التغذية وفقر الدم** : إن الحمل والإرضاع يزيد من العبء الغذائي الذي يتحمله جسم الأم، متطلباً زيادة في الوارد الغذائي من الحريرات والبروتينات والفيتامينات المختلفة والمعادن... إلخ.

فوائد تنظيم الأسرة على صحة الطفل

إن الحمول المتقاربة والمتعددة والتي تحدث في سن الأم الباكر أو المتأخر تزيد حدوث وفيات الأجنة والإسقاط والوفاة في السنة الأولى من العمر.

وكذلك إن وفيات الأطفال في السنة الأولى من الحياة تتضاعف إذا تمت ولادتهم خلال فترات غير متباعدة تقل عن سنتين مقارنة مع آخرين تمت ولادتهم في فترات متباعدة بين ٢ ـ ٤ سنوات، كما تفيد نتائج الدراسات أن وفيات الأطفال تكون في أقل معدلاتها، عندما تكون الأم في العشرينات من العمر وترتيب الطفل هو الثاني أو الثالث، ثم تزداد هذه المعدلات تدريجياً مع كل ولادة إضافية. كما أن عدم اكتمال البلوغ والنضج الجسدي عند الأمهات الصغيرات السن ولاسيما في حال عدم اكتمال نمو عظام الحوض، هو أهم سبب لارتفاع الخطر على حياة الأطفال لدى الأمهات الصغيرات السن، ناهيك عن عدم اكتمال النضج العاطفي الذي يسمح للأم بتلبية الاحتياجات العاطفية والنفسية لطفلها.

إلا أن التساؤل : «ما أثر اختلاطات الحمول عالية الخطورة على صحة الطفل والتي يمكن تجنبها بتنظيم الأسرة؟» ويمكننا تلخيصها بالتالي:

نقص الوزن عند الولادة

وهي أن يكون وزن المولود ٢٥٠٠ غ أو أقل، والتي تعتبر مسؤولة عن ٧٦ في المئة من وفيات الأطفال في الشهر الأول من العمر.

ويزداد معدل نقص وزن الولادة عند الحمل بأعمار تقل عن ١٨ سنة وعند عدم المباعدة بين الحمول.

سوء التغذية للطفل

وتفيد الإحصاءات بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة المتخصصة بالطفولة، أن الحمول المتقاربة تؤدي لسوء تغذية الطفل الأول، حيث ينقطع الإرضاع الطبيعي في مرحلة باكرة «وقد أكدت منظمة الصحة العالمية أهمية إرضاع الطفل من والدته حتى السنتين من العمر، مع إضافة الأغذية المكملة تدريجياً دون الانقطاع عن الإرضاع»(٣).

وكذلك، تسهم هذه الحمول المتقاربة في حدوث سوء التغذية عند الطفل الجديد لنقص المدخرات الغذائية وإرهاق جسم الأم بعد الحمل السابق القريب.

- **الأمراض الإنتانية** : إن أطفال الأسر الكبيرة أكثر عرضة للإصابة بالأمراض الإنتانية نتيجة لانتشار العدوى بين الأخوة في الأسرة الواحدة.
- **الأمراض الخلقية** : يزيد معدل خطر إصابة الطفل بالمنغولية (٦ ـ ٨) مرات عن المعدل العادي، عندما تحمل الأم ويزيد عمرها عن ٣٥ سنة.

درجة الذكاء والتحصيل الدراسي

أثبتت دراسات علمية عدة أن معدل درجة الذكاء والتحصيل الدراسي، يتناقص بزيادة حجم الأسرة، وتأخير ترتيب الولادة وقصر فترة المباعدة بين الحمول ويزداد ذلك وضوحاً باختلاف نضج الطبقة الاجتماعية والاقتصادية، ويعود ذلك لعوامل عدة تتعلق بشروط النمو والتطور في المرحلة الجنينية وتوافر الرعاية الوالدية وتوفر الإمكانات المادية الضرورية لتطور الملكات الحسية والعقلية عند الطفل. ■

الهوامش :

١ ـ تشير الدراسات إلى ارتفاع عدد وفيات الأمهات ـ لأسباب ذات علاقة بالحمل والولادة ـ والتي تقدر بـ ٥٠٠ ألف وفاة كل عام، وتقع ٩٩ في المئة منها في البلدان النامية.

٢ ـ مساعدة الأزواج الذين يرغبون بإنجاب الأطفال ـ الذين يعانون مشاكل معينة سببت عقمهم ـ على إنجاب الأطفال الذين يرغبون بإنجابهم.

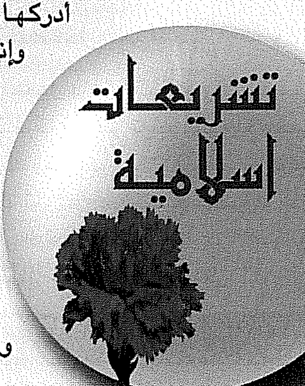
٣ ـ تفيد دراسات منظمة الصحة العالمية، أن نصف النساء غير الحوامل وثلثي الحوامل في البلدان النامية مصابات بفقر الدم أي بعوز الحديد وتزيد سوء الحال الغذائية لدى هؤلاء النسوة تكرر الحمول لفترات متقاربة.

لماذا شرع الإسلام الحجاب؟

بقلم : محمد عودة السلمان

الحجاب من أهم القضايا الاجتماعية التي أكدها الإسلام وأصرّ على تطبيقها في كل المجالات، وقد وقف الإسلام من الحجاب أروع موقف عرفته البشرية في تاريخها الطويل خلال المراحل التي مرّ بها بمختلف الأشكال وشتى التطورات، فكانت الصيغة التي قدمها الإسلام في هذا المجال منسجمة مع واقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها، وشأن الإسلام في كل قضية يطرحها ويحاول أن يطبقها على حياة الإنسان بالأسلوب الذي يتلاءم مع سائر الجوانب الحياتية، ويتفق معها في تسيير الموكب البشري نحو التكامل والرقي وتحقيق الأهداف العليا التي يرنو إليها الإسلام.

وليست مسألة الحجاب حديثة العهد ولا مما اخترعه الإسلام في تاريخ الإنسان كما يبدو للبعض، بل تمتد جذورها الاجتماعية والنفسية إلى أعماق التاريخ، فهي من أوليات القضايا التي أدركها الإنسان ومارسها في حياته، وإنما كانت الدوافع على ذلك تختلف من جيل إلى جيل، ومن أمة إلى أخرى، وكذلك الأساليب التي كانت تتبع في مجال التطبيق مختلفة حسب اختلاف الأعراف والتقاليد، إلا أن أصل القضية له واقع واحد مشترك في جميع المظاهر والحالات.



ومن الطبيعي أن تحدث هذه المسألة منذ أن عرف الإنسان نفسه وتطلع إلى ما حوله من الموجودات وعرفها، وبنى على تكوين صلة بينه وبين غيره.

غير أن الإسلام أعطى للمسلمين صورة أخرى وصاغها على أساس قويم يبقى مستمراً مع مختلف الأجيال والظروف حتى تتمكن المجتمعات البشرية كلها مهما ارتقت وتكاملت مادياً ومعنوياً من مسايرة رأي الإسلام في هذا الصدد.

وبالرغم من أن الموضوع يحتل مستوى عالياً من الأهمية في نظر الإسلام، فإنه لم يدرس كثيراً وبشكل واضح ومعمق دراسة مستوعبة من قبل الكتّاب والمفكرين الإسلاميين، ولم يبرز رأي الإسلام وفلسفته الخاصة في الحجاب، بصورة تجمع كل القضايا والجوانب المرتبطة بالموضوع، وبحيث يوازن بين النظرية الإسلامية وغيرها من النظريات بالنسبة إلى ستر المرأة وحجابها، ومن هنا أخذ أعداء الإسلام ومناوئوه من الذين يتربصون به الدوائر، يغتنمون أمثال هذه الفرص لشن الحملات العنيفة ضد الحجاب الإسلامي، ويطرحون الموضوع بالشكل الذي يحقق أهدافهم ويصور للقارئ أن الحق معهم تماماً، وأن الإسلام ظالم للمرأة في رأيه، مجحف في حقها، غاصب لحقوقها الإنسانية، مانع لها عن التقدم الاجتماعي، مع أن الإسلام على عكس ما يصورونه هؤلاء في جميع قوانينه وأنظمته.

وقد كان الحجاب موجوداً في بعض المجتمعات الجاهلية السابقة على الإسلام، كالمجتمع الفارسي القديم، والمجتمع اليهودي، وربما كان في المجتمع الهندي، وأما الجاهلية العربية، فلم تكن تعرف عن الحجاب شيئاً إلى أن بزغ فيها فجر الإسلام وتعرفت عليه للمرة الأولى في تاريخها.

ويذكر المؤرخون أن الحجاب السائد في تلك المجتمعات القديمة كان أصعب بكثير من الحجاب الذي فرضه الإسلام، يقول «وول ديورانت»: فلو أن امرأة نقضت القانون في المجتمع اليهودي، بأن خرجت إلى الرجال دون أن تغطي رأسها أو أنها اشتكت إلى رجل أو رفعت صوتها في دارها وسمعها جيرانها كان لزوجها الحق في أن يطلقها دون أن يدفع مهرها.

ولعل الأمر كان أشد من ذلك في المجتمع الفارسي القديم، فقد بلغ فيه الضيق بالمرأة ذات البعل إلى درجة بحيث يحرم عليها النظر إلى أبيها وأخوتها وكذلك يحرم عليهم النظر إليها.

وكذلك في المجتمع الهندي كان أمر الحجاب وحدوده عسيراً جداً بالنسبة إلى المرأة، إلا أن التاريخ لا يوضح لنا بداية نشوء الحجاب فيه، وهل انه كان سابقاً على الإسلام أو أن الحجاب انتشر فيه بعدما جاء الإسلام؟ لكن الشيء الثابت هو أن الحجاب كان يتحكم فيه على المرأة بأشد مما يفرضه الإسلام ويحدده.

وهناك اتجاهات عدة في تفسير الحجاب والكشف عن السبب الباعث على حدوثه في المجتمعات الإنسانية، على العكس من

المجتمعات الحيوانية التي لا شعور فيها بضرورة وجود حائل بين ذكرها وأنثاها، وقد سعى أعداء الإسلام إلى استغلال هذه الاتجاهات لضرب الحجاب الإسلامي عن طريق نقدها، من دون أن يفترق لديهم رأي الإسلام عن غيره ومن دون أن يعيروا اهتماماً لما أوضحه الإسلام بروحه ونصوصه من المصالح الفردية والاجتماعية التي ابتنت عليها نظرية الحجاب الإسلامي، ولذا نرى أن أكثر هذه الاتجاهات تحاول أن تطبع الحجاب بطابع الظلم للمرأة والجهل لحقوقها، وسوف نرى أنها إما لا أثر لها أصلاً في سن الحجاب أو أنها غير ملحوظة في التشريع الإسلامي.

الاتجاه الفلسفي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الحجاب نابع من فكرة الرهبنة الفلسفية، انطلاقاً من أن المرأة أكبر أداة لالتذاذ الرجل في الحياة، فلو أتيحت له الإباحية المطلقة وارتفع الستر عن المرأة لتحول المجتمع إلى مجتمع فاسد منهمك في اللذات، وهذا ما يناقض فلسفة الرهبنة التي تؤكد رفض الاستمتاعات المادية بكل نواحيها في الحياة رفضاً باتاً.

ومن الواضح أن الإسلام لم يستند في أي تشريع من تشريعاته إلى هذه الفكرة، ولا هي تطابق روحه ونصوصه الشريفة، وليس من شك في أن الإسلام حارب الفكرة بشتى الوسائل، وما أكثر النصوص القرآنية والنبوية والمواقف المشرّفة التي كان يتخذها قادة الإسلام الحقيقيون لتأكيد النظافة وتقصير الشعر والتدهين واستعمال العطر، إلى غيرها من مظاهر الاستمتاع بلذائذ الحياة وزينتها التي أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق.

هذا في مجال الحياة الاجتماعية، وأما في مجال الحياة الزوجية فلم يفسح المجال للزوجين لاستمتاع أحدهما بالآخر فحسب، وإنما أكد كثيراً على ذلك ورغّب فيه، واتخذ لذلك أنماطاً متعددة من السلوك يربي عليها الزوجين وينمي على أساسها علاقة أحدهما بالآخر.

الاتجاه الاجتماعي:

يفسر هذا الاتجاه مسألة الستر والحجاب بأن النهب والسلب والاعتداء على أموال الضعفاء من الناس وأعراضهم من قبل ذوي القدرات والإمكانات أمر شائع في المجتمعات البدائية، ولذا اضطرت الجماعات المستضعفة إلى إخفاء أموالها ودفنها في الأرض، وكذلك ستر نسائها وإخفائهن عن الأبصار خوفاً على عفافهن.

وهذا الجانب أيضاً غير ملحوظ في تشريع الإسلام للحجاب، فالنصوص الإسلامية الصادرة في هذا الصدد لا تتعرض له إطلاقاً لا تصريحاً ولا تلميحاً، أضف إلى ذلك أن التاريخ لا يحدثنا بأن الجاهلية العربية كانت تعيش أزمة نهب واعتداء على أموال الناس وأعراضهم، في الوقت نفسه الذي لم تكن تعرف شيئاً عن الحجاب.

الاتجاه الاقتصادي:

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المبرر الرئيسي لنشوء مسألة الحجاب هي فكرة استثمار طاقات المرأة واستغلال قواها على أكبر قدر ممكن من منافعها الاقتصادية، ولذا كانوا يحبسونهن في البيوت.

و الفكرة خاطئة جداً، فعواطف الرجل تجاه زوجته والعلاقة الزوجية التي تشده إليها تمنعه من أن يفكر في استملاكها ولا تسمح له بالتغلب عليها بقصد الاستغلال اقتصادياً، ولا ننكر في الوقت نفسه ظلم الرجل للمرأة واستغلالها أحياناً عندما تضمر العاطفة، وتبرز العصبية والجهالة، إلا أن هذا لا يكون مبرراً لأن تتخذ هذه كظاهرة عامة، وأما الإسلام فبالإضافة إلى أنه لم يلاحظ هذا الجانب في تشريعه للحجاب، فقد حارب الفكرة من أساسها، وأعلن عن حرية المرأة واستغلالها اقتصادياً، ولم يعط للرجل أي حق في أجرة عملها، وحتى في القيام بمهام البيت تكون بالخيار بين أن تتطوع أو تطالب بأجرة إزاءها.

الاتجاه الأخلاقي:

ويرى أن الحجاب أمر خلقته غريزة الحسد الكامنة في طبيعة الرجل، فهو يحب ذاته ويحسد الآخرين، ولذا يسعى إلى إشباعها عن طريق حجب المرأة وسترها.

وقد أخطأ هذا الاتجاه أيضاً في فهم السبب الحقيقي للحجاب، ولم يميز بين غريزة «الحسد» المودعة في طبيعة المرأة، وغريزة «الغيرة» التي أودعها الله في طبيعة الرجل كي يحفظ بها النسل من الضياع، فهي غريزة نوعية اجتماعية وظيفتها حماية النسل البشري، وأما الحسد فهو غريزة شخصية، وحتى لو زال الحسد عن طريق تهذيب النفس، بقيت غريزة الغيرة تقوم بدورها الفعّال، وسنوضح فيما بعد أن الإسلام لاحظ هذا الجانب أيضاً في تشريعه للحجاب.

الاتجاه النفسي:

ويحاول تفسير الحجاب بدافع نفسي للمرأة، فهي تشعر دائماً - عندما تقارن نفسها بالرجل - بالصغار والحقارة، ذلك لنقصها العضوي أولاً، ولابتلائها بالحيض والنفاس ثانياً، ولذا كانت تعد أيام حيضها ونفاسها رجساً يجب التطهر منه، وهذا الشعور النفسي هو الذي جعلها تستر وتختفي عن الرجال.

ولا شك في أن هذا لا يوافق رأي الإسلام، لأنه لا يعد المرأة إلا رجساً أيام عادتها الشهرية، ولم ينه عن معاشرتها، أضف إلى ذلك أن تشريع الحجاب لم يكن على أساس استحقارها أو التقليل من شأنها.

فلسفة الحجاب الإسلامي:

فتح الإسلام لكل من الرجل والمرأة باباً خاصاً يشبعان فيه غرائزهما كيف شاءا داخل الإطار المفروض عليهما، وهي الحياة الزوجية المشروعة، أما في مجال الحياة الاجتماعية فقد حرّم على الرجل حتى النظر إلى أي امرأة أجنبية عنه كما حرّم على المرأة كل الأساليب التي تلفت بها الأنظار إليها وتجذب القلوب

وأوضح ذلك بقوله تعالى: «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور:٣١، ويرى الإسلام في الحجاب الضمان الحقيقي للحصول على مكاسب كبيرة هي:

أولاً : المحافظة على الصحة النفسية للحياة الاجتماعية، ووقايتها من الأمراض الروحية النابعة من الخلاعة والتميع.

ثانياً : توثيق الصلات والروابط الزوجية، وتنشيط العلاقات بين أفراد الأسرة والمحافظة على حرارتها وصيانتها من التفكك والتجزئة، فالحياة الاجتماعية إذا كانت صفواً من أي استمتاع جنسي ولم يفسح المجال لأي من الرجل والمرأة في ممارسة الشهوات وإشباع الغرائز خارج نطاق الحياة الزوجية أصبحت الزوجية آنذاك عش المودة الحقيقي.

ثالثاً : حث الحياة الاجتماعية على التحرك والنشاط واستثمار الطاقات البشرية في إنتاج أكبر قدر ممكن من الخيرات واستخراج الثروات الطبيعية لصالح الإنسانية.

رابعاً : صيانة المرأة من اتخاذها أداة رخيصة ومبتذلة للاستمتاع والاحتفاظ بكرامتها وشرفها في المجتمع لكي لاتقع لعبة دعائية بيد الشركات التجارية التي تستنزف عزها وكيانها الذاتي استنزافاً شرهاً كما نلاحظ اليوم بوضوح.

هذه هي الجوانب التي لاحظها الإسلام في تشريعه للحجاب، علماً منه بأن الغريزة الجنسية عميقة في طبيعة الإنسان، فلو أسلس له القياد في إشباعها، لجرت الويلات على الإنسانية، ولتسربت آثارها السيئة إلى أجيال وأجيال، ولذا فرض على المرأة الحجاب باعتبارها بطبيعتها راغبة في التبرج واستعراض محاسنها أمام الرجال، كما فرض على الجنسين معاً غض الأبصار، وحفظ الفروج، تعديلاً لهذه الغريزة عن الشطط والانحراف، وكم كان الإسلام عميقاً في تصوراته وإدراكاته للطبيعة الإنسانية، حيث فطن إلى أن الغريزة الجنسية لا يمكن إشباعها عن طريق الإباحية المطلقة، بل يزداد بذلك لهيبها وتكثر متطلباتها ولا حد نهائياً لها أبداً، والطلب اللانهائي يواجه الفشل فتتعرض الغريزة للكبت الذي يؤدي للأمراض النفسية كما نشاهد ذلك بالفعل في المجتمعات الغربية.

فليست المسألة إذاً ضياع النسل واختلاطه فحسب كي يعالج ذلك باستعمال الأقراص المانعة عن الحمل - كما فعله الغرب - بل هناك جوانب أخرى وهي الجوانب المذكورة والتي لا تقل أهميتها عن تلك، وينبغي أن يحسب لها حسابها، وهذا ما صنعه الإسلام بتشريعه الفذ للحجاب. ■

زوجة حائرة

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

جلست أمامي منكسرة زائغة العينين والفكر وذهبت في شرود بعيد وكأنها تلملم أشلاء ذكريات بعيدة تناثرت أمام العقل والقلب وأخيراً نطقت... كنت أشعر بمرارة الجرح في صوتها أكاد ألمسها وهي تقول «منذ أول عهد زواجنا تفانيت في إسعاده، ضحيت معه بالكثير ورضيت منه بالقليل ومرت حياتي معه كأنها الحلم، كنت أراعي الله فيه وأرجو رضاه بوده، وقد كان خير زوج نعم... لا أستطيع أبداً أن أنكر ذلك، ولا أستطيع أن أنسى أو أتناسى حنانه وعطفه عليّ وعلى أولادنا... كانت حياتي تسير في هدوء وسكينة وفجأة انقلب كل ذلك رأساً على عقب ودارت الأرض بي وشعرت أن الدنيا تضيق عليّ وتضيق حتى لا أكاد أجد فيها متنفساً، وشعرت بإهانة لم أشعر بمثلها في حياتي... ذلك عندما بدأت أشك في زوجي».

واستطردت قائلة «وكأنها تكلّم نفسها»: يا إلهي أشك في زوجي وكيف ذلك وهو الأخ والأب والولد؟! كيف ذلك وهو الصديق والمعلم؟!... إنني بقدر ما أحبه بقدر ما أحترمه فكيف يكون العمل يا أختاه؟!! لا أدري ماذا أفعل؟ أأهدم بيتي الذي هو كنزي في هذه الحياة؟، البيت الذي حافظت عليه طوال عمري أم أظل أتلظى في نار شكي وحيرتي لا أجد مخرجاً.

كان جرحها غائراً وكنت أعلم أن كلماتي لن تصل إليها، ولكنني لم أعدم المحاولة لأنني أعرفها جيداً وأعرف مدى طهارة قلبها وصدق مشاعرها، وبدأت في المحاولة «إنك يا صديقتي لم تؤكدي أي شيء، فأنت لست على يقين من صحة شكوكك في زوجك ولكن الأمر كله محض شك يدور في ذهنك، فلماذا لا تواجهين زوجك وتصارحينه برفق بما يدور في ذهنك؟ لعل الله يقطع بذلك حبل الشيطان الذي بدأ يلتف حول رقبتك، ولكن كوني حذرة جداً يا أختاه، فالتزمي الهدوء والكلمات اللينة ولا تنسي أبداً أنك قلت إنك تحترمين زوجك بقدر حبك له، واحذري أيضاً أن يلاحظ أبناؤك أي شيء».

كانت تستمع إليّ في صمت وكنت أشعر أن كلماتي محاولة يائسة لأن الشك قد تملّك منها... ولكن على خلاف ظنوني جاءت النتيجة، وجاءتني صديقتي بوجه آخر، عادت إليها الحياة من جديد تتلألأ بابتسامة عهدتها عليه قبل ذلك الأمر، ولكن هذه المرة كانت أكثر إشراقاً وجمالاً، جاءتني تقول: «كنتِ على حق يا أختاه لقد كدتُ أهدم بيتي لمجرد ظنون، وشاية حاقدين استمعت إليهم من دون وعي ... كم كان عطوفاً عاقلاً كعادته قابل غضبي وثورة شكي برفق وأعاد لنفسي الهدوء والثقة لقد كانت أيام مريرة وأي مرارة، أن تفقد الزوجة ثقتها وأمانها بزوجها ولكنها انتهت والحمد لله».

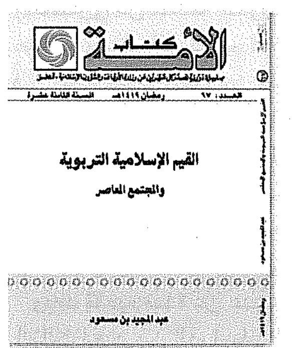
استمعت إليها وأنا أتذكر قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «الظن أكذب الحديث» ومر بخاطري قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

صدقت يا ربنا العظيم في كتابك الدواء وحديث رسولك النجاة والشفاء. لقد انتهى الأمر بين زوجين طاهرين طيبين بالهدوء والمصارحة وكان يمكن أن يتحول الأمر إلى مأساة تهدم بيتاً سعيداً. ■

قضية وحل

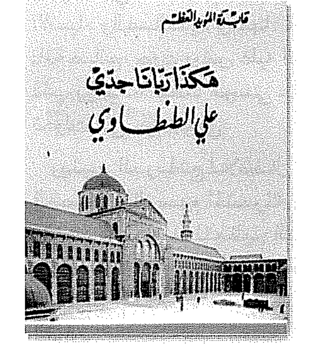


القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر



في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة السابع والستون تحت عنوان «القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر»، للأستاذ عبدالمجيد بن سعود، وهذا الكتاب يعتبر اجتهاداً مقدراً لإعادة النظر في أنساق القيم التربوية التي توجه السلوك واستلهام التراث للإجابة عن أسئلة الحاضر، والنظر في كيفية تنزيل القيم التربوية الإسلامية على الواقع، بحيث يستوعب الحاضر ويعين الموقع المناسب للإقلاع من جديد ضمن الإمكانات المتاحة، انطلاقاً من مرجعية معرفة الوحي، ذلك أن خلود القيم الإسلامية يعني القدرة على الإنتاج في كل زمان ومكان وتوليد رؤى قادرة على انتشال الإنسان من أزمته وتخليصه من الانشطار الثقافي، ولعل أهم المشكلات التي ما نزال نعاني منها، أن العطاء التربوي في الواقع الإسلامي إنما جاء في معظمه صدى للرؤى التربوية الغربية، واستنطاق القيم التربوية الإسلامية في المجالات التي طرحتها تلك الرؤى، سواء في ذلك منهج المقاربة أو المقارنة، بعيداً عن حاجات الأمة الحقيقية، كما أن معظم الكتابات جاءت في إطار التشخيص وبيان الأمراض والقليل جداً حاول وصف الدواء، وبناء سبيل الخروج من الأزمة، والكتاب قدم مسحاً يتيح للقارئ والباحث بعض النوافذ التي تمكنه من رؤية المصادر والمراجع ليكون في صورة الإنتاج التربوي وتحديد المواقع المطلوب ولوجها للوصول إلى المأمول.

هكذا رباني جدي علي الطنطاوي



عن دار المنارة في جدة، صدر حديثاً كتاب «هكذا رباني جدي على الطنطاوي» لمؤلفته «عابدة العظم»، وهو كتاب متميز في موضوعه، لأنه لايقدم نظريات في التربية أو يشرح مبادئ عنها، بل هو حافل بالتجارب العملية والتطبيقات التربوية التي يحتاج إليها المربي في كل يوم.

وهذه التجارب والتطبيقات تستمد قيمتها العالية من كون صاحبها ومبدعها واحداً من أعلام التربية الكبار في العصر الحاضر، فهو «علم من أعلام الأمة في هذا العصر وواحد من رجالاتها الكبار» (كما جاء في مقدمة الكتاب)، وهو مربٍّ متمرس مجرّب عمل على «تربية وتوجيه ثلاثة أجيال، فقد ربى إخوته وأخواته، ثم ربى بناته، ثم أسهم - بشكل فعّال - في تربية أحفاده وحفيداته، بل هو قد عمل على توجيه أجيال من تلاميذه وساعد كثيراً من الآباء بالنصائح التربوية المفيدة على مر السنين» (كما جاء في الفصل الأول من الكتاب).

وقد اكتسب الكتاب قيمة إضافية لأن كاتبته «عابدة العظم» هي حفيدة الشيخ الطنطاوي فهي تروي تلك التجارب وتتحدث عنها حديث العارف بها المعايش لها لا السامع عنها أو المطلع عليها من بعيد.

وقد جمع الكتاب ثلاثين حلقة كانت قد نُشرت قبل ذلك في مجلة المجتمع الكويتية على مدى عام وبعد العام تحت عنوان «لمسات في التربية من جدي الشيخ علي الطنطاوي».

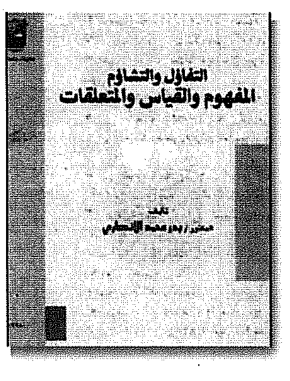
العلاّمة الندوي يفوز بجائزة الشخصية الإسلامية

تبرع العلاّمة الإسلامي أبو الحسن الندوي الذي فاز بجائزة الشخصية الإسلامية للعام ١٩٩٨م التي تقدمها المسابقة الدولية للقرآن الكريم في دبي وقيمتها مليون درهم، تبرع بقيمة الجائزة لأوقاف التعليم الديني في الهند.

وكانت فعاليات مسابقة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم قد اختتمت يوم ١٩٩٩/١/٧م، بحفل كبير شهده ولي عهد دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وعدد كبير من الشيوخ والوزراء وكبار المسؤولين تجاوز الألفي شخص تم خلاله توزيع الجوائز وشهادات التقدير على المتسابقين الذين شاركوا في المسابقة.

ويذكر أن المغفور له الداعية الإسلامي محمد متولي الشعراوي حصل في العام الماضي على جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم وتم تكريمه في حفل كبير شارك فيه بنفسه على الرغم من مرضه وأعلن فور تسلمه الجائزة عن التبرع بقيمتها في أعمال البر والخير لأبناء مصر حيث كانت رحلته للإمارات آخر رحلات مشواره الديني الطويل.

التفاؤل والتشاؤم



صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كتاب جديد بعنوان «التفاؤل والتشاؤم - المفهوم والقياس والمتعلقات» تأليف الدكتور بدر الأنصاري من جامعة الكويت، وهذا الكتاب الذي يقع في ٨٣ صفحة يهدف إلى تقديم التفاؤل والتشاؤم بوصفهما سمتان في الشخصية وذلك من خلال ثلاثة فصول عالجت المفهوم والقياس والمتعلقات، وعرف الكاتب التفاؤل بأنه نظرة استبشار نحو المستقبل تجعل الفرد يتوقع الأفضل وينتظر حدوث الخير ويرنو إلى النجاح ويستبعد ما خلا ذلك على حين عرّف التشاؤم بأنه توقع سلبي للأحداث المقبلة يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما عدا ذلك إلى حد بعيد.

وبعد تقديم نبذة عن عدد من مقاييس التفاؤل والتشاؤم في الفصل الثاني عرض الفصل الثالث لعدد من الدراسات التي هدفت إلى فحص الارتباطات المتبادلة بين كل من التفاؤل والتشاؤم في جانب وغيرهما من متغيرات الشخصية والاضطراب النفسي والمتغيرات الاجتماعية في الجانب الآخر.

«الحيوان في القرآن» باللغتين العربية والإنكليزية على أقراص ليزر

صدر عن دار «سفير» للنشر في القاهرة بالاشتراك مع شركة البرمجيات RDI برنامج «قصص الحيوان في القرآن» على ٦ أقراص ليزر باللغتين العربية والإنكليزية.

يتناول البرنامج قصص الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ودورها في خدمة الأنبياء والصالحين، ومنها: كلب أهل الكهف، ناقة صالح، حوت يونس عليه السلام، فيل أبرهة، ذئب يوسف، عصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى حية تسعى.

ويتيح البرنامج للأطفال إمكان مشاهدة القصص بالرسوم المتحركة باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك لتعظيم الفائدة من البرناج وإتاحة الفرصة لأطفال المسلمين غير الناطقين بالعربية للتعرف على قصص الحيوان في القرآن.

وحسب الناشر الدكتور محمد عبداللطيف، فإن برنامج «الحيوان في القرآن» ليس مجرد برنامج ديني وإنما يُعَدُّ موسوعة علمية ودينية وثقافية وترفيهية، فبالإضافة إلى سرد القصص بالرسوم المتحركة، يعرض البرنامج الآيات القرآنية التي تناولت القصة نصاً وصوتاً، بصوت القارئ الشيخ محمد صديق المنشاوي، ومن الناحية الثقافية، تم تزويد البرنامج بأفلام فيديو علمية عن الحيوان الذي تتناوله كل قصة باللغتين العربية والإنكليزية، كما تم إثراء المحتوى الثقافي للبرنامج من خلال تنشيط الإعلام التي وردت في نص القصة من خلال Hybertext ومن ثم يحصل الطفل على معلومات إضافية باللغتين العربية والإنكليزية.

أما من الناحية العلمية فيعرض البرنامج القصص بلغة عربية سهلة ومبسطة تهدف إلى تنمية التذوق اللغوي بالإضافة إلى عرض القصة باللغة الإنكليزية ومن خلال ذلك يستطيع الطفل أن يتابع القصة نصاً وصوتاً وصورة، إذ يوجد في أسفل شاشة عرض القصص شاشة صغيرة لعرض النص باللغتين العربية والإنكليزية، ومن ثم فالبرنامج يحقق مهارتين من مهارات تعلم اللغتين العربية والإنكليزية وهما السمع والقراءة.

ومن الناحية الترفيهية سعى البرنامج إلى تحويل شعار «التعلم من خلال اللعب» إلى حقيقة، إذ تم تزويده بمجموعة كبيرة من المسابقات التي تحقق التسلية والترفيه والتعليم والتثقيف، بالإضافة إلى احتوائه على مجموعة كبيرة من الأغاني التي تتناسب والأطفال.

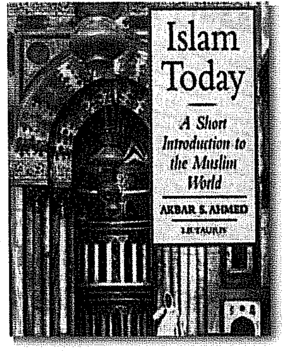
ويُعد هذا البرنامج باكورة التعاون المثمر بين شركات البرمجيات ودور النشر في مصر، فدور النشر بما لديها من خبرات كبيرة في مجال إعداد المادة والتصميمات، وشركات البرمجيات بما لديها أيضاً من خبرة في تطوير البرامج يمكنها التعاون في إنتاج برامج مصرية وعربية ذات جودة عالية، تعبّر عن ثقافتنا وحضارتنا وتدخل في سوق برامج الكومبيوتر العالمي.

أخبار ثقافية

- ينظم معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج في جامعة أم القرى خلال الفترة من ٢١ - ٢٣ من شهر ذي القعدة العام ١٤١٩هـ ندوة علمية كبرى عن الحج في مئة عام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ وستناقش الندوة عدداً من الموضوعات المهمة، وذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسية وهي: عمارة الحرمين الشريفين والتطور العمراني للمدينتين المقدستين منذ العام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ، والمحور الثاني: المرافق والخدمات في الحج، والمحور الثالث: التضامن الإسلامي في الحج.
- تعكف مشيخة الأزهر حالياً بالتعاون مع وزارة السياحة المصرية ومحافظة شمال سيناء على إعداد احتفال عالمي لمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على الفتح الإسلامي لمصر الذي تم على يد القائد المسلم عمرو بن العاص في بداية القرن الأول الهجري.
- انتهى مجمع اللغة العربية في القاهرة من إعداد وإصدار معاجم اللغة «الوجيز والوسيط» وجزء من المعجم الكبير ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، كما قام بتحقيق ونشر الكثير من أمات التراث العربي ومن أهمها: عجالة المبتدى وفضالة المنتهى، والتكملة والذيل والصلة «ستة أجزاء» وكتاب الجيم «أربعة أجزاء» والتنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح «جزءان» وكتاب الإبدال وكتاب الشوارد.
- وقع وزير الرياضة والفنون والثقافة في جمهورية مالي مذكرة إيذان بتأسيس مركز الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير للثقافة والبحث العلمي في «غاوة» عاصمة سنغاي التاريخية ، ويهدف المركز إلى حماية وحفظ المخطوطات القديمة التي كتبها الشيخ الكنتي، إضافة إلى مخطوطات وكتب أبنائه.
- بدأ العمل مطلع شهر شوال ١٤١٩هـ في بناء المقر الجديد للجامعة الإسلامية العالمية في باكستان وتبلغ تكلفة المشروع ٣٠٠ مليون دولار، وكانت الجامعة تتخذ من المباني الملحقة بمسجد الملك فيصل مقراً موقتاً للدراسة باعتباره المسجد المركزي في العاصمة الباكستانية.



الإسلام اليوم:
«السرد التاريخي لتعريف الغرب بالإسلام»



Islam Today :
Ashort Introduction to
the muslim world
Bu :
Akbar s. ahmed
I.B. Tauris - London
1999
IsBn :
1 - 86064 - 257 - 8

حاول البروفيسور اكبر أحمد في كتابه الصادر أخيراً باللغة الإنكليزية بعنوان: «الإسلام اليوم - دراسة تمهيدية قصيرة للعالم الإسلامي» أن يضع أمام القارئ العربي حقائق تاريخية حول الإسلام بالدرجة الأولى سعى من خلالها إلى تبديد سوء الفهم لدى الكثيرين من الذين مازالوا يعتقدون بأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع مغلق، وعمل المؤلف على أن يزيل الغموض عند البعض عن الإسلام من خلال صفحات هذا الكتاب.

والحقائق التاريخية التي وردت في كتاب البروفيسور أكبر هي حصيلة جهود ودراسات ورحلات وأبحاث للمؤلف شملت عدداً من الدول الإسلامية، إذ تنقل بين «طاجكستان» و«أوزبكستان» والتقى هناك عدداً من رجال الدين وزار مدينة قم الإيرانية برفقة فريق تلفازي لإنجاز مسلسل ليعرضه على شاشات التلفاز. احتوت فصول الكتاب الستة على موضوعات كرسها المؤلف لشرح نظرة الإسلام الموضوعية والمتانية إلى المجتمعات الأخرى غير الإسلامية، وتوضيح الخلافات مع الغرب وتسجيل وقائع ومشاهد عن الإسلام في وقتنا الحاضر، أكد المؤلف من خلالها عدم اللجوء إلى الابتكار أو اختراع الأشياء والأفكار كبديل عن الحقائق في أثناء تناولها ولذلك فإن الحديث عن الإسلام في رأيه - وهذا ما حققه في كتابه - يتطلب العودة إلى مئات السنين، لذلك عاد إلى القرن السابع وإلى ما جاء في القرآن الكريم وتحدث عن غار حراء حين لجأ إليه الرسول - ﷺ - للتعبد والتفكر، ثم عن مكة باعتبارها قبلة المسلمين، وتحدث كيف حمل العرب رسالة الإسلام بعد أن نزل القرآن الكريم بلغتهم، وتناول المؤلف تأثير الإسلام والمسلمين في حضارة بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي، كما تحدث عن إثراء الثقافة الإسلامية لآداب وثقافة إسبانيا وثقافات الأمم الأخرى، التي شملتها الفتوحات الإسلامية، وفي الفصل الرابع أشار المؤلف إلى تأثر بعض الحضارات الأوروبية والعالمية الأخرى بالحضارة الإسلامية، واستشهد بتركيا التي بقي فيها الإسلام مؤثراً في المجتمع التركي حتى اليوم، وقال إن المظاهر العامة تؤكد إسلام تركيا إلى جانب وجود واسع للتجمعات والتنظيمات الإسلامية على الرغم من تأكيد مؤسس تركيا كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) للنهج العلماني للبلاد.

حاول البروفيسور أكبر أحمد خلال فصول الكتاب أن يبدد فكرة ومقولة أن المسلم يحمل القرآن الكريم في يد ويحمل في اليد الأخرى السيف، وهي الفكرة التي تطرحها وسائل الإعلام الغربية، قائلاً: إن الإسلام يعمل على وقف الارتياب الذي يعشش في ذهن الكثيرين ممن يحاولون أن يصوروا الدين الإسلامي على أنه دين متعصب يستهدف تدمير الكنائس والمعابد الهندية بأنواعها، وأفرد فصلاً لهذا الموضوع، مؤكداً وجود نغمة ترددها وسائل الإعلام الغربية تجاه الإسلام في محاولة لإبراز صور سلبية في بعض برامجها تروج لعادات وتقاليد تتنافى وقيم الدين الإسلامي الحنيف، خصوصاً ما يتعلق بمعاملة المرأة وطاعتها لزوجها وأورد أمثلة على هذه الحملات قائلاً إن بإمكان أي شخص ملاحظة ذلك في تعامل أجهزة التلفاز والصحف الغربية مع أزمات تنشب في دول منطقة الشرق الأوسط، حيث أغلب السكان من المسلمين إلى جانب مناطق أخرى في أفغانستان والجمهوريات الإسلامية التي كانت خاضعة للهيمنة السوفييتية، وتحاول إظهار المسلم وكأنه يفتقر إلى المعرفة والتعليم والعلم، وانه جاهل بكل شيء خصوصاً عندما يبرز حاكم ديكتاتوري مستبد في تلك الدول، إذ تسلط عليه وسائل الإعلام الغربية الضوء، وتحاول أن تنسب كل خطوة يخطوها هذا الحاكم المستبد إلى الإسلام. وسجل الكتاب في بعض فصوله أمثلة عن التماسك الأسري في المجتمع المسلم، مؤكداً ترابط العائلة في المجتمعات الإسلامية وهو ما تفتقر إليه المجتمعات الغربية حيث تسود حالات الطلاق، والتي يشعر المسلم الذي يعيش في الغرب بالقلق إزاءها. وتوقع المؤلف أن يدرك الغرب هذا خلال الحقبة الزمنية المقبلة، وبفضل وجود ما يقرب من عشرة ملايين مسلم يعيشون في أوروبا والولايات المتحدة، أن الإسلام جاء لخدمة الإنسانية، وأن المبادئ التي نادى بها الرسول الكريم محمد بن عبدالله - ﷺ - تؤكد المحبة والاحترام والمساواة والعدل، وأنها مبادئ ثابتة تجسدت في دستور المسلمين الذي هو القرآن، كما أن تطور وسائل الإعلام والتقنية الحديثة في نقل المعلومات ستساعد في رأي المؤلف، في نقل الحقائق وإيصالها، وهو ما يسهم في تبديد الشكوك التي مازالت تعيش في عقلية البعض حول نظرتهم غير الموضوعية إلى الإسلام والمسلمين. ومع أن عنوان الكتاب «الإسلام اليوم» يوحي للقارئ للوهلة الأولى، بأنه يتحدث عن الإسلام في الوقت الحاضر إلا أن المضامين الأساسية للكتاب تقوم على السرد التاريخي لنشوء الإسلام والعقبات التي برزت من قبل المشركين للحيلولة دون انتشار الدعوة الإسلامية وما واجهه النبي الكريم والصحابة من صعوبات، بعضها استهدف حياة الرسول - ﷺ - وبعض الصحابة، لكنه استطاع نشر الإسلام في أرجاء المعمورة وأضحى قرابة بليون إنسان يدينون به، ولم يفت المؤلف أكبر أحمد الذي اشتهر بكتاباته عن العالم الإسلامي، وعمل وما يزال يعمل استاذاً زائراً في جامعة «هارفارد»، وعمل كمنتج تنفيذي في محطة «بي بي سي»، لإنتاج مسلسلات عن الإسلام، أن يجسد مشاعره نحو التاريخ الإسلامي والمجتمع الحديث، حين وصف «باكستان» التي أنهى فيها دراسته الأولية بأنها القوة الإسلامية النووية الأولى التي برزت في العالم صيف ١٩٩٨م، وتوقع مؤلف كتاب «الإسلام اليوم» أن توجه له بعض الاتهامات، بل أورد في كتابه بعض الصفات السلبية التي أطلقت عليه لنقله صوراً حية في برامجه عن حياة وطبيعة المجتمعات الإسلايمة في بعض بقاع العالم... لكنه قال: إنه حرص على أن يتناول الحقائق من دون رتوش على الرغم من إدراكه بأنه ليس من السهل في وقتنا الراهن دخول هذا الموضوع ومعالجته بعمق.

قصة قصيرة

دعاء السحر...

بقلم :
محمد مكين صافي

«... اسمع يا حاج... أنت وكل أعضاء الإدارة الموقرين عندك على رأسي... لكنَّ كلامك لا يقنعني ولا يعنيني في شيء... لن نترك بيتنا ونبني بيوت الآخرين... أموالنا أولى بها عيالنا... وعجزنا لا ننتظر تغطيته من أعطيات الناس... وأولياتنا في التنمية والنهضة لا تتسع لما تقوله يا حاج... والمثل يقول: إبدأ بمن تعول... أو لعله حديث فأنت أدرى!... انتهينا... معذرة ولعلنا نلتقي في موضوع آخر واهتمامات أعمق... تحياتي لكل الأخوة الأعضاء...».

وبكل ما في نفسه من ضيق خبط الأستاذ «سليمان» سماعة الهاتف والتفت إلى روّاد ديوانيته وقال: «حكومة الدراويش!! أيحسبون البلد صندوقاً كبيراً لجمع الصدقات.. ويريدوننا بعدُ - أن ندعم مسيرتهم في الاستجداء... ياللطرافة... لم يبقَ إلا هموم الصومال أو صداع رواندي أو مجاري بنغلاديش!».

وحتى يغير الجو المشحون الذي أثارته المكالمة الهاتفية، انبرى أحد الجلساء وسأله: «خلك منه إلى أين العزم إن يسر الله هذا الموسم؟!».

أجابه وهو يزفر: «والله ما أدري... العيال يبغون إيطاليا... أعجبتهم المهرجانات هناك... وخصوصاً عروض الأزياء.. تبغون الصدق... عروض أخاذة ورائعة... رغم أنها مكلفة جداً جداً».

غمز أحد الحاضرين بعينه وسأل: «وما يجبرك على الاستجابة لكل ما يطلبون... مرة نعم ومرة لا!»

هزَّ رأسه وقال: والله يا أخي مضطر... مضطر فوق طاقتي... لابد أن أشغلهم بشيء وإلا أفسدوا عليّ خططي وعدت من الموسم كأنني عائد من عمرة!!».

قهقه الجلساء لإيماءة الأستاذ سليمان طويلاً، ولم يقطع عليهم دعابتهم إلا رنين النقال في يده... ثم سمعوه يقول: «ماذا؟!... أين؟!... كيف؟... لا لا... قادم... انتظروني».

ثم هبَّ والتقط مفاتيح السيارة وأودع «النقال» في جيبه ومضى لا يرد على امتعاض الحاضرين أو عروضهم للمساعدة حتى...

كانت السيارة مهشمة لدرجة لا توصف، مناشير «الطوارئ» تعمل في الباب الخلفي تريد أن تنقذ أحداً ما، وسارية الكهرباء تنحني في انكسار بعدما انقطع عنها نورها... والضوء الأصفر والأحمر يدور ويدور مع إطلاق

فاضح لبوق السيارة الخضراء تزعق لإفساح الطريق... لكن هذا كله لم يوقف اندفاعة الأستاذ سليمان الذي أقدم بكل ما في مشاعره من هياج فُجّر وسماعه للخبر المفجع حتى كاد أن يطيح بكل ما أمامه لولا أن السيارة الخضراء تجاوزته منطلقة إلى المشفى الكبير.

...«أين الطبيب المناوب... أين كادر التمريض... أين الإدارة هلموا هلموا...» صاح فور دخوله المشفى وهو يندفع نحو غرفة العمليات، لولا أن وجهاً هادئاً تؤطره تحية خفيفة استوقفه وسحبه بلطف إلى الخلف وقال في هدوء: «على مهلك... إنهم يعملون ما بوسعهم... أطمئن ودع جهودنا أن تأخذ مجراها في قضاء الله».

ضرب الهواء بيديه وصاح: «كيف ؟!... إنه ولدي أيها الطبيب... هل تدرك هذا، ولتعلم أنني أستطيع أن أنقله خلال ساعات إلى أفضل مشافي الدنيا!... وأن أي إهمال لن يمر بسلام..».

نظر إليه الطبيب بعمق وأبعده عن طريقه برفق وقال: «أرجوك... هنا مشفى لا سوق البورصة... ولست أنا الذي أوصلته إلى هذه الغرفة على أي حال فلا تكلمني بهذه اللجهة... وانقله الآن إلى حيث تشاء كما قلت فلن يؤدوا له أفضل مما أدينا...» ثم مضى وتركه يتلفت حوله في هياج... وما هي إلا لحظات حتى خرجت الممرضة وهي تستنجد «دم... دم... يلزمنا دم!».

بوغت الأستاذ كمن صفع... «دم؟!... ما معنى هذا... ولدي يستجدي دماً من الناس؟!... هل نحن في مشفى أم في جمعية خيرية..» وراح يتمتم ويهتاج ولا يدري ما يقول حتى رأى السائق يخرج من غرفة التبرع فما أن لمحه حتى خبط رأسه بيده ودار «ولدي أنا يختلط بدمه دم سائق؟!... ألهذه الدرجة وصل بك الهوان يا سليمان... هل هذا معقول؟!... لن يمر هذا بغير حساب... لن يمر هذا بغير حساب...» ثم استدار فرأى الطبيب عائداً إلى غرفة العمليات، بعد أن توضأ، فاتجه صوبه وسأله في تعب: «خبرني أرجوك... كيف الحال الآن؟!...».

أجاب الطبيب وهو يمضي إلى وجهته: «لو استطعنا أن نسيطر على الجرح الأعمق... ولو استجاب الصدغ الأيمن لخيوطنا الرابطة فسينجو...» فغر الأستاذ سليمان فاه وقد أُخذ... هل... هل يعني هذا أنه... أنه... إذا... إذا لم يتمّ ما قال فإن وحيدي سوف... لا!....

ولأن الساعة قد تجاوزت الثانية ليلاً، فقد غلبه الإنهاك وتراخت منه العضلات والأعصاب... ولم يبق منه إلا شعور مهتاج متقد، ونفسٌ تريد أن تحطم أي شيء... وقبضة تفعل في الهواء هكذا... وهكذا.... ولكن دون جدوى - وبعض من الأهل أحاطوا به يهدئونه خشية أن يصيبه ما لا يشتهون له... وامرأة تقبع هناك في سكون، عيناها وادعتان مستسلمتان... وشفتاها لا تهدآن... حتى إذا سكن من الإعياء أطلقت أنّةً خافتة وهمست «يا رب...»!

لم يلتفت إليها... بل نكّس رأسه المؤّار بكل انفعالات جمعها خيال أو دماغ... وراح ينتظر والثواني كالجمر تحرقه بطيئاً بطيئاً وتكاد تصيبه بالشلل... حتى انفتح الباب مرة أخرى وخرج الطبيب يمسح عرقه وخرج معه مساعده بكمامته المدماة... أحب أن يقوم إليه فخانته عزيمته فاكتفى بأن أشار إليه بصوت واهن«... ماذا أيها الطبيب الطيّب... أرجو أن الحال تتحسن طمئني أرجوك!...».

هزّ الطبيب رأسه في أسى وقال: «شيء لا يصدق... النزوف متدفقة، والجروح تتأبى على الخيوط المتقنة، كميات الدم بالكاد تكفي وربما يلزمنا زيادة... هناك سرٌّ أكيد سر!...».

سأله الأب في التياع: «دم مرة أخرى... أنا جاهز... مستعد لأن أجمع الدم من كل أطراف البلد لو احتاج... فقط لو أعطيتني ضوءاً من أمل... هل سيشفى... ألن ينجو... ما فيه أمل؟!».

همس الطبيب بإشفاق: «أكيد فيه أمل ... ولكن ليس من حيلتنا ... الأمل فوق... هناك!...» ثم مضى متعباً يستعد لجولة جديدة.

هدّه الإعياء... واستولت عليه الصدمة حتى أفقدته عزيمته وأقعدته مهدوداً لا يحسن التفكير ولا يقدر على أي شيء... «إذاً... فقد حُرمت من ولدي إلى الأبد... وفاتني وحيدي الحبيب دون وداع حتى... ياللحسرة... بل ياللخيبة... أي وضع مهين عاجز تركتك فيه السيارة وسارية الكهرباء المطفأة أيها «السليمان» المسكين... ماذا أملك لك يا ولدي... ما لي! حياتي... روحي... هل يجديك هذا في شيء؟! ياه... أكاد أتفطر حزناً عليك أيها الولد الشقي الحبيب...

نم ... نم يا حبيبي في أمان الله ... وأقسم لأجعلنّ من ضريحك مزاراً أحج إليه، بل لا أفارقه حتى ألحق بك...»

وما درى إلا يد حانية تهبط على كتفه وفم يتمتم في حنان :

«أما سمعت... الأمل موجود... الأمل موجود... هناك... فوق... إنها ساعة السحر... فاتجه إلى مقدّر كل شيء... مقدّر الآجال... واسأله ولدك...».

رفع إلى أخته رأسه المهدود، ونظر إليها في ذهول ثم مشى قليلاً إلى فسحة في البناء مكشوفة ثم رنا بطرف بللته الدموع إلى الصندوق الزجاجي الذي كان يهمس له «داووا مرضاكم بالصدقة...»، فانفرجت يده عما احتوت وأودعها الصندوق ثم التفت صوب السماء وتمتم

« يا رب... ولدي يا رب ! ...» ■

من هدي كتاب الله

قـال الله تعالـى :

﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾.

سورة الحج : آيـة ٥

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

« من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ».

طلب حاجة

قال أحدهم لبعض السلاطين :

أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي.

شيطانه يتكلم بالهندية!

مرَّ أبو علقمة النحوي ببعض طرق البصرة، وهاجت عليه قبيلة مُرَّة فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون إبهامه، ويؤذنون في أذنه، فأفلت منهم وقال :

مالكم تتكأكؤون عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني.

قالوا : دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية!!

الصبر

قال سعيد بن جبير :

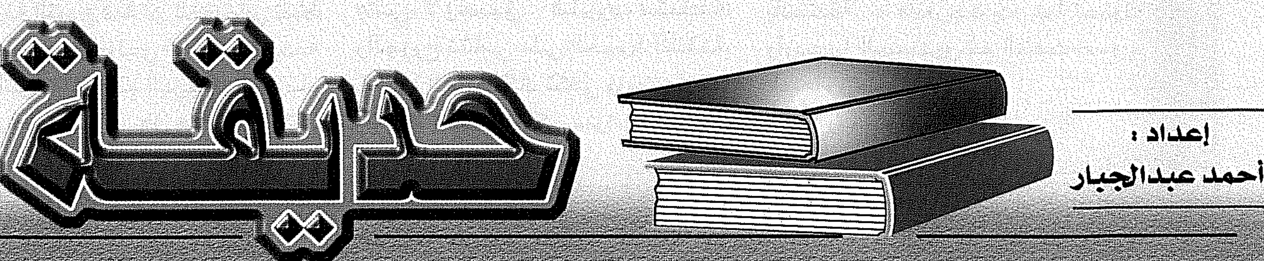
الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه.

أهل الخير

للخير أهل ما تزا ... ل وجوههم تدعو إليه

طوبى لمن جرت الأمو ... ر الصالحات على يديه

ما لم يضق خلق الفتى ... فالأرض واسعة عليه



إعداد :
أحمد عبدالجبار

بُشرى الصابرين

مات عبدالله بن مطرف، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد أدهن فغضبوا وقالوا : يموت عبدالله وتخرج في مثل هذه مدهناً، قال: أفأستكين لها؟، وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصالاً كل خصلة منها أحب إليَّ من الدنيا كلها، قال تعالى: (وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧.

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة :

- رجل يدري، ويدري أنه يدري، فاسألوه.
- ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكروه.
- ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذاك مسترشد فعلّموه.
- ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذاك جاهل، فارفضوه.

آداب اللغة

دخل الأصمعي يوماً على هارون الرشيد بعد غيبة طويلة فقال له: يا أصمعي: كيف كنت بعدي؟ فقال : ما لاقتني بعدك أرض، فتبسم الرشيد، فلما خرج الناس قال الرشيد للأصمعي: ما معنى قولك: ما لاقتني أرض؟ فقال الأصمعي: أي ما استقرت بي أرض، فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلِّمني، فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالماً.

لا تصلح إلا بقرنائها

قال حكيم: كثير من الأمور لا تصلح إلا بقرنائها: لاينفع العلم بغير ورع، ولا الحفظ بغير عقل، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا الحب بغير أدب، ولا السرور بغير أمن، ولا الغنى بغير كفاية، ولا الاجتهاد بغير توفيق.

من هم جلساء الرحمن يوم القيامة؟

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله جلساء الرحمن يوم القيامة من جمع فيهم خصال : الكرم والسخاء والحلم والرأفة والرحمة والشكر والبر والصبر.

قال مالك بن دينار ـ رحمه الله : مررت بالمقابر فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها
فأين المعظم والمحتقر
وأين المدلُّ بسلطانه
وأين المزكّى إذا ما افتخر

قال: فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفانوا جميعاً فلا مخبرٌ
وماتوا جميعاً ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى
فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا
أما لك فيما ترى معتبر

قال ـ رحمه الله ـ فرجعت وأنا باكٍ.

مخافة الله

جاء في الحكم: رأس العلم مخافة الله، وجاء في العقد الفريد: قيل للشعبي: أفتني أيها العالم. فقال: إنما العالم من اتقى الله.

لغويات

من الجموع التي لا واحد لها كلمة : النَّعَم وهو المال الراعي، وأكثر ما يقع على الإبل وجمعه نُعمان كحملان وأنعام كأسباب، وجمع الجمع أناعيم.

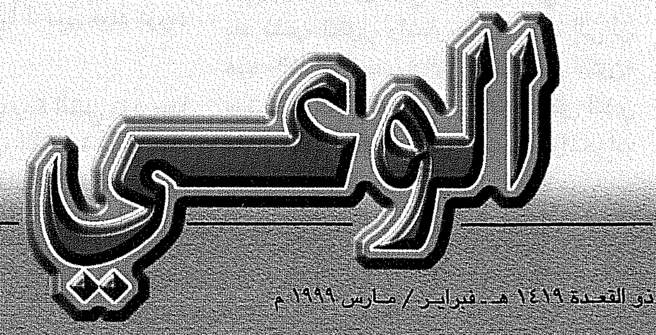
ومن المفردات التي لا تجمع كلمة: اليمُّ، وهو البحر فلا يجمعُ جمع تكسير ولا جمعاً سالماً كما أنه لا يثنى.

منتهى البخل!

وصف ظريف بخيلاً فقال : مائدته فتر في فتر، وصحافها منقورة من خشب الخشخاش، بين الرغيف والرغيف مضرب كرة،

قيل له : أنت من أصدقائه ونرى ثوبك ممزقاً.

فقال : والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً بالإبر، ثم جاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء، والملائكة ضمناء، يسألونه إعارة إبرة وخيط يخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دبر ما فعل!!



إعداد: تمام أحمد

١٢٥ بليون مجرة في أرجاء الكون

رفعت صورة حديثة للأعماق الفضائية التقطها التلسكوب الفضائي هابل، من ٨٠ إلى نحو ١٢٥ بليوناً، هو العدد المقدر للمجرات المنتشرة في أرجاء الكون.

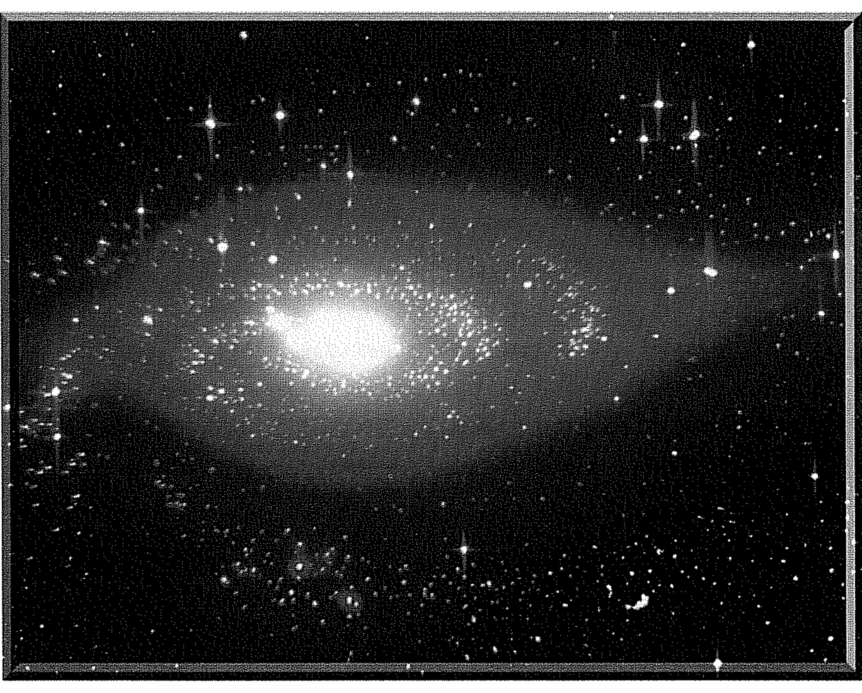
وقد تحقق هذا الإحصاء الكوني الجديد بفضل العينة الجديدة للكون التي اقتطعتها في أكتوبر الماضي عين التلسكوب الفضائي، بينما كانت مصوبة في اتجاه مجموعة نجوم توكان التي يمكن رؤيتها من النصف الجنوبي لكوكب الأرض.

وأثناء تقديم هذه النتائج في مؤتمر الجمعية الأميركية لعلم الفلك المجتمعة في أوستن «ولاية تكساس» قال جوناثان غاردنر من مركز غوارد الفضائي المنبثق من وكالة الفضاء الأميركية «ناسا» في غرينبيلت «ولاية مريلاند» إن هذه الصورة: «تعتبر الأعمق والأكثر تفصيلاً التي تلتقط للجزء المنظور من الكون» أي الذي يمكن رؤيته من خلال الطيف الكهربائي المغناطيسي.

ويكشف هذا الرواق الطويل جداً والضيق الذي اقتطع في السماء وسمي «ديب فيلد ساوث» تفاصيل ١٢ بليون سنة تقريباً من تاريخ الكون، ومن شأنه أن يساعد في السنوات المقبلة، على إنجاز عمليات الرصد التي حققها هابل في العام ١٩٩٥م، على عينة مماثلة يمكن رؤيتها في سماء النصف الشمالي للكرة الأرضية من خلال النظر إلى مجموعة كواكب الدب الأكبر.

وقارن غاردنر بين هذين الإحصاءين للكون قائلاً: «لقد ضاعفنا مرتين عدد المجرات الضعيفة الإشعاع التي نستطيع رؤيتها»، وأضاف: «مكنتنا هذه العينة من أن نستنتج أن ١٢٥ بليون مجرة تقريباً تنتشر في كل أرجاء السماء».

وكانت عمليات الرصد التي تمت على عينة



الكون المصورة في ١٩٩٥م أتاحت تحديد عدد المجرات الموجودة في الكون بنحو ٨٠ بليوناً، ما يفوق بكثير الإحصاءات الفلكية السابقة.

وتخليداً لهذا الجزء من الكون، صوب هابل جميع معداته على مجموعة كواكب توكان طوال عشرة أيام للكشف عن أبعد النجوم وأقدمها، وكان هابل سيحتاج إلى ٩٠٠ ألف سنة لو أراد أن يصور الكون برمته.

وكشف هنري فرغيسون من مؤسسة التلسكوب الفضائي في بالتيمور «مريلاند» أن هذا الاستكشاف لباطن الكون «يشكل في جوهره امتداداً طبيعياً لـ ديب فيلد نورث +٢».

وبفضل المعدات الجديدة التي زود بها هابل منذ «إعادة النظر» الأخيرة فيه العام ١٩٩٧م، حدد علماء الفلك في هذه العينة الجديدة مواقع مجرات بالكاد يمكن تمييزها، أبعد من المجرات التي اكتشفت في العام ١٩٩٥م.

وأشار فيرغسون إلى «أن بعضاً منها تشكل قبل ١٠ إلى ١٢ بليون سنة (....) أي بعد بليون سنة تقريباً من الانفجار الكبير»، الذي أدى إلى نشوء الكون، وأضاف أن «معظم هذه المجرات أصغر مما كنا نفترض، الأمر الذي يؤكد أن معظم النجوم تكوّن في وقت مبكر» من تاريخ الكون.

ويمكن أن يشكل بعض الأجرام المتناهية الصغر المتناثرة في الرواق الذي صوره هابل، بعضاً من أولى المجرات التي تشكلت بعد نشوء الكون، وأشار علماء الفلك إلى أن هذه «النافذة الجديدة التي فتحت في الكون» ستمكن من رفع جزء من الغموض الذي مازال يحيط بآليات تكون النجوم والمجرات وتطورها.

تقنية المورثات تسهم في حل مشكلة نقص مياه الري وتطوير الزراعة ومكافحة التصحر والجفاف

يعكف العلماء الألمان في الوقت الحاضر، على دراسة النتائج التي توصل إليها العلماء الأميركيون في مضمار الزراعة والري ومعالجة مشكلة نقص المياه في معظم دول العالم، وبخاصة في الأقطار النامية في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، والجهود التي تبذلها هيئات التنمية الدولية لمواجهة ازدياد ندرة المياه خلال القرن الحادي والعشرين المقبل.

ويدرس العلماء وخبراء الري والتنمية الزراعية في ألمانيا في الوقت الحاضر، التجارب التي يطبقها العلماء الأميركيون على زراعة مجموعات كبيرة من النباتات التي لا تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه، وتشجيع زراعتها في دول العالم الثالث، والعمل على تطبيق ما توصل إليه البحث العلمي في مضمار تقنية المورثات للتدخل في تحديد المياه الموجودة في هذه النباتات والتحكم فيها، وفي عملية استقلاب المواد الغذائية في النباتات هذه عبر ما يعرف باسم «فتحات الانشقاق» الموجودة في خلايا النباتات والأوراق.

ومن المعروف أن السنتيمتر الواحد من أوراق الشجر والنباتات يحتوي على آلاف عدة من هذه الفتحات التي تتحكم فيها عوامل عدة، أهمها كمية المياه الموجودة، وضوء الشمس، ونسبة غاز أوكسيد الكربون.

وتشكل هذه الفتحات الانشقاقية، أو ما يعرف باللاتينية باسم Stomata نحو ٠,٥ في المئة من السطح الخارجي لأوراق الشجر، وتسهم في عملية تنفس هذه الأوراق، ففي حال انفتاحها تقوم النباتات بتنفس بخار الماء، ولكنها تنغلق في حال الجفاف محتفظة بالماء الموجود بداخلها، في الوقت الذي تساعد فيه المادة الصمغية الموجودة على أوراق الشجر والنباتات على عدم تبخر المياه منها.

ويوضح العلماء الأميركيون والألمان أن الوظيفة التي تقوم بها الفتحات الانشقاقية هذه، ترتبط بعوامل عدة أبرزها هرمونات الأحماض النباتية باسم (ABA) التي تتأثر بالجفاف والحرارة والبرودة، وتؤثر بالتالي على حركة الانفتاحات الانشقاقية، ونسبة تبخر المياه، أو معدل الاحتفاظ به في الأوراق والنباتات نفسها، مشيرين في هذا الصدد إلى انعكاس ذلك على نسبة البروتينات النباتية.

ويضيف هؤلاء العلماء أن الفتحات الانشقاقية تخضع إلى حركة متبادلة دائمة من الانفتاح والانغلاق تلعب فيها المورثات دوراً كبيراً، وبالتالي فإنه بالإمكان تغييرها بحيث تستهلك كميات أقل من الماء، دون أن يؤثر ذلك على عملية الاستقلاب والتبادل داخل النباتات، وبخاصة تلك التي تفقد كميات أكبر من المياه عندما تنتج المواد البروتينية والنشوية والسكرية.

ويقدر خبراء الزراعة والري الألمان نسبة توفير المياه اللازمة لري النباتات في حال التأثير عليها وراثياً بنحو ٣٠ في المئة من معدل استهلاكها الحالي، دون أن يؤثر ذلك على المحصول الزراعي، أو القيمة الغذائية لهذه النباتات، إذ يمكن في المستقبل زراعة بذور نباتية أدخلت عليها تغييرات وتعديلات وراثية، مما يفتح أمام الزراعة في أقطار العالم الثالث التي يغلب عليها الجفاف آفاقاً جديدة واسعة تضاعف من المحاصيل الزراعية والغذائية وتسهم في توفير الغذاء ومكافحة الجوع في مناطق واسعة من العالم، إلى جانب توفير كميات كبيرة جداً من مياه الري، وأزمات المياه التي تزداد في العالم.

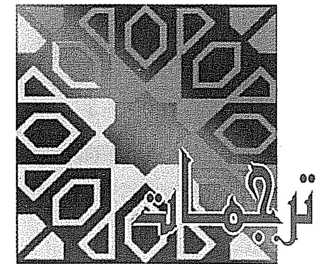
ويشير هؤلاء الخبراء إلى أن الطبيعة قد سبقت العلم والتقنية في مضمار توفير المياه في عالم النبات وقطاع الزراعة، من خلال تعديلها لكثير من النباتات الزراعية، كما هو الحال في نبات الصبّار الذي يروي نفسه بنفسه وبكميات ضئيلة جداً من الرطوبة والمياه، إذ تكفي نسبة قليلة جداً لا تتجاوز ١ في المئة موجودة في نسيج هذه النباتات الصحراوية لاستمرار حياتها سنوات طويلة، وذلك من خلال عمل المورثات الموجودة فيها.

ترى هل ستتحول الصحارى والمناطق الجافة والقاحلة إلى جنان خضراء يانعة بفضل تقنية المورثات وتطويرها في المستقبل؟

برهان جديد على أن «الزيجة الاغترابية» تقوّي النسل

أثبتت دراسة حول الحياة الجنسية للنحل قام بها عالمان سويسريان ونشرتها يوم ١٩٩٩/١/١٤م المجلة العلمية البريطانية «نيتشر» النظرية القائلة: إن الاغتراب في الزواج «الزواج من خارج حلقة الأقارب» مفيد لصحة الأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج بغير الأقارب ويوقي نسلهم ويعزز مناعتهم ضد الأمراض، ولاحظ الخبيران بوريس باير وبول شميد - همبل أن النحل، المعروف بتعدد شركائه الجنسيين ذات مناعة ضد الطفيليات والأمراض، وبهذا الاستنتاج الجديد يثبت الباحثون النظريات المتداولة حول أهمية الابتعاد عن ذوي القربى عند اختيار شريك أو شريكة الحياة.

وشرح العالمان أنهما قاما بتلقيح اصطناعي لنحل «ملكة» بالحيوان المنوي لنحل عادي يتمتع بتنوع جيني ضعيف أو قوي، وتبين أن مناعة النحل الذي ولد من جراء هذه العملية كانت أقوى كلما كان التنوع الجيني كبيراً، وقال العالمان في المجلة إن «المجموعات المتحدة من الملكات الملقحة بحيوان منوي متنوع جينياً بدت أقل تعرضاً للالتهابات الطفيلية، وحتى وإن أصيبت بها فإن الالتهابات تكون أقل خطورة من تلك التي تصيب النحل الذي لا يتمتع بتنوع جيني»، وأضافا أن «عدد الطفيليات وفعالياتها بدت أيضاً أقل خطورة لدى المجموعات المتنوعة الجينات».



هل ينال إقليم كوسوفا الاستقلال الذاتي ؟

نشرت الايكونومست مقالاً حول مستقبل إقليم كوسوفا تناولت فيه بالتفصيل حقيقة الأوضاع في الإقليم بعد الاتفاق الذي وقعه ميلوسيفتيش والذي يقضي بعودة الإقليم للحكم الذاتي يقول المقال :

إعداد : عبدالمنعم أحمد

بعد يومين من قيام كريس هيل الوسيط الأميركي في كوسوفا بحضّ المقاتلين المحليين من أصل ألباني على ضبط النفس، تم مهاجمة مركز للشرطة في ماليسيفو، وأمسك الثوار برجلي شرطة من الصرب وأطلقوا عليهما النار، وفي التاسع من نوفمبر الماضي تعرف مراقبون أميركيون على جثتي رجلي الشرطة في أحد الشوارع القريبة من مقر إقامتهم.

ويبدو أن مقتل رجلي الشرطة الصربيين جاء كعملية انتقامية لمقتل خمسة من مقاتلي جيش تحرير كوسوفا وغير ذلك من الهجمات التي شنها رجال الشرطة الصرب ضد القرى الألبانية.

ومثلما كانت ماليسيفو موقعاً لاشتباك بين مقاتلي جيش تحرير كوسوفا والصرب، كذلك كان تعرض سوق تجاري صغير بمفترق طرق في وسط كوسوفا يستخدمه مقاتلو جيش التحرير كمركز إمداد واتصالات لهجوم من قبل القوات الصربية في أواخر شهر يوليو الماضي، لكن الآن تغير الوضع بعض الشيء.

فطبقاً للاتفاق الذي تمت الموافقة عليه منذ أكثر من شهر برعاية «ريتشارد هولبروك» ممثل أميركا والجنرال «ويسلي كلارك» قائد حلف الناتو في أوروبا، سمح لعدد من الشرطة الصربية بالاحتفاظ بمواقعها في مدن كوسوفا الرئيسية بما فيها ماليسيفو المنعزلة. وترتب على ذلك أن وجدت الشرطة الصربية نفسها محاطة بعداء مقاتلي جيش تحرير كوسوفا المسلحين جيداً والذين تصلهم الأسلحة على نحو متزايد عبر الحدود الجنوبية مع ألبانيا وحتى عن طريق مهربي الأسلحة الصرب في شمال كوسوفا.

صحيح إن التهديد بشن ضربات جوية من قبل الناتو ضد الصرب قد أدى إلى التوصل لصفقة سلام وربما ساعد هذا الاتفاق على تفادي حدوث موت جماعي نتيجة نقص الطعام لدى اللاجئين الذين يعيشون في العراء في وقت الشتاء، وربما أيضاً استطاع العاملون في حقل الإغاثة الدولية الوصول بالطعام والدواء إلى هؤلاء اللاجئين، لكن مع ذلك، فإن اللاجئين لايزالون يعيشون في العراء وفي الجبال حياة شديدة الصعوبة بالإضافة إلى أن الكثير من القرى لاتزال مهجورة، وجثث الماشية المتعفنة ملقاة في حقول القمح التي لن تجد من يحصدها.

وكان الرئيس اليوغسلافي «سلوبودان ميلوسيفيتش» قد سحب آلافاً عدة من قواته العسكرية ومن رجال شرطته، وكان هدفه من ذلك الاحتفاظ بنحو ٢٥ ألفاً من رجاله المسلحين في كوسوفا حتى إتمام التوصل إلى تسوية سياسية على أن يقوم بعد ذلك باستبدال معظمهم بآخرين من قوات الشرطة الألبانية يعملون تحت إدارة تتمتع بحكم ذاتي وليس تحت إدارة كوسوفا المستقلة.

وفي الوقت الحالي يقوم فقط نحو مئة مراقب غير مسلح، معظمهم من الأميركيين، برصد الوضع إلى أن يتم تعزيزهم في وقت لاحق بمجموعة مسلحة تسليحاً قوياً مكونة من نحو ألفي رجل تحت قيادة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، مهمتها التحقق من التزام كل من الفريقين المتنازعين ببنود الاتفاق.

وإذا كان ميلوسيفيتش لا يضع أي عراقيل أمام هذه المجموعة المسلحة المنوط بها أعمال المراقبة والتحقق إلا أن منظمة



الأمن والتعاون الأوروبي تتسم في عملها بالبطء الشديد، وما يدل على ذلك هو أن «وليم ووكر» الدبلوماسي الأميركي ورئيس المنظمة لم يصل إلى المنطقة إلا في الحادي عشر من نوفمبر الماضي، إضافة إلى أن المجموعة المسلحة لم تبدأ عملها رسمياً حتى هذه اللحظة.

وربما ينجم عن هذا الإجراء منح مقاتلي جيش تحرير كوسوفا المزيد من الوقت الذي يمكنهم من إعادة تنظيم أنفسهم بعد الهجوم الصربي ضدهم في أشهر الصيف، وهذا بدوره أيضاً يمنح قوات الأمن الصربية ذريعة للانتقام.

وإذا كانت قوات حلف الناتو ملتزمة بمنع وجود نقاط تفتيش ثابتة، فإن رجال الشرطة الصرب يقومون عن طريق الهاتف النقال ووحدات متحركة بالتحرك إلى حيث يوجد المدنيون الألبان ويعملون على مضايقتهم.

والأسوأ من ذلك، أنه في أعقاب مقتل رجلي الشرطة الصربيين هدد ميلوسيفيتش بإعادة قوات ثابتة إلى المواقع التي كانت فيها، إذا فشل الغرب في السيطرة على مقاتلي جيش تحرير كوسوفا، وبالفعل عاد إلى كوسوفا منذ أيام عدة مئات من رجال الشرطة الصرب، وحتى مع استمرار وقف إطلاق النار بين الجانبين، فإن المفاوضات المقترحة حول مستقبل كوسوفا تبدو صعبة أكثر من أي وقت مضى، لقد اضطر «ميلوسيفيتش» للموافقة على اتفاق يعيد إلى كوسوفا الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به منذ العام ١٩٧٤م، وحتى العام ١٩٨٩م، عندما قام هو شخصياً بإنهائه، وفي الوقت الحالي لاتبدو كوسوفا إلا كإقليم تابع لصربيا، بحيث يشكل هذا الإقليم إقليم الجبل الأسود جزءاً من يوغوسلافيا.

لكن «ميلوسيفيتش» يصرّ على أن يظل إقليم كوسوفا جزءاً من صربيا، وهو الأمر الذي يرفضه تماماً القادة السياسيون من أصل ألباني الذين لا يقبلون إلا بأن تصبح كوسوفا جزءاً منفصلاً عن يوغسلافيا إلى جانب صربيا والجبل الأسود. ومع ذلك، فليس في استطاعة أي من هؤلاء القادة السياسيين من أصل ألباني مثل «إبراهيم روغوفا» رئيس جمهورية كوسوفا المعلنة من جانب واحد والذي بلا صلاحيات تقريباً - التوقيع على أي اتفاق دون دعم الجماعات المسلحة من أصل ألباني.

ولهذا قام «كريس هيل» الوسيط الأميركي بتجديد اتصالاته بمقاتلي جيش تحرير كوسوفا في درينيشا وبالثوار المنفيين في سويسرا لكي يحضهم على قبول مسودة خطة وضعها أخيراً، تمنح كوسوفا قدراً لايستهان به من الاستقلالية، ومن الممكن وفقاً لهذه الخطة - بعيداً عن العملة الموحدة وموظفي الجمارك اليوغسلاف وقوات الحدود - أن تحكم كوسوفا نفسها تحت ضمانات دولية تكفل عدم تكرار ما حدث في العام ١٩٨٩م. ■



١٩٩٩م: العام الذي يصل فيه سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة

سيصل عدد سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة على أعتاب الألفية الثالثة للميلاد، فيما يتوقع أن يزداد إلى ٧,٩ مليار نسمة و ١١ مليار نسمة في العقدين الأولين من القرن المقبل.

وأكد الدكتور نفيس صادق المدير التنفيذي لصندوق السكان التابع للأمم المتحدة على ضرورة توجيه كل امرأة ورجل للتعرف على الأهداف الحقيقية لديمومتهم على سطح الكرة الأرضية وتجنيب العالم انفجاراً سكانياً هائلاً، وسيجتمع مندوبون في دول العالم لحضور مؤتمرات وندوات تعقد ضمن برنامج «القاهرة+٥» وهو برنامج لمناقشة التطورات التي جرت على مدى خمسة أعوام بعد انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة.

وتعقد في لاهاي بهولندا خلال فبراير ١٩٩٩م مؤتمرات وندوات عدة تضم ممثلين عن ٨٠٠ منظمة غير حكومية ومندوبين عن ١٨٠ دولة حول العالم، وأكثر من ١٥٠ من أعضاء البرلمانات.

وتشمل المؤتمرات ندوة البرلمانيين، وندوة المنظمات غير الحكومية، والندوة الدولية التي ستناقش التطورات الحاصلة في ميدان النمو الديموغرافي في العالم.

مؤشرات النمو

وسيصل عدد سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة في ١٢ أكتوبر العام ١٩٩٩م حسب التقديرات، وسيدخل مليار منهم في أعمار البلوغ، ويبدؤون حياتهم التناسلية لإنتاج أجيال أخرى من البشر.

وحسب الإحصاءات الدولية منذ وصل عدد سكان العالم إلى مليار نسمة فقط العام ١٨٠٤م وبعد ١٢٣ سنة أخرى، أي في العام ١٩٢٧م وصل العدد إلى مليارين، ثم إلى ثلاثة مليارات العام ١٩٦٠م و ٤ مليارات العام ١٩٧٤م، و٥ مليارات العام ١٩٨٧م، ثم يصل إلى ٦ مليارات العام ١٩٩٩م.

وتعني المعدلات الأخيرة أن أعداد السكان تزداد بنحو ٧٨ مليون شخص سنوياً.

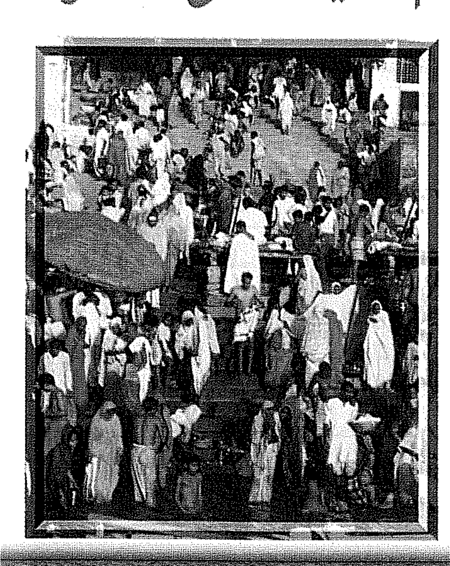
البنك الإسلامي للتنمية يخصص ١٤ مليون دولار إلى طاجيكستان

يمول البنك الإسلامي للتنمية مشروعات عدة في طاجيكستان في مجالات النقل والمواصلات والري وتطوير مصادر المياه والصحة وإعادة بناء بعض المدارس والمراكز الصحية حيث بلغت إجمالي التحويلات التي اعتمدها البنك لصالح جمهورية طاجيكستان ١٤ مليون دولار خلال العام الحالي، وتعد طاجيكستان من الدول التي انضمت حديثاً لعضوية البنك حيث انضمت إليه في العام ١٩٩٧م، وقد استقبل رئيس البنك الإسلامي للتنمية في جدة وفداً من جمهورية طاجيكستان برئاسة أوديلجون عبدالقهار جابروف نائب رئيس الإدارة الاقتصادية بمكاتب رئيس وزراء طاجيكستان، وضم الوفد تسعة أعضاء رفيعي المستوى يمثلون مختلف الوزارات الأساسية بالحكومة الطاجيكية وهي وزارات الصحة، والمالية والطاقة والموارد المالية، والتعليم، والنقل، وإدارة الطرق، ومركز المعونة الخارجية والبنك المركزي الطاجيكي.

الهند عاصمة الإيدز إذا لم تسيطر على المرض

تشير احصاءات حديثة لمنظمة الصحة العالمية أن هناك نحو أربعة ملايين شخص مصاب بالإيدز في الهند وأن أكثر من ١٦ ألف يلتقطون الفيروس الناقل للمرض يومياً، إما عن طريق الاتصال الجنسي أو عن طريق الحقن الملوثة أو عن طريق الأم الحامل المصابة به إلى طفلها.

وحذر الخبراء من مغبة عدم التحرك الحكومي السريع من أجل السيطرة على هذا المرض قائلين: إن الهند ستوصف بأنها عاصمة مرض الإيدز في العالم إذا لم تتحرك الحكومة وبشكل سريع من أجل السيطرة على المرض.



سابقة هي الأولى من نوعها:

انتخاب هيئة تمثيلية كمتحدث رسمي للجالية المسلمة أمام الحكومة البلجيكية

انتخب مسلمو بلجيكا للمرة الأولى هيئة تمثيلية لتصبح المتحدث الرسمي باسمهم لدى السلطة البلجيكية، وهي سابقة في أوروبا على ما تفيد جمعيات بلجيكية عدة.

وتعترف بلجيكا بالدين الإسلامي منذ العام ١٩٧٤م، لكن بسبب غياب ممثلين منتخبين عن المسلمين في البلاد كانت الدولة تفرض أن يستفيد الإسلام من منافع هذا الاعتراف الرسمي التي تشمل خصوصاً تمويل أماكن العبادة، ولمعالجة هذا الوضع قررت بروكسل في ١٧ يونيو الماضي السماح للمسلمين بانتخاب ممثليهم، وتوضح فاطمة حنين من «مركز المساواة في الفرص ومكافحة العنصرية» الذي يشارك في تنظيم هذه الانتخابات، أن الطريقة الوحيدة التي لايتم الطعن بهيئة المسلمين من طرف أو من آخر، كانت عبر انتخاب أعضائها، وفي مهلة قصيرة امتدت من الأول من سبتمبر وحتى ٣١ أكتوبر تم تسجيل ٧٤ ألف شخص ثلثهم من النساء على اللوائح الانتخابية في حين يقدر عدد مسلمي بلجيكا بنحو ٣٥٠ ألفاً، وتوضح عالمة الاجتماع نورية والي من جامعة بروكسل الحرة أن الأشخاص الذين لا يترددون إلى المساجد أو الأحياء التي يسكنها عدد كبير من المهاجرين لم يبلغوا بنبأ الانتخابات لكنهم عرفوا من بعضهم البعض.

وتضيف فاطمة حنين: يجب الترحيب بمشاركة النساء.

وقد أشرفت لجنة مراقبة مؤلفة من ممثلين عن وزارتي العدل والداخلية على حسن سير الانتخابات.

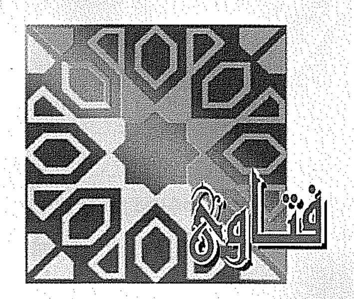
وشارك في الانتخابات ٢٦٣ مرشحاً بينهم ١٤ امرأة، وفق اشتراط ألا يقل عمر المرشح عن ٢٥ عاماً، وأن يكون مقيماً في بلجيكا منذ خمسة أعوام ويتكلم إحدى لغات البلاد وألا يشغل منصباً سياسياً أو دبلوماسياً، كما اشترط بالنسبة للناخبين أن يكونوا فوق سن الثامنة عشرة والإقامة في بلجيكا منذ عام.

وقد أدت الانتخابات إلى تشكيل جمعية تضم ٥١ عضواً منتخباً بشكل مباشر، و ١٧ عضواً عينتهم الهيئة التنفيذية لمسلمي بلجيكا وقامت هذه الجمعية بدورها بتعيين ١٧ عضواً في الهيئة التمثيلية، والهيئة التمثيلية مؤلفة من سبعة أعضاء منتخبين من الجالية المغربية، وثلاثة مسلمين من الجالية التركية، وثلاثة مسلمين من جنسيات أخرى، وثلاثة بلجيكيين أو أوروبيين اعتنقوا الدين الإسلامي، وهذه الهيئة تقرر تخصيص التمويلات العامة إلى المساجد والأئمة، وتحتل الجالية المغربية ١٨٠ ألف نسمة المرتبة الأولى بين مسلمي بلجيكا تليها الجالية التركية ١٠٠ ألف نسمة.

شارون: إسرائيل ستحتفظ إلى الأبد بـ ٥٨٪ من الضفة الغربية

كشفت صحيفة «هآرتس» أن وزير الخارجية الإسرائيلي إرييل شارون يرغب في أن تحتفظ إسرائيل بصورة نهائية بـ ٥٨٪ من أراضي الضفة الغربية، واعتبر شارون أن ٥٨٪ من الضفة الغربية يجب أن تكون مناطق أمنية، بحيث لا تستطيع إسرائيل التخلي عنها في مفاوضات الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية، وقالت «هآرتس»: إن شارون أدلى بهذه التصريحات أثناء اجتماعات تحضيرية لهذه المفاوضات التي يأمل ألا تؤدي إلى «تنازلات» جغرافية من جانب إسرائيل، وأن تنصب على مسائل اقتصادية وقضية توزيع المياه.





زكاة الديون ومكافآت الموظفين

تقدم إلى اللجنة كل من: عدنان، ممدوح، عبدالمجيد وقالوا :

إن شركتهم تتكون من أسهم وعليها ديون استغلت كلها في إنشاء مصانع لتصنيع أدوات البناء ويطلبون **بيان الحكم الشرعي في وجوب الزكاة على هذه الشركة.**

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن الزكاة إنما تجب على النقد والبضائع المقصود منها التجارة لا التصنيع ويضم إليها الديون التي لها على الغير، ثم تخصم الديون المستحقة على الشركة، فإن بقي شيء يساوي نصاباً وحال عليه الحول تخرج زكاته بمعدل ربع العشر (٢,٥٪) بعد استئذان المساهمين، لأن الزكاة عبادة لا تؤدى إلا بالنية، ولا يقوم شخص بأداء الزكاة عن شخص إلا بالتوكيل أو الولاية.

وقد سألوا عن مكافات الموظفين التي تصرف لهم عند انتهاء الخدمة وهي مدخرة عندهم.

ـ فأجابت اللجنة:

إن هذه المكافأة هي ـ في الحقيقة ـ ديون على الشركة مستحقة للموظفين والعمال، ولا يملكون إخراج الزكاة عليها، ولكن يخرجها العامل أو الموظف عن نفسه. والله أعلم

زكاة الأرض المستملكة

عرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو/ خالد ونصه كالتالي :

هل يجب إخراج الزكاة على الأرض المستملكة ليس لغرض التجارة، وكذلك إذا كانت لغرض التجارة، فهل يجب إخراج الزكاة عنها؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي :

لا يجب إخراج الزكاة على الأرض المستملكة التي ليست لغرض التجارة ما لم تزرع فيكون فيها زكاة الزروع. والله أعلم.

عقود الشركات الصورية

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من حسين ونصه كالتالي :

لو عملت عقد شراكة صوري بيني وبين شخص آخر لتيسير عمل تجاري معين ـ مسجل بالعقد للشريك ٥١ في المئة ولي ٤٩ في المئة مثلاً، وذلك لتقديم العقد لإحدى الدوائر الحكومية لتيسير عملي التجاري وذلك من دون مقابل من شريكي.

أ - هل يثاب أم يأثم على ذلك، وهل ذلك حلال أم حرام؟ مع العلم أنه كتب ورقة أخرى أشهد عليها أهله بأنه ليس له بالشركة إلا اسمه وهذه خدمة لي.

ب - لو أخذ أجر ذلك هل يجوز أم حرام؟

ـ أجابت اللجنة على السؤال بما يلي :

الأصل في التصرفات أن يقصد بها حقيقتها ولا يعدل عن ذلك إلى «الصورية» إلا لداع مشروع، بشرط ألا يترتب على الصورية ضياع حق لذي حق، فإذا دعت الظروف لسلوك طريق الصورية دون مقابل مساعدة للطرف الآخر للعمل والكسب الحلال، فإن ذلك جائز ونرجو أن يثاب عليه فاعله وينبغي للطرفين اتخاذ الضمانات الكافية لحفظ الحقوق لأصحابها في حال الحياة وبعدها، أما أخذ أجر على ذلك، فبما أن التصرف في حقيقة الأمر هو كفالة تجاه الغير بنسبة ٥١ في المئة من التزامات الشركة، فإن الأصل في الكفالة أنها عقد تبرع ولذلك ترى اللجنة عدم جواز أخذ مقابل عليه.

ترك صلاة الجمعة لضرورات العمل

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من جمال ونصه كالتالي:

شباب أتراك مسلمون يعملون في أوروبا لدى شركات كبرى للسيارات والأغذية وغيرها، وطبيعة العمل ذي التقنية الحديثة أن يرتبط عمل كل عامل بالذي يليه مباشرة ... لذا يتعذر غياب العامل.... وإذا حصل فإن العمل يتوقف بالقسم أو الجناح حسب موقع العمل، وعدد العمال في هذه الشركات كبير، وعدد كبير آخر معهم من غير المسلمين، **فكيف يتصرفون حيال صلاة الجمعة؟**، وهم إذا أصروا على ترك العمل وقت الجمعة توقف العمل واستغنت الشركة عن خدماتهم، والظروف صعبة جداً في هذه الحالة أفيدونا جزاكم الله خيراً.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

مراعاة للظروف المشار إليها في السؤال ـ وبما أن السائلين حنيفو المذهب ـ فإن اللجنة تفتيهم بمذهب أبي حنيفة بوجوب الجمعة عليهم، ويصلون بدلاً منها الظهر ولاداعي لتركهم عملهم والتعرض للمخاطر المشار إليها. والله أعلم

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

ضمان الخسارة في الشركة

حضر إلى اللجنة محمد، وطلب الاستفتاء بالتالي :

شخص لديه من المال مبلغ مئة ألف دينار (١٠٠,٠٠٠) وكذلك لديه أسهم في بنك من البنوك الربوية وعددها ١١٦٨١ سهماً (أحد عشر ألفاً وستمئة وواحد وثمانون سهماً) وكذلك لديه أسهم في شركة تجارية وعدد الأسهم في هذه الشركة ٤٩٩٩ سهماً (أربعة آلاف وتسعمئة وتسعة وتسعون سهماً.

والسؤال هو :

إذا كان هذا الشخص أي صاحب المال قد وكل أخاه في إدارة هذا المال وأقصد في ذلك المئة ألف دينار بحيث هذا الأخ قد وضع هذا المبلغ وهو المئة ألف دينار على شكل استثمار في عقار هذا العقار يدر على صاحب المال مبلغ سبعمئة وخمسين ديناراً شهرياً دون زيادة أو نقصان، **ما موقف الشرع من الإيراد الثابت الذي يحصل عليه صاحب المال شهرياً وهو مبلغ السبعمئة وخمسين ديناراً مع العلم أن الأخ الذي وكلّه صاحب المال يتعامل مع البنوك الربوية؟**

ـ أجابت اللجنة على السؤال بما يلي:

إن الاتفاق الذي تم بين صاحب السؤال وبين أخيه عبارة عن شركة في الملك الذي لأخيه بنسبة ثابتة من الإيراد منسوبة للمبلغ المدخل في الشركة لا للإيراد الفعلي وهو شركة فاسدة لضمان الخسارة وتثبيت الربح بمبلغ مقطوع لا بالنسبة المئوية لربح الملك، ولتصحيح هذه الشركة الفاسدة يعتبر الاتفاق على المبلغ المقطوع لاغياً ويطبق مبدأ المشاركة في الربح بقدر المشاركة في الملك «ويفضل كتابة هذا الاتفاق على الشكل الصحيح»، فيقوّم العقار في يوم المشاركة وتقدر نسبة المئة ألف إلى قيمة العقار ويستحق صاحبها من الربح بنسبة حصته إلى مجموع قيمة العقار، فإذا كان ما وصل إليه في السابق أكثر من حقه، فإنه يعيده إلى شريكه، فإن لم يمكن تصدق به لأنه كسب غير مشروع وإذا صحح وضع الشركة واستمرت فينبغي التحرز من خلط هذا النشاط الاستثماري الحلال مع الاستثمارات الربوية.

استثمار الزكاة في مصالح الدعوة

تقدم إلى اللجنة المدير العام للمؤسسة الإسلامية وطلب الاستفتاء بالتالي:

أرجو التكرم بإفادتنا عن الحكم الشرعي في صرف الزكاة الواجبة للأموال في شراء عمارة أو دكاكين أو بناء له ريع أو غلة، على أن تصرف هذه الغلة أو الدخل على المشاريع الإسلامية القائمة، مثل دور الأيتام والمدارس الدينية وغيرها، علماً بأن مكان هذه الأعمال دول أفريقيا المحتاجة. وسألته اللجنة بالتالي:

– هل تقوم المؤسسات التبشيرية بصرف الناس عن الإسلام؟

– قال: نعم.

– ما وضع المسلمين هناك؟

– قال : الجوع والجفاف بالنسبة للمسلمين، فيقوم النصارى باستغلال هذا الوضع للتنصير.

– من الذي يقوم ببناء المؤسسات الإسلامية هناك هل هي جهة موثوق بها؟

– قال : مؤسسة إسلامية اسمها المؤسسة العامة الإسلامية، وهي جهة موثوق بها ومعروفة.

ـ أجابت اللجنة:

انه يجوز صرف الزكاة لمثل هذه المشاريع الإسلامية التي تعمل في مواجهة التبشير والتنصير، وذلك عن طريق شراء عمارة أو دكاكين أو بناء له ريع أو غلة تصرف على الأيتام لتعليمهم وتطبيبهم حماية لهم من الوقوع في براثن المبشرين، على أن يكون هذا في مجالات يشيع فيها التنصير، لأن الصرف على هذه الأمور يعتبر من أحد مصارف الزكاة الثمانية، وهو سبيل الله، وعلى أن يكون من تعطى إليهم الأموال لهذا الغرض محل ثقة لصرفها في موطنها الصحيح دون غيره. والله سبحانه وتعالى أعلم.

العمل في السمسرة

حضر إلى اللجنة عبدالفتاح وطلب الاستفتاء بالتالي:

أعمال السمسرة لا شيء فيها حسب علمنا.

ولكن يحتاج السمسار أن يكتب صيغة العقد بين البائع والمشتري وفي ذلك العقد يتم كتابة صيغة أو طريقة دفع المبالغ للبائع في صيغة العقد.

والمشتري يأخذ المبلغ الذي يحتاجه من البنك بفائده ويتم تسجيل طريقة حصوله على المبلغ في صيغة العقد.

ومع العلم أن السمسار لا دخل له في طريقة حصول المشتري على المبلغ.

فما حكم دخولي في هذه المهنة وإجراء هذه العقود على الصفة المشار إليها مع ملاحظة أن حق البنك لا يتوقف على هذه العقود.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز العمل في مهنة السمسرة وإجراء عقود المبايعات وكتابتها، ولا علاقة للسمسار بعملية الربا التي تم الحصول بها على الثمن بين المشتري وأحد البنوك، ولا ضير عليه من تدوين المعلومات المتصلة بطريقة الحصول على الثمن أو سداد الثمن ربوياً كان أو غير ربوي. والله أعلم.

زكاة الأرض

تقدم إلى اللجنة إسماعيل وأفاد بالتالي:

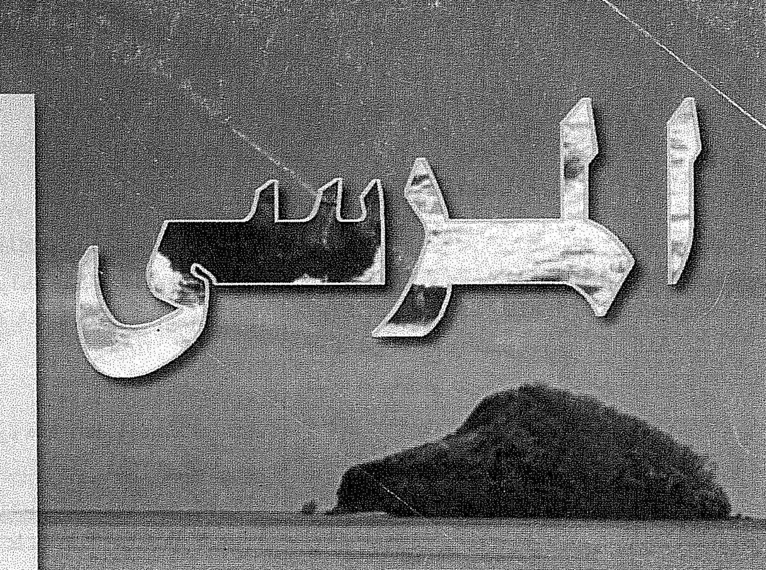
اشترى شخص أرضاً، وذلك من مدة ثلاث سنوات، وعندما اشتراها كانت قيمة الأرض أربعة آلاف دينار، وفي السنة الثانية بلغت الأرض عشرة آلاف دينار، وفي السنة الثالثة بلغت أربعين ألفاً من الدنانير.

فما مقدار الزكاة لهذه الأرض، علماً بأنه لم يخرج زكاتها منذ ثلاث سنوات من بداية شراء الأرض؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي :

انه إذا كان قد اشتراها بنية التجارة، فعليه أن يقومها في آخر كل عام، بقيمتها السوقية، ويخرج الزكاة بنسبة ٢,٥ في المئة.

أما إذا اشتراها ليس بنية التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق. والله أعلم



**هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارئ ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...**

الشرق، شرق ... والغرب، غرب

عبدالستار خليف

شتان، بين الشرق والغرب، بين السماء والأرض، البون شاسع جداً، والفارق كبير، كبير جداً، والمسافة بعيدة... بعد السماء عن الأرض!! فهل يلتقي النقيضان: العالم الروحي والعالم المادي؟ هل تتلاشى المسافة بين العالمين، وينتهي البعد المكاني والزماني، وتزول الحواجز المادية والروحية ويلتقي الشرق مع الغرب!!

هناك فروق أساسية وجوهرية بين الشرق والغرب، فالغرب بكل ما به من عالم الماديات التي سيطرت على عقول البشر وطغت على الأخلاقيات والقيم العليا والمثل، واهتم الإنسان بتحقيق ذاته فقط، كفرد وأن يأكل البشر قبل أن يأكلوه، وأن يقتلهم قبل أن يقتلوه، وعليه أن يقلب الطاولة في وجوه الآخرين وأن يضربهم أسفل الحزام، والصراع على الحلبة من دون قواعد اللعبة، والبحث عن السعادة الشخصية وبلوغها على تعاسة الآخرين، لأن الحب هو المصلحة والذات والأنانية والمتعة واللذة الحسية فقط ... وأنا ومن بعدي الطوفان!!

أي غرب هذا؟! وأي عالم هذا الذي نحاول التقرب منه، وننشده ونحاول الالتقاء معه في نقطة معينة؟! إنه عالم الخواء، والفراغ، والخراب، والأنا والذات الفاسدة، واستغلال الفقراء الضعفاء لصالح الأغنياء الأقوياء، والخروج علينا بالبدع واللامعقول واللا أخلاقيات باسم الموضة والتقدم والعصرنة.

والشرق، بما فيه من قيم روحية، وإنسانية، قيم الحب والخير والحق والجمال، أخلاقيات نابعة من ديننا الإسلامي الحنيف، وعادات وتقاليد الآباء والأجداد والسلف الصالح، وهي تختلف تمام الاختلاف عما يدور ويجري في الغرب ... ولا شيء يأتي من الغرب يسر القلب. عالمنا الشرقي، عالم الصفاء والنقاء والتعاطف بين البشر، والمحافظة على صلة الرحم والقربى، وتحقيق ذات الإنسان من خلال أهداف الأمة التي ينتمي إليها والتطور والتقدم على أساس روحي وأخلاقي، فلم نسمع عن «أم» ظلت ميتة في منزلها - بلندن - طوال سبع سنوات حتى تعفنت وتحللت و«ابنتها» تقيم في الجانب المقابل من الشارع، لم تدر عنها شيئاً!!. هذا أقل شيء يحدث في الغرب، لمن ينادون بقيم وأخلاقيات الغرب، فليس التقدم والتطور على حساب القيم والمثل والأخلاق والعادات والتقاليد.... لا.

إننا... نأخذ من الغرب ما يتلاءم ويتناسب معنا ونصهره في بوتقة الشرق، ونرفض ما يتعارض معنا وروحانيات الشرق، أما أن يمتزج الشرق والغرب معاً في بوتقة واحدة، فهذا محال ونرفضه، فالشرق، شرق، والغرب، غرب، ومحال أن يلتقيا. ■

دع فريق بيت الزكاة
يحتسب لك زكاة شركتك

يمتلك بيت الزكاة فريقاً مختصاً تم تأهيله وتدريبه شرعياً ومحاسبياً لإحتساب زكاة شركتك.



توصيل **الزكاة** لمستحقيها **أمـــانة** فدعنا نحملها عنك

الخط الساخن 574 5000

S.D.C

السالمية – شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.prg.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw



هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

2.5 %
زكاة أموالكم